إِصَابَةُ الرَّمِيَّةِ

فِي شَرْحِ عَقَائِدِ الإِمَامِيَّةِ

شرح مبسّط لكتاب عقائد

الإماميّة للشّيخ محمد رضا

المظفر (قده)

السيّد حسين حسن محمد جواد بدر الدين



إِصابَةُ الرَمِيَّةِ
في شَرح عقائدِ الإماميّةِ

شرح مبسّط لكتاب عقائد الإماميّة للشيخ محمد رضا المظّفر (قده)

السيّد حسين حسن محمد جواد بدر الدين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ كُنْ لِوَلِيِّكَ الْحُجَّةِ ابْنِ الْحَسَنِ، صَلَوَاتُكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آبَائِهِ، فِي هَٰذِهِ السَّاعَةِ وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ، وَلِيًّا وَحَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا وَدَلِيلًا وَعَيْنًا، حَتَّىٰ تُسْكِنَهُ أَرْضَكَ طَوْعًا، وَتُمَتِّعَهُ فِيهَا طَوِيلًا.

بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

وصَلَّى الله عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

إهداء

أهــدي هــذا الجُهــد المتواضــع لســيدة نســاء العــالمين الســيدة العظيمــة التــي مــنّ الله علينــا بهــا وجعــل بهــا اتصّــال النبــوة الشــريفة بالإمامــةِ الحقّــة ، إلــى أعظــم نســاء الكــون إلــى أمّ أبيهــا ، إلــى الطريــق الأســهل للجنــة وهــو طريــق الحــبّ والــولاء حيــث ورد عــن أميــر المــؤمنين علــي (ع) عــن فاطمــة (ع) أنهــا قالــت : قــال لــي رســول الله (ص) : " يــا فاطمــة مــن صلى عليك غفَر الله له وألحقَه بي حيث كنت من الجنّة" (1)

راجيــاً ودّهــا متقرّبــاً إلــى الله بحبّهــا وموالاتهــا ومدوامــة الســلام والصــلاة عليهــا عســى أن يمــنّ الله تعــالى علــيّ وعلــى والــديّ وعلــى وُلــدي وأحبــائي وأقربــائي وأخلّائــي برحمتــه يــوم المحشــر ببركتهــا وببركــة أبيها وبعلها وبنيها عليهم صلوات الله وسلامه.

---

(1). بحار الأنوار – ج43 – ص 55

تقديم المفتي السيد علي مكي (حفظه الله)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أما بعد..

فإن جناب الأخ السيّد حسين حسن بدر الدين من علماء الحوزة الدينية – حبوش، قد تقدّم بشرحٍ وجيزٍ لكتاب " عقائد الإماميّة " للشيخ المظفّر (قده).. وقد حاول جُهده في تبسيط مَسائله شرحاً، وتوضيحاً، وتخريجاً للمصادر...

وإني لآملُ أن يُساهم هذا الشرح في البناء العقائديّ للأجيال ولطلاب العلوم الدينيّة خصوصاً ...

كما أتمنّى أن يتحوّل هذا الكتاب إلى مقاطع تدريسيّة؛ تسهيلاً للأستاذ والطالب معاً ...

نفَع الله المؤمنين وطلاّب العلم بهذا الكتاب ... داعياً لمؤلّفه بالسداد والتوفيق، وإلى المزيد...

الراجي عفوَ ربّه..
المُفتي السيّد علي حسين محمد مكّي الحبّوشي العاملي
مجمّع حبوش الخيري، 23 صفر 1447 هجرية
18 آب 2025 ميلادية

مقدمة المؤلف

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على أشرف خلق الله تعالى وأعزّ المُرسلين سيدنا وقائدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار المنتجبين ورحمة الله وبركاته، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

إن أول مدماكٍ في بناءِ الشخصية الإسلامية للمكلفّ فضلاً عن طالب العلم أو المبلّغ والمستنير بضياء آل محمد صلوات الله عليهم هي العقيدة الإسلامية والنَهلُ من مشاربها الصّافية والتشبّع بمعارف هذا المذهب الأصيل المورِثِ لذةً في قلبِ وضميرِ أَتباعه وبالِغي بعضِ حقائق أسراره المقرّبة في كل تقلّباتها من الله تعالى ، إضافةً إلى دور العقيدة في بناء الحِصن و السدّ المَنيع في النفسِ وتحصينِ القلب من الشُبُهات ورَيبها وحماية المكلّف من فِتَن المشبوهين والمُغرضين ، أو غير المحصّلين التحصيل الصحيح الكافي ، الذين يورّدون الفهم الخاطىء ويُضلّون ولا يهدون إلى سواء السبيل (والعياذ بالله تعالى).

بَيد أنّ الكُتب العقديّة المشهورة في الحوزة العلميّة قد يعتبرها الطالب بادئ ذي بدءٍ صعبة التحصيل والفهم ، لذا حاولت في هذا البحث إصابة رميّة الشيخ المظفر (قده) - والرميّة هي الهدف ، فأنا أريد الوصول إلى هدفه العظيم (رض) - في إفهام الطالب المبتدئ في هذا المجال من خلال تجميل مطالبه السامية بدون إخلالٍ بالأسس التي سنّها (رض) المنبثقة من عقيدتنا الوضّاء، وتشكيلها بلسانٍ فنيّ سلِس تبسيطاً وزيادةً في التعقيبات والحواشي المُوصِلة إلى الفهم السريع بشكلٍ يجذب نظر الناظر ويسمّر عين القارئ ، وقد اخترت كتابه (رض) لسهولته وللمندوحة في التوسيع بمطالبه الذي قدّر الله تعالى له أن يُجال به في أطراف المعمورة ، فإني أغبط قدوة طلبة العِلم الشيخ المظفّر (رض) على ما أناله الله راجياً من الله قبول عملي وإكْسابي قُربَه ورحمته وتوفيقه سائلاً منه تفريج همّي وغفران ذنبي إنه سميع مجيب.تجدر الإشارة أنني استفدت مما اجتمع وتحصّل عندي من شروحات وحواشٍ، وهذه طبيعة البحث والتنقيب وعقّبتُ بما وفقنيَ الله تعالى، لما يؤدّي للخلوص إلى أوضح العبارات وللوصول إلى الأهداف السامية في توضيح العقيدة وتبيينها إن شاء الله تعالى.



حسين حسن محمد جواد بدر الدين

حاروف – النبطية

2025/06/1 الموافق 5 ذو الحجة 1446 هجري

مقدمة الشيخ المظفّر (قده)

حمداً لله وشكراً، وصلاة وسلاماً على محمد خير البشر وآله الهداة.

أمليت هذه (المعتقدات)، وما كان القصد منها إلاّ تسجيل خلاصةِ ما توصَّلت إليه من فهم المعتقدات الاسلامية على طريقة آل البيت عليهم السلام .

وقد سجّلت هذه الخلاصات مجرّدة عن الدليل والبرهان، ومجردة عن النصوص الواردة عن الأئمة فيها على الأكثر؛ لينتفع بها المبتدئ والمتعلّم والعالم، وأسميتها (عقائد الشيعة) وغرضي من الشيعة الإمامية الإثني عشرية خاصة.

وكان إملاؤها سنة ١٣٦٣ هـ بدافع إلقائها محاضرات دورية في كلية منتدى النشر الدينية[1]؛ للاستفادة منها تمهيداً للأبحاث الكلامية العالية.

وفي حينه قد توقّفت لإلقاء الكثير منها، وما كنت يومئذ قد أعددتها مؤلَّفاً يُنشر ويُقرأ، فأُهملت في أوراق مبعثرة شأن كثير من المحاضرات والدروس التي أمليتها في تلك الظروف، لا سيّما فيما يتعلّق بالعقائد وعلم الكلام.

غير أنّه في هذا العام - وبعد مضي ثمان سنوات عليها - رغَّب إليَّ الفاضل النبيل محمد كاظم الكتبي (رعاه الله) [2] في تجديد النظر فيها، وجمَعها مؤلَّفةً في رسالة مختصرة موصولة الحلقات؛ لغرض نشرها وتعميم الفائدة منها ، ولتدرأ كثيراً من الطعون التي أُلصقت بالإِمامية، ولا سيّما

[1]. وهي مؤسسة الشيخ المظفر (قده) التي سمّيت فيما بعد ب: كلية الفقه في النجف الأشرف، ولم تزل قائمة بعد إلحاقها بالجامعة المستنصرية عام ١٩٧٠م وبجامعة الكوفة عام ١٩٨٧ مع عدّة محاولات لتغيير منهجها التعليمي وسيرها الدراسي ، ثم الغيت الآن.

[2]. وهو صاحب المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الأشرف، وقد قام بنشر الكتاب لأول مرّة على نفقته.

أنّ بعض كتّاب العصر في مصر وغيرها لا زالوا مستمرين يحملون بأقلامهم الحملات القاسية على الشيعة ومعتقداتها، جهلاً أو تجاهلاً بطريقة آل البيت في مسالكهم الدينية، وبهذا قد جمعوا إلى ظلم الحق وإشاعة الجهل بين قرّاء كتبهم والدعوة إلى تفريق كلمة المسلمين، وإثارة الضغائن في نفوسهم والأحقاد في قلوبهم، بل تأليب بعضهم على بعض ...ولا يجهل خبير مقدار الحاجة - اليوم خاصّة - إلى التقريب بين جماعات المسلمين المختلفة ودفن أحقادهم، إن لم نستطع أن نوحِّد صفوفهم وجمعهم تحت راية واحدة.

أقول ذلك وإني لشاعر - مع الأسف - أنّا لا نستطيع أن نصنع شيئاً بهذه المحاولات مع من جرَّبنا من هؤلاء الكتّاب، كالدكتور أحمد أمين وأضرابه من دعاة التفرقة، فما زادهم توضيح معتقدات الإمامية إلاّ عناداً، وتنبيههم على خطئهم إلاّ لجاجاً.

وما يهمُّنا من هؤلاء وغير هؤلاء أن يستمرّوا على عنادهم مصرّين، لولا خشية أن ينخدع بهم المغفَّلون، فتنطلي عليهم تلك التخرُّصات، وتورِّطهم تلك التهجّماتُ في إثارة الأحقاد والحزازات.

ومهما كان الأمر، فإني في تقديمي هذه الرسالة للنشر أملي أن يكون فيها ما ينفع الطالب للحق، فأكون قد ساهمت في خدمة إسلامية نافعة، بل خدمة إنسانية عامة، فوضعتها في مقدمة وفصول، ومنه تعالى وحده أستمدّ التوفيق.

محمَّد رضا المظفر

النجف الأَشرف - العراق

٢٧ جمادى الآخرة ١٣٧٠ هجرية

نقاط البحث الأولى

وهو المقدمة في كتاب الشيخ (رض)

1. عقيدتنا في النظر والمعرفة
2. عقيدتنا في التقليد بالفروع
3. عقيدتنا في الاجتهاد
4. عقيدتنا في المجتهد

1. عقيدتنا[1] في النظر والمعرفة[2]

[1]. **التعريف اللُغوي والاصطلاحي للعقيدة:**

العقيدة لغةً: مأخوذة من العقد وهو نقيض الحلّ وهي مشتقةٌ من المصدر عَقد ، فنقول عقَدَ عقْداً وهو الإحكام والشدّ والربط ، ويُقال عقدت الحبل فهو معقود ، ومنه عُقدة النكاح ، والعقد هو العهد ، والجمع عقود وهي آكدُ العهود ، أي : أن مصطلح العقد أشد من العهد ؛ لأنه فيه إلزام، فتقول : عقدتُ إلى فلان بكذا أي : ألزمته بكذا ، وقد خاطب الله تعالى المؤمنين بقوله في سورة المائدة أول آية {أوفوا بالعقود} ، آمراً لهم بالوفاء بالعقود التي عقدها الله تعالى عليهم من حيث إلتزامهم بالتكاليف المعهودة إليهم ، والوفاء بالعقود التي يعقدوها بعضهم على بعض بما يُوجبُه الدين الحنيف.

أما العقيدة اصطلاحاً : فهي تُطلق على الإيمان بأصول الدين وقد قرّر عُلماء الفريقين أن العقائد يجب أن توصل المكلّف إلى الجزم واليقين ولا يكفي فيها الظنّ حيث قال تعالى في سورة النجم آية 28 { إن الظنّ لا يُغني من الحق شيئاً } ، وبتعبير آخر هي مجموعة الأفكار والقواعد أو المبادئ والقِيم المترابطة التي تشكّل مجتمعةً تصوراً راسخاً تطمئنّ به النفس ، وبتعريف اصطلاحي آخر : هي المعلومات التي يتقبّلها العقل ويختزنها ويعتقد بها على نحو جازمٍ قطعيٍ يقيني بحيث تكون مُحكمة في فكره ونقصد بها الإيمان بأصول الدين : التوحيد ، العدل ، النبوّة، الإمامة والمعاد.

والعقيدة هي ميزان الأعمال ومقوّمة الإيمان حيث يختلّ الإيمان باختلال العقيدة والعلاقة بينها طرديّة حيث كلّما ترسّخت عقيدته زاد عمله، ولسائلٍ أن يسأل ما الدليل على هذه العلاقة؟ فأجيب أن العقيدة الصحيحة التي يكون من أهم مصاديقها التوحيد والربوبية لله تعالى تشكّل دافعاً وحافزاً للعمل التكليفي الدؤوب مع ورود عدّة روايات تفيد أنه مع المعرفة الصحيحة ينفع القليل من العمل، هذا لا يدّل على الإكتفاء بالقليل بقدر دلالته على أهمية صحة الإعتقاد الناجم عن المعرفة الصحيحة، فعن أمير المؤمنين علي (ع): **"عجبت لمن عرف الله كيف لا يشتدّ خوفه "**، وقوله (ع): **"غاية المعرفة الخشية"**، وقوله(ع): **"غاية العلم الخوف من الله سبحانه "**. وغيرها من موجّهات الدلالة على أن صاحب العقيدة الصحيحة يحرص على إتمام العمل وإتقانه إرضاءً لدافعه النفسي القويم النابع من عقيدته الصافية **(ميزان الحكمة للريشهري ج 3 /1888)** ، حتى أن الأعمال التعبّدية الصحيحة تكون بمنزلة العدم بحال لم تنبعث من

عقيدةٍ صحيحة فعن الباقر (ع) : **" لا ينفع مع الشكّ والجحود عمل" (الكافي ج 4 /400)** ، فالعمل وصحّته بل فائدته ودوره في عملية التكامل البشري مرتبطٌ بصدق الإعتقاد وصحّته ، وبصفاء عقيدته من الشوائب، إذ بعد نقائها تولّد رغبةً صارفةً عن الشهوات والنزوات ، محفّزةً نحو التعبّد والصبر والطاعة والأعمال المقرّبة إلى الله تعالى، لذلك كان لزاماً على المكلّف أن يتعرّف على ربّه ويعتقدَ به ويعرفَ دينه ويسير على هُداه ويعرف نبيّه وإمامه فيتّبع ما جاؤوا به عليهم صلوات الله وسلامه.

تنبيه:

إن تاريخ العقيدة الشيعية مُلازمٌ للعقيدة التي جاء بها النبي محمد (ص) فلم نُبتلَ بما ابتليَت به الفِرق الأخرى من المسلمين حيث استحدثوا ما استحدثوا لفراغٍ في المنصب التالي للنبوّة حيث فرّطوا بالإمامة وجعلوها بين أناسٍ لا يفقهون من علمها شيئاً وأهملوا آل بيت النبي (ص) ولم يستقوا من معينهم الصافي فاختلفت مشاربهم وتخلّطت بالتجاوزات آراؤهم ، فإنه مع اعتقادنا بضرورة صيانة الدين عبر معصوم أولاه النبي (ص) إكمال الدور الرساليّ العظيم ورعايتنا وهدايتنا ليمتدّ شعاع الهداية وينتشر في كل الأزمان كنّا لا نفتقر إلى الرأي السديد ببركةِ وجود أئمة الهدى (ع) مُفترضي الطاعة بحيث لا يبقى تسائل في البَين أو إشتباه في القلب إلا حلّوه ، ورسموا طُرَق الهداية صلوات الله عليهم ، فقد بدأت عقائد هذا المذهب الأصيل تتوضّح بانبلاج فجر الإسلام المحمّدي ومنذ غدير خم وتنصيب الولي والإمام (ع) حيث كان هو الأفقه والأعلم والأنقى، وفي ذلك نصوص تدللّ وتصرحّ فضلاً عن التلميح على هذه المنزلة العظيمة لهذا الرجل العابد (ع) ، ومنصب الإمامة وهو الأصل الرابع من أصول الدين الحنيف وهي على التوالي: التوحيد ، العدل ، النبوة ، الإمامة والمعاد ، وبالإمامة أراد النبي محمد (ص) أن يكون دينه كاملاً مُستكملاً ، وإرادته ناشئةٌ لا مُحالةَ من إرادة ربّه جلّ وعلا { وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحيٌ يوحى} **(سورة النجم4/3).**

[2]. **إعلم أن العلم والمعرفة تتكوّن بطرائق متعدّدة:**

- أولها وأوضَحها الحواس الخمسة (السمع والبصر والشم والتذوق واللمس) فيعرف ما يجهله عبر حواسه مما يكون شأنه المعرفة بالحواس يعني تبصر بعينك الأماكن والأنهار وتسمع بأذنك زقزقات العصافير وتشم الروائح الطيبة وتلمس الملمس الناعم وهذا ما يسمى بالقدرة الحسيّة التي تراكم المعلومات المحسوسة ليستفيد منها العقل في تحليلاته.

نعتقد: أن الله تعالى لمّا منحنا قوة التفكير، ووهب لنا العقل [1]،

- ثانيها وأقواها بل وأعظمها العقل وهو الميزة الأساسية للإنسان من بين أنواع جنس الحيوان وبه (بالعقل) شرّف الله الإنسان على سائر الموجودات وبه يحلّ المرء المعلومات المحسوسة ويحوّلها إلى مدركات وموجودات ذهنية، ما لا تطاله حواسه من سمع وبصر، وتسمى بالقدرة العقلية.
- هناك معارف تكون قلبية يكتسبها المرء بشكل غير قياسي على شكل إلهام وتسمى شهودية وأخرى تعبّدية مستفادة من القرآن والسنة يكتسبها المرء بالتلقين والتعليم ولا حاجة لذكرها في بحثنا ؛ لأن بحثنا في الأصول الموصلة للإعتقاد ، أي : ما هو وجوب عقلي لا يستقى علمه من النصوص الدينية، نعم إن القرآن الكريم يشير إلى صياغة البرهان العقلي من قبيل الآية 22 من سورة الأنبياء { لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عمّا يصفون } وكذلك الروايات الكثيرة التي تشكل إرشاداً ومساعدة عظيمة في الإستدلال على العقيدة الصحيحة ، نعم إني أستفيد من ذكر الحواس لأقدم نظرة عن كيفية الإكتساب الفطري بالتالي استخدام هذه القدرة الحسيّة لتحليل مخرجاتها ثم الوصول الى المطلوب وأوله وجود الخالق تعالى .

ثم إنّه وبهذه القدرة (العقليّة) وتفرّعاتها واستطالاتها يستطيع الإنسان الوصول إلى العقائد الحقّة المُنسجمة مع فطرته التي فطره الله تعالى عليها مجتمعةً مع ذوقه السليم وجنوحه إلى الخير وحبّه لطلب المعرفة والكمال.

وبعد تتبّع العقل وتحليله يُدرك عاجلاً أم آجلاً من خلال رؤيته آلاء الله تعالى ودقّة نظم هذه الخليقة:

- أن هذا الكون يسير بنظام دقيق لا يقبل الإختلال وبحال اختلّ فإنه يستحيل عيش المخلوقات به.
- أنه لا بدّ لهذا الكون من خالقٍ موجدٍ ومنظمٍ.

ومع مراعاة هاتين القاعدتين يبدأ عقله بالتوليف والتدقيق الذي يوصِله مع المقدّمات الصحيحة الآتية في بحثنا إلى معرفة الله والاعتقاد به.

[1]. إعلم أنه ورد عن الأمير (ع) :" **بالعقل صلاح كل أمر" (غرر الحكم ودرر الكلم)** ، وأن الله تعالى عندما خلق الخلق خلق العقل أولاً ومع وجود روايات للنبي (ص) حاكيةٍ أنه (العقل) أول خلقِ الله وعن رسول الله (ص) : **" أول ما خلق الله العقل " (الكافي 329/15 طبعة دار الحديث)** ، وفي رواية أخرى أن أول ما خلقَ الله نور محمد (ص) حيث روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري عند سؤاله النبيَ (ص) عن أول الخلق قال

أمرنا أن نتفكَّر في خلقه (1)، وننظر بالتأمل في آثار صنعه، ونتدبر في حكمته واتقان تدبيره في آياته في الآفاق وفي أنفسنا،

(ص) :" **نور نبيّك يا جابر خلقه ثم خلق منه كل خير ..." (بحار الأنوار 22/25 نقلا عن رياض الجنان مخطوط لأبي الفتوح الرازي)** ، فإننا نحمل رواية أوليّة العقل على الأوليّة بالنسبة للمجرّدات ، أي : أنه (العقل) أول المجرّدات غير المحسوسة ، ونحمل أولية خلق النبي (ص) على الأوليّة بالنسبة للمخلوقات ، وعن أمير المؤمنين (ع) : **" العقول أئمة الأفكار والأفكار أئمة القلوب والقلوب أئمة الحواس والحواس أئمة الأعضاء ". (كنز الفوائد 449/1 لأبي الفتح الكراجكي)** وعن الإمام الصادق (ع) قوله : **" خلق الله تعالى العقل من أربعة أشياء من العلم والقدرة والنور والمشيئة بالأمر فجعله قائماً بالعلم دائماً في الملكوت" (ميزان الحكمة – باب العقل)** ، فهذه الأربعة هي مسبّبات القوة لأيّ كان فالعلم والقدرة إدراكات وتطبيقات عملية والنور والمشيئة بالأمر هي مِنَن الرحمان تُنير عقل وقلب العالم فيصير عقله منيراً فذاً ببركة ما خصّه الله تعالى ، وعن الباقر (ع) :**" لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزّتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك ولا أُكمِلكَ إلا فيمن أحبّ إني إياك آمر وإياك أنهى وإياك أثيب" (آمالي الصدوق)** ، نعم قد حَباه الله بهذه المرتبة العالية ، بحيث أن العقل أحبّ الخلق إلى الله ولا يُكمله إلا فيمن يُحب وهذا من لوازم الحب ، وبه يُعاقب وبه يُثيب ، ضرورة أن هذه المرتبة لا ينالها إلا من وصل إلى غاية العظمة والكمال حيث خلقه الله وهو أعلم بما خلق وشرّفه بهذه المرتبة بحيث يعاقب ويُثيب به ، يدلّ كلامي بوجهٍ واضح على أهمية الدلالات العقلية والحجيّة الذاتية لما يفرضه العقل ويحكم به ، يعني خَلَقهُ الله ذو حجة بالغة مُقنعة والتجربة الحاصلة تدل على أن إعمال العقل والفكر والعمل بمُخرجات العقل الناتجة عن عملياته (حركات الفكر من ذهاب ودوران ورجوع بعد مواجهة المشكلة وتحديد نوعها) هو المنجى الوحيد من الأمور العالقة والمشتبهة ، وعندما نقول الحكم العقلي ، أي: المطابق للمعايير العقلية وغير خاضع للإستحسانات والأذواق، بل هو المُبتنى على الأسس المنطقية المبحوثة في محلّها التي تُنتج عِصمةً للذهن عن الخطأ .

(1). خُذ مثلاً حُكم العقل بقبح الظلم أو الكذب فهو موافق للشريعة وبهذا دلالةٌ واضحةٌ على إمضاء الله تعالى لهذه المُبتنيات التي بناها العقل وهي من دون شك معارف قَبليّة أودعها الله تعالى فيه لأنه إمتثل لأمر الله بالإقبال والإدبار فقراره دون شكّ ناتجٌ عن توليفةٍ قام بها هذا المخلوق العظيم توصّل بها إلى ضرورة تنفيذ أوامر الله تعالى، التي تشكّلت بها الشرائع المُقدسة فيما بعد.

ثمّ لا يَخفى عليك أن العقل بما أنه أحبّ الخلق إلى الله تعالى وهذه المحبوبيّة لا تخلو نتيجتها على مستوى العقل من أمرين :

- إما أن يسيرَ في هُدى الله دائماً بناءً على أفضليّته جرّاء محبوبيّته.
- أو أن لا يسير بهُدى الله تعالى.

ومعاذَ الله أن يحبّ الله مخلوقاً ضالاً لا يسير على هُداه ، والموضوع لا ارتباط له في شفقة الله تعالى على الإنسان وحبّه له مع معصيته وتعنّته ، فهذا بلحاظ الرحمة الإلهية وليس بلحاظِ الإختيار والتفضيل الذي مُيّزَ به العقل.

وهذا العقل الكبير غير محدود التوليف (التفكير والتخيّلات) كان من بعض وظائفه التأمل والتفكّر، ومن فروع التفكّر النظر مليّاً في هذا الخلق الرائع، وآثار صُنع الله العظيم، مع تأمّلٍ في حكمته البالغة وآياته في الآفاق وفي أنفسنا وفي أجسادنا، حيث أن وظائف أجهزة الجسم تُذهل العالم بها خاصة بعد ما أثبته العلم الحديث من الدقة المتناهية في إتقان الخلق وبراعة التنظيم.

قال تعالى[1]: { سَنُرِيهِمْ ءايتِنَا في الآفاقِ وَفي أنفُسِهِم حتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنّهُ الحَقُّ} .[2]
وقد ذم المقلَّدين [3]لآبائهم بقوله تعالى: { قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلفَينا عَليهِ آباءَنا أَوَ لَو كانَ آباؤُهُم لا يَعْقِلونَ شَيئاً} .[4]

[1]. الإراءة للآيات في الآفاق وفي الأنفس كيف تكون وتتحقق؟ فهذه الحواسّ الخمسة التي تنقل إلى الأذهان بدائع الصور والخُضرة وروائع الأصوات المتجانسة الجذّابة ، وشذا العطور الفوّاحة ، والملمس الناعم للجلود الناعمة وحتى الخشنة ، وهذه القدرة على الإنتقال الترتيبي للمعلومات من الصورة أو الملمس أو العطر إلى الذهن ، وهذه العلاقة الرائعة بين الأجهزة الحسيّة والعقل والتفكير ، وكل هذه النعم دليلٌ واضحٌ على وجود الخالق الصانع الجليل ؛ هذه المناظر البهيجة والنعم المشخّصة بالحسّ تولدّ فضولاً عند المتتبّع ليرى كيفية وطريقة الصنع ، فيسبر غور أمواج أفكاره المُتلاطمة حتى يرى ضرورة ؛ أن لكل هذا موجداً وهو القوة التي لا يمكن أن تكون فوقها قوّة تنظّم علاقات وعلامات وأشكال وأفكار المخلوقات كافة وهو الله تعالى .

[2]. سورة فصّلت 53

[3]. إعلم أن التقليد في العادات الحَسنة والسُنن الطيّبة لهو مطلوب مرغوب ، بيد أن التقليد في العقيدة مقبرة التفكّر والتأمّل ، وبعد أي زلزلة أو شبهة ترى ؛ أن ما اعتقدته ضعيفاً هشّاً يُخالطه الرَيب والرَين ، هذا ما يحتّم على المكلّف الوصول إلى أصول الاعتقادات غير مقلّدٍ أو سامعٍ غيرَ مُقتنع ، بل لا بد له من تحصيل عقيدته بحيث لا يُداخله شكّ عبر إعمال عقله الفطريّ الموهوب طاعة الله تعالى ورؤيته القلبية ، واتّباع إرشادات وأوامر أهل بيت العصمة (ع) في الطريق الموصلة لتحصيل هذه العُقد القلبيّة المترابطة ، وأعظمها هو توحيد الله في الأفكار حيث لا يخلط الشرك في أفكاره ، وفي الأفعال حيث لا يُشرك في عبادته مثلاً غير الله رئاءً أو سمعةً ، وفي الأقوال عِبر تمجيده وتقديسه وتسبيحه وتهليله كمثال ،عن النبي (ص) : **"ما عرف الله من شبّهه بخلقه ولا وصفه بالعدل من نَسب إليه ذنوب عباده ".(توحيد الصدوق 47)** ، وعن الباقر (ع) : **"إنما يعرف الله ويعبده من عرف الله وعرف إمامه منّا أهل البيت ". (الكافي ج 1 ص 181)** أفاد العلاّمة الحلي (قده) في شرح الباب الحادي عشر: (أجمع العلماء كافة على وجوب معرفة الله تعالى، وصفاته الثبوتية والسلبية، وما يصح عليه وما يمتنع عنه، والنبوّة، والامامة، والمعاد بالدليل لا بالتقليد)

[4]. البقرة 170

كما ذم من يتبع ظنونه ورجمه بالغيب فقال : إنْ يَتَّبِعُونَ إلاّ الظنَّ .[1] وفي الحقيقة انّ الذي نعتقده: إنّ عقولنا هي التي فرضت علينا النظر في الخلق ومعرفة خالق الكون[2] ، كما فرضت علينا

---

[1]. النجم 28

[2]. جاء في خطبة الإمام علي (ع) في نهج البلاغة أنه قال:**" أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة، فمن وصف الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال فيما فقد ضمنه، ومن قال على ما فقد أخلى منه".**

وفي شرح مبسّط لهذه العبارات الروائع أقول:

أول التديّن أن يتعرّف المرء على دينه ، باعتقاده وٱلتزام تكاليفه الشاملة لكلّ مَجالات الحياة كما أن كمال المعرفة هو التصديق والإقرار والإذعان وكمال هذا الإذعان هو توحيده باعتباره ربّاً لا شريك له فلا يُشركه العبد مع غيره ، وهذا هو كمال التوحيد وهو الإخلاص ، وكمال الإخلاص هو نفي الصفات عنه إن كانت صفاتاً سلبيةً جلاليةً أو ثبوتيةً فعليةً يجوز اتصافه بضدها (وسيأتي بحث الصفات لاحقاً) ونفيُ الصفة يكون لمحذور التعدّد (أي أكثر من ذات مقدسة والعياذ بالله) لان الوصف يؤدي إلى التثنية والتجزئة ومآل كل هذا إلى التحيّز والحدّ والجسميّة المنزّهِ عنها جلّ وعلا علواً كبيرا.

النظر في دعوى من يدّعي النبوة وفي معجزته[1]، ولا يصح عندها تقليد الغير في ذلك مهما كان ذلك الغير منزلة وخطراً.

وما جاء في القرآن الكريم من الحثّ على التفكير[2] واتّباع العلم والمعرفة[3] ، فإنما جاء مقرِّراً لهذه الحرية الفطرية في العقول التي تطابقت عليها آراء العقلاء، وجاء منبِّهاً للنفوس على ما جُبلت عليها من الاستعداد للمعرفة والتفكير، ومفتِّحاً للأذهان، وموجِّهاً لها على ما تقتضيه طبيعة العقول .

فلا يصـــح ـ والحال هذه ـ أن يهمل الانســـان نفســـه في الأُمور الاعتقادية، أو يتّكل على تقليد المربين، أو أي أشـــخاص آخرين، بل يجب عليه ـ بحســـب الفطرة العقلية المؤيدة بالنصـــوص القرآنية [4]ـ أن يفحص ويتأمَّل، وينظر ويتدبَّر في أُصـول اعتقاداته المسـماة بأصـول الدين التي أهمّها: التوحيد، والنبوة، والإِمامة، والمعاد.

ومن قلد آباءه أو نحوهم في اعتقاد هذه الأُصول فقد ارتكب شططاً، وزاغ عن الصراط المستقيم، ولا يكون معذوراً أبداً.

---

[1]. حيث أن العقل يحكم بوجود إعجاز غير عاديّ ليُصدَّق بهذا النبي ...

[2]. حيث أن حبّ المعرفة والتوق لكشف المُبهمات يحثّ العقل على التتبّع ، مع مصاحبة التوفيق الدائم من الله تعالى.

[3]. في تبيين للفرق بين العلم والمعرفة حيث أن الأول (العلم) هو المتعلّق بالكليّات والأمور العامة، أما الثاني (المعرفة) فهي التطرّق إلى الجزئيّات وفي تفسير آخر هو العلم بعد توسّط النسيان.

[4]. الآيات الشريفة (الروم 30 ، الشمس 7-8) : { فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيّم ولكّن أكثر الناس لا يعلمون } { ونفسٍ وما سواها فألهمها فجورها وتقواها}، وهي فطرته الموجهّة له لحبّ الخير والمعروف والعلم والمعرفة والتفحّص ، ونبذ القبح والظلم وغيره....

وبالاختصار عندنا هنا ادّعاءان[1]:

الأول: وجوب النظر والمعرفة في أُصول العقائد، ولا يجوز تقليد الغير فيها.

الثاني: إنّ هذا وجوب عقلي قبل أن يكون وجوباً شـــرعياً، أي لا يســـتقى علمه من النصـــوص الدينية، وإن كان يصحّ أن يكون مؤيّداً بها بعد دلالة العقل.

وليس معنى الوجوب العقلي إلاّ إدراك العقل لضـــرورة المعرفة، ولزوم التفكير والاجتهاد في أُصول الاعتقادات.[2]

---

[1]. إعلم أن العقل بحكم محبّته الذاتية للمعرفة وتَوقه للكمال يرنو إلى تحصيل المعارف وإرجاع المسبَبات إلى أسبابها أو عِللها، لذا كان لزاماً عليه أن لا يكتفي بالمعلوميّة المتحصّلة من الحواسّ وما تمنحه من معطيات، بل يسعى لمعارفَ أسمى فيُعمِل إدراكاته وتوليفاته الداخلية، ويربطها ليصلَ إلى ضرورة وجود علّةٍ إيجاديةٍ سامية تُصدّر كل هذه البدائع.

وفي المُعتقد لا يجوز التقليد ولا ينفع ، وقد توضّحت بعض ثمرات ذلك حيث أن التقليد في العقيدة يورث هشاشة و زلزلةً في القلب تزيغ عند أول مفترق وبعد أول شبهة.

يترشّح إذن :

- وجوب التفحّص والنظر وعدم التقليد في العقيدة أي : لإثبات ضرورة وجود خالق حكيم وبعثته للأنبياء للتبليغ والهداية ، مع ما يترتّب من ذلك في ضرورة تلقين الناس أصول الدين (توحيد ، عدل، نبوة، إمامة، معاد).

الوجوب العقلي سابق على الوجوب الشرعي بل يصلح جامع التكليف الشرعي (جامع التكليف أي : أن تجتمع العبادات في موحّد وغاية مشتركة لها مثل الإمتثال لأمر الله تعالى مثلاً) كشاهدٍ ومؤيدٍ ، فإننا نريد الإثبات بالدليل العقلي لا الشرعي لكي لا ندخل في محذور الدور (وهو توقّف الشيء على نفسه)؛ وفي فرضنا هو توقّف معرفة الله أو وجوده على معرفة الله أو وجوده (إذ إن معرفة الله أو وجوده متوقفة على الحكم الشرعي والحكم الشرعي متوقف على معرفة الله وبعثه لأنبيائه أو وجوده) بالتالي توقّفه على نفسه.

[2]. وهذه كلّها أمور ذهنية فضاؤها الذهن.

2. عقيدتنا في التقليد بالفروع[1]

أمّا فروع الدين - وهي أحكام الشريعة المتعلِّقة بالأعمال - فلا يجب فيها النظر والاجتهاد[2]، بل يجب فيها - إذا لم تكن من الضروريّات في الدين الثابتة بالقطع، كوجوب الصلاة والصوم والزكاة - احد أمور ثلاثة:

1. **إمّا أن يجتهد وينظر في أدلة الأحكام، إذا كان أهلاً لذلك.**
2. **وإمّا أن يحتاط في أعماله إذا كان يسعه الاحتياط.[3]**
3. **وإمّا أن يقلِّد المجتهد الجامع للشرائط ، بأن يكون من يقلِّده: عاقلاً، عادلاً (صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه)[4]**

---

[1]. إعلم أن فروع الدين عشرة (الصلاة والصوم والحج والجهاد والزكاة والخمس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتولّي والتبرّي)

[2]. الاجتهاد في اللغة مأخوذ من الجهد، وهو بذل الوسع للقيام بعمل ما.

أما اصطلاحاً فهو استنباط الحكم الشرعي من مداركه المقرّرة، وقد ورد أنّ الأنسب في التعبير عنه: مَلَكة تحصيل الحُجج على الأحكام الشرعية، أو الوظائف العملية شرعية أو عقلية. **(المسائل المنتخبة للسيد السيستاني ص9 .10)**

[3]. الاحتياط: وهو العمل الذي يتيقّن معه ببراءة الذمة من الواقع المجهول، وهذا هو الإحتياط المطلق، ويقابله الإحتياط النسبي كالإحتياط بين فتاوى مجتهدين يُعلم إجمالاً بأعلميّة أحدهم. **(المصدر السابق ص ١٠ و١٤.)**

[4]. التقليد: هو تطابق العمل مع فتوى المجتهد الذي يكون قوله حجّة في حقّه فعلاً مع إحرازٍ مطابقته لها.

والمقلِّد قسمان:

1. من ليست له أية معرفة بمدارك الاحكام الشرعية.
2. من له حظٌ من العلم بها ومع ذلك لا يقدر على استنباط. **(المسائل المنتخبة للسيد السيستاني ص9)**

فمن لم يكن مجتهداً ولا محتاطاً ثم لم يقلِّد المجتهد الجامع للشرائط فجميع عباداته باطلة لا تُقبل منه ،وإن صلّى وصام وتعبَّد طول عمره، إلاّ إذا وافق عمله رأي من يقلِّده بعد ذلك، وقد اتّفق له أنّ عمله جاء بقصد القربة إلى الله تعالى.[1]

[1]. أورد العلماء الأعلام في مقدمة رسائلهم العملية، المتضمنة لفتاواهم في باب التقليد ما يُغني تفصيل هذه المسألة (حيث يجب على كل مكلف لم يبلغ رتبة الاجتهاد أن يكون في جميع عباداته، ومعاملاته، وسائر أفعاله وتروكه، مقلداً أو محتاطاً، إلاّ أن يحصل له العلم بأنّه لا يلزم من فعله، أو تركه مخالفة لحكمٍ الزاميّ ولو مثل حرمة التشريع، أو يكون الحكم من ضروريات الدين أو المذهب، كما في بعض الواجبات والمحرمات وكثير من المستحبات والمباحات، ويحصل له العلم الوجداني أو الاطمئنان الحاصل من المناشيء العقلائية، كالشياع، وإخبار الخبير المطلّع عليها بكونه منها)

(منهاج الصالحين الجزء الأول من فتاوى آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله ص٩.)

3. عقيدتنا في الاجتهاد[1]

نعتقد: أنّ الاجتهاد في الأحكام الفرعية واجب بالوجوب الكفائي على جميع المسلمين في عصور غيبة الامام[2]، بمعنى أنّه يجب على كلّ مسلم في كلّ عصر ،ولكن إذا نهض به من به الغنى

---

[1]. والمجتهد مطلق ومتجزئ:

فالمجتهد المطلق هو: (الذي يتمكّن من الاستنباط في جميع أنواع الفروع الفقهية)

والمجتهد المتجزئ هو: (القادر على استنباط الحكم الشرعي في بعضها دون بعض) **(المسائل المنتخبة للسيد السيستاني ص9 .10)**

[2]. إعلم أن أبرز أدلة التقليد ووجوب الإجتهاد (كفائياً):

<u>من القرآن الكريم وهي الآية الكريمة:</u>

- {وما كان المؤمنون لينفروا كافّة فلولا نَفر من كل فِرقةٍ منهم طائفةٌ ليتفقّهوا في الدّين وليُنذِروا قومَهم إذا رجِعوا إليهم لعلّهم يَحذَرون} **(التوبة 122)**

فإن لولا عندما تدخل على المضارع تفيد الحضّ على الفعل بينما عندما تدخل على الماضي تفيد التوبيخ واللوم فإنه جل وعلا لامهم على عدم نفرهم للتفقّه، وتركهم له والتوبيخ لا يكون إلا إذا كان الفعل واجباً، ويؤدي تفويته إلى خسارة عظيمة ولكنه كفائيّ لاستخدامه حرف من الذي يُفيد التبعيض، وكذلك استخدام لفظ الطائفة وهي مجموعة من الناس، "وليُنذروا قومهم " يُفيد وجوب الإنذار الدالّ على وجوب التفقّه كفائياً ووجوب العمل بالعلم المتحصّل منه.

<u>كما أنه ويوجد أدلة روائية منها:</u>

- قول الإمام الصادق (ع) لأبّان بن تغلب: **" إجلس في مسجد المدينة وأفتِ الناس فإني أحبّ أن أرى في شيعتي مثلك ".(رجال النجاشي ص 10) .**

- رواية أبي خديجة سالم بن مكرم عن الإمام الصادق (ع):" **إياكم أن يُحاكم بعضكم بعضاً إلى أهل الجور ولكن انظروا إلى رجل منكم يعلم شيئاً من قضايانا فاجعلوه بينكم فإنّي قد جعلته قاضياً فتحاكموا إليه" (وسائل الشيعة ج 18 ص 4)** ذات دلالة على وجوب وجود شخص يعرف الأحكام الشرعية للدين الحنيف، وهي ما يقرّب إلى الله تعالى من أعمالٍ ووظائف، وإن صرفها البعض إلى الحكم والفصل في القضاء.

- قول الإمام الصادق (ع) لهشام بن سالم: **"إنما علينا أن نُلقيَ إليكم الأصول وعليكم أن تفرّعوا "(مستطرفات السرائر ص 57)** ، واضحُ الدلالة على ضرورة التفقّه والاجتهاد في طلبه لتوضيح النصوص بالخصوص المُجملةِ منها وتفريع الأحكام الشرعية عليها.

- قول الإمام الرضا (ع) لعبد العزيز المهتدي عندما سأله قائلاً : إنّي لا ألقاك في كل وقت فممن آخذ معالم ديني ، فقال (ع) : **"خذ عن يونس بن عبد الرحمن ". (وسائل الشيعة باب صفات القاضي ص 218)** ذات دلالة واضحة، لا بل إمضاءٌ من الأئمة (ع) على وجود من يُؤخذ منهم الدين الصحيح طبقاً لما عُلّموا من قبلهم (ع) .

سيرة المتشرّعة:

وهي السلوك العملي المستمرّ لأهل التديّن المؤمنين ، وهي تعتبر إحدى الطرق لإثبات صدور هذه الأحكام من المعصوم (ع) ، فتدلّ بالتالي على وجود حكم **!** ، فنحن نسأل الأعرف من المتشرّعة كما جرت العادة.
وهي التي تُفضي إلى إتّباع الأعلم وسؤال الأفقه أو بالحد الأدنى سؤال الأعرف بالأمور الدينية تحرّزاً عن المخالفة وخوفاً من مغبّة الوقوع في النواهي أو الشبهات.

السيرة العقلائية:

وهي السلوكيات التي تصدر من العقلاء بما هم عقلاء ، أي : أصحاب العقول السليمة وطريقتهم في حياتهم اليومية حيث يجنحون عادة لصاحب الخبرة الواسعة بالتالي الأعلم والأفقه .
التي تقضي بالرجوع إلى أهل الخبرة ، فضلاً أن حجيّة العقل ذاتيّة.

والكفاية سقط عن باقي المسلمين، ويكتفون بمن تصدّى لتحصيله وحصل على رتبة الاجتهاد وهو جامع للشرائط، فيقلِّدونه، ويرجعون إليه في فروع دينهم.

ففي كلّ عصر يجب أن ينظر المسلمون إلى أنفسهم، فإنْ وجدوا من بينهم من تبرَّع بنفسه، وحصل على رتبة الاجتهاد - التي لا ينالها إلاّ ذو حظ عظيم - وكان جامعاً للشرائط التي تؤهّله للتقليد، اكتفوا به وقلّدوه، ورجعوا إليه في معرفة أحكام دينهم.

وإن لم يجدوا من له هذه المنزلة وجب عليهم أن يحصِّل كل واحد رتبة الاجتهاد، أو يهيؤا من بينهم من يتفرَّغ لنيل هذه المرتبة، حيث يتعذَّر عليهم جميعاً السعي لهذا الاَمر أو يتعسَّر.

كما وأحب أن أورد بعض الروايات الشريفة التي تحضّ على التفقّه تثبيتاً للمعنى :

عن رسول الله (ص) : **"إذا أراد الله بأهل بيت خيراً فقّههم في الدين"** 1

عن الإمام علي (ع) : **"من اتّجر بغير فقه ارتطم بالربا". 2**

وهذا المحذور يخاف منه العابد.

وعنه (ع) : **"لا خير في عبادة ليس فيها تفقّه".3**

حيث أنها وبدون الفقاهة على مستطيعها تخلو من روحيتها أو تنقص كماليّتها.

عن الإمام السجّاد (ع) : **"متفقّه في الدين أشد على الشيطان من عبادة ألف عابد" 4.**

لعلّ وجه الأشدّية يكون في تأثير الفقاهة على المجتمع ، وانحصار تأثير العبادة على نفس العابد والله العالم .

وعن الإمام الصادق (ع) : **"لا يصلح المؤمن إلا ثلاث خصال : التفقه في الدين ، وحسن التقدير في المعيشة ، والصبر على النائبة" 5**. دلالة واضحة على أهمية التفقّه حيث أن الصلاح مطلوب بكل حال.

1.مستدرك الوسائل ج8 ص392 ، 2. عيون الحكم والمواعظ ص455 ، 3. تحف العقول ص204 ،4. بصائر الدرجات 27 ، 5. تحف العقول ص358

ولا يجوز لهم أن يقلِّدوا من مات من المجتهدين.[1]

---

[1]. إعلم إنّ الإمام محمد المهدي ابن الإمام الحسن العسكري (ع) وهو آخر الأئمة المعصومين وله غيبتان:

الأَولى: تسمى بالغيبة الصغرى:

ابتدأت في السنة التي توفّي فيها والده الإمام العسكري (ع) عام ٢٦٠ هـ، وانتهت عام ٣٢٩ هـ وكان له فيها سفراء أربعة هم:

أولاً: عثمان بن سعيد العمري الاسدي، وقد كان وكيلاً للإمام الهادي، ثم للإمام العسكري، ثم للإمام محمد المهدي (ع) وفاته عام ٢٦٧ هـ.

ثانياً: محمد بن عثمان بن سعيد العمري الأسدي، حيث قام بأمر السفارة بعد وفاة أبيه مدّة تقارب الأربعين عاماً حتى وفاته عام ٣٠٥ هـ.

ثالثاً: الحسين بن روح، حيث قام بأعباء السفارة المقدّسة منذ وفاة محمد بن عثمان العمري حتى وفاته عام ٣٢٦ هـ.

رابعاً: علي بن محمد السمري، وهو آخر السفراء الأَربعة، وقد قام بسفارته لمدّة ثلاث سنوات انتهت بوفاته في ١٥ شعبان ٣٢٩ هـ.

والمعروف أنّ هؤلاء السفراء الأربعة دُفنوا بأجمعهم - بعد وفاتهم - في مدينة بغداد، ومشاهدهم معلومة مشهورة إلى يومنا الحاضر.

والثانية: الغيبة الكبرى:

ابتدأت بتاريخ ١٥ شعبان ٣٢٩ هـ بوفاة السفير الرابع، الذي قال عندما سُئل عمّن يخلفه بهذا الأَمر :"لله أمر هو بالغه" وفيه بيان لما أعلمه به الإمام المنتظر (عج) ببداية الغيبة الكبرى المستمرة إلى يومنا هذا، حيث اصبحت نيابة الإمام في عصر غيبته موكولة إلى المجتهد الجامع للشرائط المبسوطة في كتب الفقه.

وفي ضوء ما سبق من تعريف الاجتهاد نجد : أنّ عملية الاستنباط التي تعني تحديد الموقف العملي تجاه الشريعة تحديداً استدلالياً وتأتي ضرورة الاجتهاد لبداهة أنّ الانسان ـ بحكم تبعيته للشريعة المقدّسة، ووجوب امتثال أحكامها ـ مُلزم بتحديد موقفه العملي منها، ولمّا لم تكن أحكام الشريعة ـ غالباً ـ من البداهة والوضوح

والاجتهاد هو: النظر في الاَدلّة الشرعية لتحصيل معرفة الاَحكام الفرعية التي جاء بها سيِّد المرسَلين صلى الله عليه وآله، وهي لا تتبدَّل، ولا تتغيَّر بتغيّر الزمان والاَحوال (حلال محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة).

والاَدلّة الشرعية هي: الكتاب الكريم، والسنَّة، والاجماع، والعقل، على التفصيل المذكور في كتب أُصول الفقه.

وتحصيل رتبة الاجتهاد تحتاج إلى كثير من المعارف والعلوم التي لا تتهيّأ إلاّ لمن جد واجتهد، وفرَّغ نفسه، وبذل وسعه لتحصيلها.

بدرجة تغني عن إقامة الدليل، فليس من المعقول أن يُحرم الناس جميعاً تحديد الموقف العملي تحديداً استدلالياً، ويُحجر عليهم النظر في الأدلّة التي تحدّد موقفهم تجاه الشريعة، فعملية الاستنباط إذن ليست جائزة فحسب، بل من الضروري أن تُمارس، وهذه الضرورة تنبع من دافع تبعية الانسان للشريعة، والنزاع في ذلك على مستوى النزاع في البديهيات، وقد مرّت - كلمة الاجتهاد - بمصطلحات عديدة في تاريخها بحيث ألقت ظلال تلك المصطلحات عليها، وأصبحت مثاراً للاختلاف نتيجة الغموض والتشويش، ولم تستقر في مدلولها اليوم حتى تجاوزت مراحل من التطورات في مفهوم اصطلاحها.

انظر: المعالم الجديدة للاصول: السيد الشهيد الصدر(قده): ٢٣ وما بعدها. وللمزيد من الاطلاع على ما يخص الغيبة راجع تاريخ الغيبة الصغرى للسيد محمد الصدر: ٣٩٥ الفصل الثالث (السفراء الأربعة حياتهم ونشاطهم)

4. عقيدتنا في المجتهد:

وعقيدتنا في المجتهد الجامع للشرائط: إنّه نائب للإمام عليه السلام في حال غيبته، وهو الحاكم والرئيس المطلق، وله ما للإمام في الفضل في القضايا والحكومة بين الناس، والراد عليه راد على الامام، والراد على الامام راد على الله تعالى، وهو على حدّ الشرك بالله، كما جاء في الحديث عن صادق آل البيت (ع).

فليس المجتهد الجامع للشرائط مرجعاً في الفتيا فقط، بل له الولاية العامة،[1] فيُرجع إليه في الحكم والفصل والقضاء، وذلك من مختصّاته؛ لايجوز لأَحد أن يتولاّها دونه، إلاّ بإذنه، كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيرات إلاّ بأمره وحكمه[2].

---

[1]. (ولاية الفقيه) : الولاية وهي نحوٌ من القُرب يُوجب نوعاً من حقّ التصرّف ومالكيّة التدبير ، وليس المراد منها ما يثبت للمعصوم بشكل كامل ، بل هي لإكمال النقص الحاصل عند المولّى عليهم سواءً في أمور عبادتهم أو واجباتهم ؛ خاصة الأمور الحسبيّة ؛ وهي التي لا بدّ من القيام بها ولا يُمكن تركها حيث تؤدي لخلل وإفساد ، لصيانة مصالح العباد والبلاد ، والتي لا يوجد من يتولّاها بشكل واضح (كالولاية على الصبيّ والمجنون اللذين لا والٍ لهما) ، وهناك رأي عند الفقهاء بتوسيع دائرتها ليشمل السلطة والسيادة جميعها.

روي عن الإمام المهدي (عج): **"وأمّا الحوادث الواقعة، فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا؛ فإنّهم حجّتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم" وسائل الشيعة باب 11/ 10 – الإحتجاج ج 2 ص 470**

مع ورود روايات أخرى **" وأنا حجة الله عليكم، وأنا حجة الله " الإحتجاج 283/2 – الوسائل 140/27**

[2]. يدل عليه رواية عمر بن حنظلة؛ حيث قال: سألت أبا عبدالله(ع) عن رجلين من أصحابنا بينهما منازعة في دين أو ميراث فتحاكما إلى السلطان وإلى القضاة، أيحلّ ذلك؟ قال (ع) : **"من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنّما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنّما يأخذه سحتاً وإن كان حقّاً ثابتاً له؛ لأنّه أخذه بحكم الطاغوت وما أمر الله أن يكفر به، قال الله تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلى الطّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أن يَكْفُروا بِه}** قلت: فكيف يصنعان؟ **قال: ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا**

ويرجع إليه أيضاً في الأَموال التي هي من حقوق الامام ومختصّاته.[1] وهذه المنزلة أو الرئاسة العامّة أعطاها الإمام (ع) للمجتهد الجامع للشرائط؛ ليكون نائباً عنه في حال الغيبة، ولذلك يسمّى (نائب الإمام).

فليرضوا به حكماً؛ فإنّي قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبل منه فانّما استخف بحكم الله، وعلينا ردّ والرّاد علينا الراد على الله وهو على حد الشرك بالله".

راجع الوسائل: ١٣٦/٢٧ ح٣٣٤١٦، الكافي: ٥٤/١ ح١٠، الاحتجاج: ٢٦٠/٢ ح٢٣٢، تهذيب الاحكام: ٢١٨/٦ ح٥١٤ و٣٠١ ح ٨٤٥، والآية: النساء ٤: ٦٠.

وإن كان انصراف الرواية الأوليّ إلى القضايا القضائية فقط، لكنّ شامّة السُلطة والقيادة والحاكميّة تترشّح فيها، مع وجود كلامٍ في سندها وبحوث في توسيع دائرة حدودها (مبحوثة في محلّها مثل بحث ولاية الفقيه للشيخ الأنصاري في كتابه المكاسب).

[1]. ويقصد بالأموال: الزكاة والخمس:

الزكاة: وهي من ضروريات الدين.

وقد ورد في جملة من الأخبار أنّ مانع الزكاة كافر، وأنّ من لا زكاة له لا صلاة له.

ووجوبها في تسعة أشياء هي:

1. الأنعام الثلاثة:
- الإبل، البقر والغنم.
2. النقدين:
- الذهب والفضة.
3. الغلات الأربع:
- الحنطة، الشعير، التمر والزبيب .

وهي تؤخذ في كل عام من هذه التسعة بنِسب، وبشروط مذكورة في محلّها، ولا تجب في غير هذه التسعة، إلاّ أنّها تُستحبّ في مال التجارة والخيل وما تُنبت الأرض من الحبوب وغيرها.

وتُصرف هذه الأموال على ثمانية أصناف هي:

1. الفقير: وهو من لا يملك قوت سنته.
2. المسكين: وهو من لا يملك قوت يومه.
3. العاملين عليها: الحرّاس وعاملي الجباية مثلاً.
4. المؤلفة قلوبهم: الذين يستميلهم الحاكم بهذا المال ليأمن شرّهم مثلاً
5. الرقاب: وهي جمع رقبة؛ المؤمن العبد يُنفق لتحريره حسب المصلحة.
6. الغارمين: المؤمن المديون.
7. سبيل الله - وهو جميع سبل الخير، وقيل خصوص ما فيه مصلحة عامة
8. ابن السبيل - وهو المسافر الذي نفذت نفقته، أو تلِفت راحلته بحيث لا يقدر على الذهاب إلى وطنه - وإن كان غنياً، ولا شيء من أحكام الزكاة عند الامامية إلا وهو موافق لمذهب من المذاهب الأربعة المعروفة.

العروة الوثقى: ٢/ ٨٧ - ١٣٤، المسائل المنتخبة للسيد السيستاني: ٢١٣ - ٢٣٣، أصل الشيعة واصولها - الطبعة المحققة لمؤسسة الامام علي(ع) :-٢٤٣.

الخمس: وهو عند الامامية حق فرضه الله تعالى لآل محمد (ص) عِوض الصدقة التي حرّمها عليهم من الزكاة.

والأصل فيه قوله تعالى: {واعلموا أن ما غنمتم من شيءٍ فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى} **(الأنفال 41)** وهو واجبٌ في سبعة اشياء:

1. الغنائم المأخوذة من الكفار من أهل الحرب بمقاتلتهم بإذن الإمام.
2. المعادن، من الذهب والفضة والرصاص وما شابهها.
3. الكنز.
4. الغوص أي إخراج الجواهر من البحر.

5. المال الحلال المخلوط بالحرام على وجه لا يتميز مع الجهل بصاحبه وبمقداره.
6. الأرض التي اشتراها الذمي من المسلم.
7. ما يفضل عن مؤونة السنة ومؤونة العيال من ارباح التجارات والمكاسب.

ويقسم على ستة أقسام:

1 - لله تعالى
2 - للنبي (ص)
3 - للإمام .وهذه الاسهم الثلاثة مختصة بالامام المهدي المنتظر (عج).
4 - الأيتام.
5 - المساكين.
6 - أبناء السبيل. وهذه الأسهم الثلاثة مُختصّة بالسادة الكرام من آل هاشم.

وللمزيد من التوضيح راجع العروة الوثقى: ٢/ ١٧٠ - ١٩٩، المسائل المنتخبة للسيد السيستاني ٢٣٩ - ٢٥١، أصل الشيعة واصولها: ٢٤٥ وكافة كتب الفقه والرسائل العملية.

الفصل الأول

الإلـــــــهـــيــــــــات

1. عقيدتنا في الله تعالى
2. عقيدتنا في التوحيد
3. عقيدتنا في صفاته تعالى
4. عقيدتنا بالعدل
5. عقيدتنا في التكليف
6. عقيدتنا في القضاء والقدر
7. عقيدتنا في البداء
8. عقيدتنا في أحكام الدين

1. عقيدتنا في الله تعالى

نعتقد[1]: أنّ الله تعالى واحد احد ليس كمثله شيء، قديم لم يزل ولا يزال[1]، هو الأوّل والآخر، عليم، حكيم، عادل، حي، قادر، غني، سميع، بصير. ولا يوصف بما تُوصف به المخلوقات؛ فليس

[1]. قال الله تعالى في مُحكم كتابه العزيز: {يسألك أهل الكتاب أن تنزّل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرةً فأخذتهم الصاعقة بظلمهم}. **النساء 153**، العذاب هو للسائل الذي طلب رؤية الله جهراً لأنها مستحيلة ولم تنفع في وعظِه آلاء الأرض والسماء.

روي عن الامام علي(ع) قوله في جواب ذعلب: "لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره" ثم أردف قائلاً في وصف الله تعالى: ويلك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان. ويلك يا ذعلب، إنّ ربي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بالقيام قيام انتصاب ولا بجيئة ولا بذهاب، لطيف اللّطافة لا يوصف باللّطف، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ، رؤوف الرحمة لا يوصف بالرقة، مؤمن لا بعبادة، مدرك لا بمجسّة، قائل لا باللّفظ، هو في الأشياء على غير ممازجة، خارج منها على غير مباينة، فوق كل شيء فلا يقال شيء فوقه، وأمام كل شيء فلا يقال له أمام، داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل، وخارج منها لا كشيء من شيء خارج.

التوحيد للصدوق: ٣٠٤ - باب حديث ذعلب - ، أمالي الصدوق: ٢٨٠ المجلس الخامس والخمسون، بحار الأنوار: ٢٧/٤.

وهذه العبائر العطِرة منه (ع) تُفيد بشكل واضحٍ: أنّه لا يُمكن تطبيق مُدركاتنا الحسّية عليه تعالى ؛ من حركة وسكون وذهاب ومشاهدة ، ولا يمكن حصره جلّ وعلا في حيّزٍ زمانيّ أو مكانيّ..

عن الصادق (ع) حين سُئل هل يُرى الله في المعاد قال (ع): **سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً، إن الأبصار تُدرك ما له لونٌ وكيفية والله خالق اللون والكيفية. (بحار الانوار ج4 ص 31 حديث 5)**

شرح عبارات الإمام (ع) لذعلِب:

اللطف هي الرقة، العظم هو الكبر والضخامة، الكبْر هو التعاظم والتكبّر، الغلظ هو الفظاظة والقساوة، الرقة هي الليونة والسهولة المتناسبة مع المواصفات الجسمية، مباينة وهي المفارقة والمخالفة.

هو بجسم ولا صورة، وليس جوهراً ولا عرضاً، [2]وليس له ثقل أو خفة،[3] ولا حركة أو سكون[4]، ولا مكان ولا زمان، ولا يشار إليه[5] ، كما لا ندَّ له، ولا شبه، ولا ضدّ، ولا صاحبة له ولا ولد، ولا شريك، ولم يكن له كفواً أحد[6]، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار[7].

---

[1]. أزلي : قديم لا أول له.

[2]. الجوهر هو الموجود الممكن الذي يكون قائماً بذاته وهو المتحيّز الذي لا يقبل القسمة في جهة من الجهات والعَرَض هو ما كان قائماً بغيره ولا يقوم بذاته كاللون والحركة حيث أن هذه الأعراض بحاجة إلى أجسام تحملها لتظهر وتبين ، فيكون إذن قائماً بغيره ، ألا ترى أنك بحاجة إلى جدار مثلاً لتصف أن لونه أبيضاً ، وأنك بحاجة إلى جسم لتصفه بالحركة أو السكون ؟

[3]. منزّه عن الصفات التي توحي بالجسميّة.

[4]. لاستلزام أن يكون في حيّز.

[5]. تحديده يستلزم وجوده في حيّز وهو منزّه عنه جل وعلا.

[6]. الكفو هو المثل والنظير.

[7]. يعلم خائنة الأعين التي لا يُلاحظها أحدٌ بالعين الباصرة.

ومن قال بالتشبيه في خلقه، بأن صوَّر له وجهاً ويداً وعيناً،[1] أو أنّه ينزل إلى السماء الدنيا، أو أنّه يظهر إلى أهل الجنة كالقمر[2]، أو نحو ذلك،[3] فانّه بمنزلة الكافر به، جاهل بحقيقة الخالق المنزَّه عن النقص، بل كل ما ميّزناه بأوهامنا في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلنا مردود إلينا على حد تعبير الامام الباقرعليهالسلام (ع)[4] وما أجلّه من تعبير حكيم! وما أبعده من مرمى علمي دقيق!

[1]. إذ فهموا الآيات القرانية على نحو التجسيم والعياذ بالله مثل آية (يدُ الله فوق أيديهم)، اليد التي تعبّر عن الإنعام أو الإمساك ، فلا بدّ إذن من تأويل كل عبارةٍ مخالفة لأمر العقل باستحالة جسمانيّة الخالق لأنه منزّه عن ذلك ، حيث أن الكثير من التعابير في الآيات الكريمة التي طبّقها غير الشيعة على المدلول اللغوي المحض كلفظ العرش مثلاً ولم يلتفتوا أو تغافلوا عن استحالة اتّصافه تعالى بموصوفهم الجسماني ، بل من الضروري أن يؤول بالقوة والقدرة والهيمنة ، وقد سُئل أمير المؤمنين علي (ع) عن تفسير الآيات الكريمة فقال (ع) : ... وأمّا قوله { كل شيء هالكٌ إلا وجهه }" **فإنما أنزلت كل شيء هالك إلا دينه ، لأنه من المُحال أن يهلك منه كل شيء ويبقى الوجه ، هو أجلّ وأكرم من ذلك ، إنما هلك من ليس منه ، ألا ترى أنه قال : { كل من عليها فان * ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام} : نُفصّل بين خلقه و وجهه." (الإحتجاج للطبرسي 253/1)** وعن أبي جعفر (ع) في قوله تعالى { كل شيء هالكٌ إلا وجهه } قال : " **فيفنى كل شيء ويبقى الوجه ؟؟ الله أعظم من أن يُوصف، لا ولكن معناها: كل شيء هالك إلا دينه، ونحن الوجه الذي يؤتى الله منه..." (التوحيد للصدوق 149)**، وغيرها من الآيات الكريمة: {فأينما تولوا فثمّ وجه الله } البقرة 115 { إنما نُطعمكم لوجه الله} الإنسان 9 ، تؤول أن كلّ الأعمال التي لا تكون خالصةً لله تعالى فهي باطلة ...

[2]. وهذا من تخاريف المجسّمة.

[3]. كقول الكراميّة: نسبةً إلى محمد ابن كرّام السجستاني وهم فرقة من المُرجئة وعندهم أن الإيمان هو تصديقٌ باللسان دون التصديق بالقلب.

[4]. بحار الأنوار العلامة المجلسي ج 66 ص 293

وكـذلك يُلحـق بالكـافر مـن قـال: إنّـه يتـراءى لخلقـه يـوم القيامـة[1] ، وإن نفـى عنـه التشـبيه بالجسـم لقلقـة فـي اللسـان؛ فـان أمثـال هـؤلاء المـدّعين جمـدوا علـى ظـواهر الألفـاظ فـي القـرآن الكـريم أو الحـديث، وأنكـروا عقـولهم وتركوهـا وراء ظهـورهم. فلـم يسـتطيعوا أن يتصرَّفوا بالظواهر حسبما يقتضيه النظر والدليل وقواعد الاستعارة والمجاز[2].

---

[1]. حيث حكم الأشاعرة بأنّ الله تعالى يتراءى لخلقه. **راجع: الابانة في أصول الديانة لأبي الحسن الأَشعري: ٥ و٦، الملل والنحل: ٨٥/١ إلى ٩٤**

أما المجسّمة الذين زعموا أنّ أهل المحشر كافّة سيرونه ـ تعالى عن ذلك ـ يوم القيامة نُصب أعينهم باتصال أشعّتها بجسمه، ينظرون إليه لا يمارون كما لا يمارون في الشمس والقمر ليس دونهما سحاب..(يمارون يعني يشكّون) فإنّ محل النزاع منحصر في أنّ رؤية الباري تعالى هل هي ممكنة مع تنزيهه؟ أم هي مع التنزيه ممتنعة مستحيلة؟ فالأشاعرة ذهبوا إلى الأول (إمكان الرؤية مع التنزيه) وذهبنا نحن ـ تبعاً لأئمتنا (ع) -إلى الثاني(التنزيه والإمتناع)

من كتاب كلمة حول الرؤية للاِمام السيد عبد الحسين شرف الدين(قده)

[2]. كان ينبغي منهم تأويل هذه الآيات الشريفة (يد الله فوق أيديهم أي قوته وسلطانه وليس اليد الجسميّة)

2. عقيدتنا في التوحيد:

ونعتقد: بأنّه يجب توحيد الله تعالى من جميع الجهات، فكما يجب توحيده في الذات ونعتقد بأنّه واحد في ذاته ووجوب وجوده[1]، كذلك يجب -ثانياً - توحيده في الصفات[2]، وذلك بالاعتقاد بأنّ

[1]. إعلم أن الموجود ينقسم إلى قسمين : واجب وممكن

- واجب الوجود : هو الذي لا يفتقر في وجوده إلى غيره ، ولا يجوز عليه العدم وهو الله تعالى. ويطلق على واجب الوجود الموجود الفعلي حالياً كوجودك أيها القارئ بلحاظ فعليّة وجودك الآن.
- ممكن الوجود : هو الذي يفتقر في وجوده إلى غيره ويجوز عليه العدم ، وهو ما سِوى الله تعالى ، فلو كان الباري ممكن لافتقر إلى غيره وإلى مؤثّر ، والمُفتقر ممكن .**(الرسائل العشر للشيخ الطوسي ص 104)**

[2]. الدليل على أن الله تعالى قديم أزلي(لا أول له) : وهو الذي لا أول لوجوده فلو كان لأوله وجوداً لكان مُحدثاً وهو جلّ وعلا ليس كذلك ، أما الأبديّ فهو الذي لا نهاية له ، والسرمديّ فهو مستمر الوجود بين الأزل والأبد.

والتوحيد يكون على ثلاثة أوجه :

- توحيد في الذات : وهو نفي التعدّد عنه وعدم التكثّر في الخارج ونفي التركيب من أجزاء – وأنه لا شريك له ، ومنع حتى فرض هذا الفرض.
- توحيد في الصفات : وهي أن صفاته عين ذاته لكي لا يلزم تركيبه ، والإعتقاد أنه لا شبيه له في صفاته الذاتية ، وسيأتي في بحثنا شرحٌ عن الصفات الجمالية والجلاليّة.
- توحيد في العبادة : الإعتقاد أنه لا عبادة لغيره ولا استحقاق لغيره للعبادة

والتوحيد يشمل مراتب خمسة :

1. التوحيد في وجوب وجوده تعالى وأن كل ما سواه ممكن.
2. التوحيد في الخالقية وأنه لا خالق سواه.
3. التوحيد في الربوبيّة التكوينية وأنه لا مؤثر غيره تكويناً وغيره.
4. التوحيد في الربوبيّة التشريعية وأن أوامره ونواهيه يجب امتثالها وأيّ أمرٍ أو نهي من سواه لا يرقى إلى ضرورة الإلتزام إلا بإمضائه تعالى.
5. التوحيد في الألوهية حيث لا إله غيره ولا معبود سواه

صفاته عين ذاته ـ **كما سيأتي بيان ذلك** ـ وبالاعتقاد بأنه لا شبه له في صفاته الذاتية؛ فهو في العلم والقدرة لا نظير له، وفي الخلق والرزق لا شريك له، وفي كلّ كمال لا ندَّ له.

وكذلك يجب ـ ثالثاً ـ توحيده في العبادة؛ فلا تجوز عبادة غيره بوجه من الوجوه، وكذا إشراكه في العبادة في أيّ نوع من أنواع العبادة؛ واجبة أو غير واجبة، في الصلاة وغيرها من العبادات.

ومن أشرك في العبادة غيره فهو مشرك، كمن يرائي[1] في عبادته ويتقرَّب إلى غير الله تعالى، وحكمه حكم من يعبد الأَصنام والأَوثان، لا فرق بينهما[2].

ونصاب التوحيد اللازم يكون بالإعتراف بوجوب الوجود المنحصر بالله الخالق، الإله الأوحد الرب التشريعي والتكويني.

[1]. الرياء أيضاً يُحبط العمل ويُبطله.

[2]. يذكر الشيخ المظفر (قده) في محاضراته الفلسفية قوله (في بحثنا الالهي نخطو خطوات ونجتاز مراحل):

1. المرحلة الاولى: في إثبات أصل واجب الوجود.
2. المرحلة الثانية: بعد ثبوت أصل واجب الوجود لا بدّ أن يكون هو صرف الوجود (أقول صرف الوجود أي الوجود المطلق غير المتوقّف على أي سبب خارجي).
3. المرحلة الثالثة: بعد ثبوت المرحلتين ننتقل إلى وحدانيته؛ لأنّه إذا ثبت أنّه صرف الوجود فلا بد أن يكون واحداً؛ لأنّ صرف الشيء لا بدّ أن يكون واحداً، وإلاّ لم يكن صرف الشيء، وإذا كان عارياً من كل حدّ فلا يعقل أن يتعدّد؛ لأنّ الأشياء إنّما تتمايز بالحدود.

فالتوحيد لا ينحصر في الاعتقاد بوحدة واجب الوجود وأنه صرف الوجود، بل هو تعالى واحد في خلقه وفيضه، فكل الأشياء من فيضه وتجليات لنوره.

ثم يذكر الشيخ (قده) برهاناً للقدماء على التوحيد، وملخصه: (العالم واحد فلا بد أن يكون الخالق واحدا؛ فهناك تلازم بين وحدة الخالق ووحدة المخلوق - وهو العالم - بحيث لو فرض وجود عالمين لفرض وجود إلهين اثنين، وهو مقولة: الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد. (أقول أن هذه القاعدة مبحوثة في محلّها وأن بعض العلماء لا يسلّم بها، وإن سلّموا بها في العلل العادية كالإحراق وغيره مما يستدعي سنخيّة واحدة بين العلة والمعلول وهذا قد لا يصحّ في العلة الإيجادية وفيوضاتها من الله تعالى، نعم نقول أنه أفاض الحياة للمخلوقات فلا يكون

أمّا زيارة القبور وإقامة المآتم، فليست هي من نوع التقرُّب إلى غير الله تعالى في العبادة ـ كما توهّمه بعض من يريد الطعن في طريقة الامامية، غفلة عن حقيقة الحال فيها بل هي من نوع التقرُّب إلى الله تعالى بالاعمال الصالحة، كالتقرُّب إليه بعيادة المريض، وتشييع الجنائز، وزيارة الاخوان في الدين[1]، ومواساة الفقير. فإنّ عيادة المريض ـ مثلاً ـ في نفسها عمل صالح يتقرَّب به العبد إلى الله تعالى، وليس هو تقرُّباً إلى المريض يوجب أن يجعل عمله عبادة لغير الله تعالى

هناك سنخٌ واحدٌ بينه وبين خلقه ولا تنخرم القاعدة المذكورة بصدور أكثر من معلول من واحد ، بل هو موجد العلل وصانعها وخالقها وللبحث تتمّة في محلّه)

ثم يشير عند شرحه لخطبة التوحيد المشهورة للامام (ع) عند قوله (ع) : (وكمال توحيده الاخلاص له). والفكرة العاميّة للاخلاص هو الاخلاص بالعبادة، ولكن هذا المعنى لا يترتب على ما قبله، ولا ينسجم مع ما بعده؛ فالإخلاص يعني تنزيهه من كل النقائص، ومن كل شيء يقدح في كونه واجب الوجود، فهو أعمّ من الإخلاص في العمل والعبادة، فالتوحيد لا يكون توحيداً حقيقياً إلا إذا وحّدته من جميع الجهات في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته أيضاً، فالإخلاص له يعني التوحيد من جميع الجهات، وتنزيهه عن الشريك من جميع النواحي إلى آخره. **الفلسفة الاسلامية؛ محاضرات الشيخ المظفر قدس سره على طلاب كلية الفقه في النجف الاشرف، الدرس العاشر: ٩١، والدرس الحادي عشر: ٩٣، والدرس الرابع عشر: ١٠٣.**

وفي توضيح بسيط لكلام الإمام علي (ع) أن أول الدين معرفته فأول مبدأٍ هو الإسلام ومعرفته ومعرفة أحكامه، وكمال المعرفة هو الإعتقاد والإذعان والتصديق بالنفس والإقرار بما جاء به، والتوحيد هو كمال التصديق به بأن لا يعبد سواه، وكمال التوحيد هو الإخلاص له بأن لا يُشرك غيره في العمل، وكمال الإخلاص له هو نفي الصفات عنه بأن يكون صحيح الإعتقاد بالله، فلا ينسب له صفات تخدش تنزيهه جهلاً منه، لذلك ينبغي حسن الإطلاع ونفي أي صفة سلبية ...

[1]. عن الإمام الصادق (ع) : **"ألا وإن أحب المؤمنين إلى الله من أعان المؤمن الفقير من الفقر في دنياه ومعاشه"...(تحف العقول عن آل الرسول ص376)**

وعن الكاظم (ع):**" ليس شيء أنكى لابليس وجنوده من زيارة الإخوان في الله بعضهم لبعض" .(الكافي ج2 ص 188)**

أو الشرك في عبادته، وكذلك باقي أمثال هذه الأعمال الصالحة التي منها: زيارة القبور، وإقامة المآتم، وتشييع الجنائز، وزيارة الإخوان. أما كون زيارة القبور[1] وإقامة المآتم من الأعمال الصالحة الشرعية، فذلك يثبت في علم الفقه، وليس هنا موضع إثباته[2].

[1]. عن رسول الله (ص) قوله: **"يا أبا ذر أوصيك فاحفظ لعلّ الله ينفعك به: جاور القبور وتذكّر بها الآخرة وزرها أحياناً بالنهار ولا تزرها بالليل". (جامع أحاديث الشيعة السيد البروجوردي – ج3ص529)**
وعن أمير المؤمنين (ع):**" أن رسول الله (ص) رخّص في زيارة القبور وقال تذكركم بالآخرة". (المصدر السابق)**
وعنه (ع): **"... وأْتمّوا القبور التي ألزمكم الله حقّها وزيارتها واطلبوا الرزق عندها". (الخصال ص616)**
و نذكر ما ورد في السنة والسيرة للنبي وآله (ص) حول رجحان أمثال هذه الأعمال الصالحة؛ منها ما رواه البخاري في صحيحه **(باب فضائل أصحاب النبي: ٤/٢٠٤)** عنه (ص):**"على مثل جعفر فلتبك البواكي"،** وكذلك ندب النبي (ص) للبكاء على حمزة الشهيد فقال: **" على مثل حمزة فلتبك البواكي"** (راجع: طبقات ابن سعد: ٤٤/٢، ومغازي الواقدي :٣١٧/١، ومسند أحمد: ٤٠/٢). وذكر النسائي في سننه، كتاب الجنائز باب زيارة قبور المشركين، وابو داود في سننه في زيارة القبور ح ٣٢٣٤ وابن ماجه في سننه في باب ما جاء في زيارة قبور المشركين أنّ النبي (ص) زار قبر أُمه فبكى وأبكى من حوله. (مع تأسفي الشديد واعتذاري البالغ من رسول الله (ص) إذ كان أولئك اللُعناء يعتبرون أن أمّه (ص) الطاهرة السيدة آمنة (ع) من المُشركات، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) .

وكذلك صحّ بكاء الزهراء (ع) على أبيها وبكاء السيدة زينب بنت أمير المؤمنين(ع) على أخويها الحسن والحسين(ع)، وقال الامام الصادق (ع) : قال الحسين(ع): **"أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلا بكى". كامل الزيارات: ١٠٨.**

روي عن رسول الله (ص) : **"كل عين باكية يوم القيامة إلا عين بكت على مصاب الحسين فإنها ضاحكة مستبشرة بنعيم الجنة". بحار الأنوار ج 44 ص 293**

وقال (ع) : **"نَفَس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمّه لنا عبادة، وكتمان سرّنا جهاد في سبيل الله." بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٧٨ ح٤.**

وقال الامام الرضا(ع) : **"من تذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب". أمالي الصدوق: المجلس السابع عشر.**

[2]. بل هي بالحد الأدنى راجحة شرعاً.

والغرض؛ إنّ إقامة هذه الأعمال ليست من نوع الشرك في العبادة ـ كما يتوهمه البعض ـ وليس المقصود منها عبادة الأئمّة، وإنّما المقصود منها إحياء أمرهم، وتجديد ذكرهم، وتعظيم شعائر الله فيهم{ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ الله فَإِنَّها مِنْ تَقْوى القُلُوب}(1) . فكلّ هذه أعمال صالحة ثبت من الشرع إستحبابها، فإذا جاء الإنسان متقرِّباً بها إلى الله تعالى، طالباً مرضاته، استحقّ الثواب منه، ونال جزاءه.

(1). سورة الحج آية 32

3. عقيدتنا في صفات الله تعالى:

ونعتقد: أنّ من صفاته تعالى الثبوتية الحقيقية الكمالية [1]التي تسمى بصفات الجمال والكمال - كالعلم، والقدرة، والغنى، والإرادة، والحياة - هي كلّها عين ذاته، ليست هي صفات زائدة عليها[1]،

---

[1]. الصفات تُقسم إلى جلالية وجمالية وفعلية:

- الصفات الجلالية وهي الصفات الهادفة إلى نفي نقص أوحاجة عنده سُميّت جلالية او سلبية كنفي الحيّز والجسميّة والحركة، التي تُفيد أنه حادثٌ أو مركّب جلّ عن ذلك سبحانه.
- الصفات الجمالية وهي الصفات المثبتة (أسماها الشيخ قدّس سره ثبوتيّة) لجمالٍ في الموصوف والمشيرة الى واقعيةٍ في ذاته سمّيت ذاتية او جماليّة كالعلم والقدرة والحياة .
- الصفات الفعلية (وهي المنتزعة من الذاتية) تكون زائدة على الذات منتزعة من مقام الفعل والقدرة كالرزق والخلق والرحمة والمغفرة

ملاحظة: (صفات الذات لا يصحّ لصاحبها الإتصاف بأضدادها ولا يخلو منها – مثل العلم والقدرة والحياة، أما صفات الفعل فيصحّ الإتصاف بأضدادها – مثل لم يرزق هذا ولم يغفر لهذا).

وفي تمييز بين الصفات الذاتية والفعلية:

- الصفات الذاتية : هي التي لا يُحتاج في انتزاعها إلى ملاحظة شيء غير ذاته المقدسة ويتصف بها فقط لا بضدّها (عكس الجلالي او السلبي فإنه منزّه عن الإتصاف بها)
- الصفات الفعلية : وهي التي يُحتاج في انتزاعها إلى غير ذاته حيث ننظر إلى فلان الذي رزقه الله مثلاً ، مع ضرورة أن مرجعها إلى إحدى الصفات الذاتية أو الثبوتية كالقدرة والحياة مثلاً ، حيث يتصف بها وبضدّها.

كما أن صفات الذات ثمانية:

- الوجود.
- القِدم: فلا أول له.
- البقاء: دائمٌ لا نهاية له.
- المخالفة للحوادث: أي مخالفة المخلوقات في الذات والصفات والأفعال.

وليس وجودها إلاّ وجود الذات؛ فقدرته من حيث الوجود حياته، وحياته قدرته، بل هو قادر من حيث هو حي، وحي من حيث هو قادر، لا إثنينيه في صفاته ووجودها، وهكذا الحال في سائر صفاته الكماليّة._نعم، هي مختلفة في معانيها ومفاهيمها[2]، لا في حقائقها ووجوداتها؛ لأنّه لو كانت مختلفة في الوجود - وهي بحسب الفرض قديمة وواجبة كالذات - للزم تعدّد واجب الوجود، ولانثلمت الوحدة الحقيقية، وهذا ما ينافي عقيدة التوحيد._وأمّا الصفات الثبوتية الاضافية - كالخالقية[3]، والرازقية، والتقدّم، والعلّية - فهي ترجع في حقيقتها إلى صفة واحدة حقيقية، وهي القيّومية لمخلوقاته، وهي صفة واحدة تنتزع منها عدّة صفات باعتبار اختلاف الآثار والملاحظات.

- القيام بالنفس: حيث أنه جل وعلا غنيّ عما سواه، وكل ما سواه محتاج إليه.
- الوحدانية: وحده لا شريك له لا بذاته ولا بصفاته ولا بأفعاله.
- العلم: علمه وإحاطته بكل شيء.
- القدرة: القادر الأوحد على كل شيء.

[1]. لئلا يلزم التركيب لأنه يلزم من ذلك افتقاره للجزء، وهو منزّه عن ذلك جلّ وعلا.

[2]. تختلف من حيث المعنى والمفهوم الذي يرتّبه الذهن لا أنها متغايرة على مستوى الوجود ليلزم التركيب والتعدّد، ولا هي متعددة اعتباراً القول: **بالاعتبار الذي معناه أنّ الصفات لا واقع خارجي لها فنحن نعتبر هذا الكلام غير صحيح؛ لأنّ الله تعالى وصف نفسه بأنّه عليم حكيم قادر هو محض القدرة والعلم والحياة، لا أنّه ذات لها القدرة والعلم والحياة، ولكن هذه الصفات متغايرة بالمفهوم الذي يُفهم منه لدى الذهن؛ لأنّها ألفاظ غير مترادفة، فتغايرها اعتباري مفهومي فقط، فلا تغاير في الصفات وجوداً. (كلام الشيخ المظفر(قده) في محاضرته)**، بل الكل يصبّ في نفس الحقيقة الشاملة لكل الحقائق، يعني هي عينية بحسب المصداق الخارجي ومختلفة في لوح الذهن ومساحته وهو غير مُدرك أصلاً لحقيقة هذه الأوصاف إلا بالعنوان المُشير إليها.

[3]. وهي المنتزعة من الصفات الذاتية والراجعة إليها (مثال الخلق يعود إلى الحياة أو القدرة).

وأمّا الصفات السلبية التي تسمّى بصفات الجلال، فهي ترجع جميعها إلى سلب واحد هو سلب الامكان عنه؛ فإنّ سلب الإِمكان لازمه ـ بل معناه ـ سلب الجسمية والصورة والحركة والسكون، والثقل والخفّة، وما إلى ذلك، بل سلب كل نقص.

ثمّ إنّ مرجع سلب الإِمكان ـ في الحقيقة ـ إلى وجوب الوجود، ووجوب الوجود من الصفات الثبوتية الكمالية، فترجع الصفات الجلالية (السلبية) آخر الأَمر إلى الصفات الكمالية (الثبوتية)، والله تعالى واحد من جميع الجهات، لا تكثّر في ذاته المقدّسة، ولا تركيب في حقيقة الواحد الصمد.

ولا ينقضي العجب من قول من يذهب إلى رجوع الصفات الثبوتية إلى الصفات السلبية؛ لمّا عزّ عليه أن يفهم كيف أنّ صفاته عين ذاته، فتخيّل أنّ الصفات الثبوتية ترجع إلى السلب؛ ليطمئنّ إلى القول بوحدة الذات وعدم تكثّرها، فوقع بما هو أسوأ؛ إذ جعل الذات التي هي عين الوجود، ومحض الوجود، والفاقدة لكلّ نقص وجهة إمكان، جعلها عين العدم ومحض السلب أعاذنا الله من شطحات الأَوهام، وزلاّت الأَقلام.

كما لا ينقضي العجب من قول من يذهب إلى أنّ صفاته الثبوتية زائدة على ذاته؛ فقال بتعدّد القدماء[1]، ووجود الشركاء لواجب الوجود، أو قال بتركيبه ـ تعالى عن ذلك.

---

[1]. نجد أنّ الشيخ المؤلف قد أوضح هذه المسألة من حيث أنّ الأقوال فيها كما يلي:

- الصفات زائدة على الذات، ولكنها لازمة لها أي واجبة الوجود أيضاً، هذا قول الأشاعرة.
- قول الكرامية (وهي فرقة من المُرجئة تعتقد أن الإيمان باللسان دون تصديق القلب سميّت بالكرامية نسبةً إلى محمد ابن كرام السجستاني) بأنّ الصفات زائدة على الذات ولكنها غير لازمة لها؛ لأنّها لو كانت لازمة لكانت واجبة الوجود وحينئذٍ يلزم تعدد واجب الوجود.
- وقولٌ بأن وجود الصفات نفس وجود الذات أي متّحدة بالوجود مع تعدد الحيثية، كتعدّد حيثيات صفات الإنسان، فالنفس في وحدتها تجمع كل القوى أي وجودا.
- وقول بأن هذا التعدد اعتباري، أي ليس هناك تعدد في الوجود ولا في الحيثيات، وإنما يعتبرها الذهن، ومنشأ الاعتبار هو نفس الذات.

فهذه الأقوال جميعا لا نرتضيها؛ لأنها كلها غير صحيحة، وإنما نشأ الخلط في دقة النظر في فهم عينية الصفات للذات.

فالأشاعرة لم يفهموا معنى عينية الصفات للذات وظنوا أن معنى ذلك أنه تعالى لا صفات له، والكرامية قالوا: إن الصفات لو كانت ملازمة للزِم تعدّد واجب الوجود، والقائلون بتعدّد الحيثيات قالوا بأن هذا لا يثلم عقيدة التوحيد، والقائلون بالاعتبار قالوا: إن القول بتعدّد الحيثيات غير معقول. **الفلسفة الاسلامية للشيخ المظفر: ١٠٠.**

- قال الإمام علي الرضا (ع) :"**إنّ الخالق لا يوصف إلاّ بما وصف به نفسه، وأنّى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا وصفه الواصفون، وتعالى عمّا ينعته الناعتون**".
- وقال(ع) أيضاً: "**سبحانك لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك ...اللّهم لا أصفك إلاّ بما وصفت به نفسك.**"
- وقال (ع) لأحد أصحابه حول توصيف الله تعالى :"**لا تجاوز ما في القرآن**".
- وقال (ع) :"**من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على الله**".
- سئل الإمام محمّد الباقر (ع): أيجوز أن يقال: إنّ الله عزّ وجلّ شيء؟

قال الإمام (ع) :"**نعم يخرجه عن الحدّين حدّ التعطيل وحدّ التشبيه**".

- قال الإمام جعفر الصادق (ع) حول الله تعالى:" **هو شيء بخلاف الأشياء، أرجع بقولي: شيء إلى إثبات معنى وأنّه شيء بحقيقة الشيئية، غير أنّه لا جسم ولا صورة.**"

قال الإمام جعفر الصادق (ع) :"**كلّ ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله تعالى فهو مخلوق**".

قال (ع) أيضاً:" **لم يزل الله عزّ وجلّ ربّنا، والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مُبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلمّا أحدث الأشياء وكان المعلوم، وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المُبصر ، والقدرة على المقدور.**"

قال مولانا أمير المؤمنين وسيِّد الموحّدين (ع) : وكمالُ الإخلاصِ لهُ نفيُ الصِفاتِ عنهُ؛ لشهادةِ كلِّ صفةٍ أَنَّها غيرُ المَوصوفِ، وشهادةِ كلِّ موصوفٍ أنَّه غيرُ الصفةِ، فمَنْ وَصَفَ الله سبحانه فَقدْ قرنَهُ، ومَنْ قرنَهُ فَقدْ ثنّاهُ، ومَنْ ثنّاهُ فَقدْ جزّأَهُ، ومن جزّأَهُ فَقدْ جَهِلَهُ.[1]

الصدوق، التوحيد، باب2، ح18، ص60. الكليني، الكافي، ج1، ح3، ص101. الكليني، الكافي، ج1، ح7، ص102. المجلسي، بحار الأنوار، ج4، باب 5، ح31، ص53. الصدوق، التوحيد، باب 7، ح1، ص101. الكليني، الكافي، ج1، ح6، ص83. الكليني، الكافي، ج1، ح5، ص83. الكليني ، الكافي 107/1.

واضحة الدلالة على التمييز بين الصفات الفعليّة التي يصحّ اتّصافه تعالى بها وبضدّها وبين الذاتية التي عُبّر عنها في اللسان الروائي ب " صفاته عين ذاته " التي تعني عدم حدوثه، كي لا نقع بالمحاذير التي وقع بها غيرنا وهي التركيب والإثنينية، وتكلّفوا الكثير من الخلط، ولم يصلوا لنتيجة مُرضية.

[1]. **نهج البلاغة الخطبة 1 – الإحتجاج 473/2 ح 113** , حيث أن المغبّة هي الوقوع في التثنية والتجزئة ، وهو منزّه عن ذلك جلّ وعلا.

4. عقيدتنا في العدل[1]:

ونعتقد: أنّ من صفاته تعالى الثبوتية الكمالية أنّه عادل غير ظالم[2]، فلا يجور في قضائه، ولا يحيف في حكمه؛ يثيب المطيعين، وله أن يجازي العاصين، ولا يكلِّف عباده ما لا يطيقون، ولا يعاقبهم زيادة على ما يستحقّون.[1]

---

[1]. العدل هو إعطاء كل ذي حق حقّه وهو الجزاء على العمل بقدر المستحق عليه ويقابله الظلم وهو منع الحقوق أو من مصاديقه ذلك لان الظلم بتعريف آخر هو تجاوز الحد على صعيد السلوك أو غيره.

وبتعريف آخر : العدل لغةً هو ما قام في النفوس أنه مُستقيم وهو ضد الجور **(لسان العرب لابن منظور)** ، واصطلاحاً هو تنزيه الله تعالى عن فعل القبيح والإخلال بالواجب .**(النكت الإعتقادية للشيخ المفيد ص 32)** ، قال العلامة الحلي (قده) في كتابه **(نهج الحق ص 72)** : إعلم أن هذا الأصل عظيم تبتني عليه القواعد الإسلامية ، بل الأحكام الدينية مطلقاً ، وبدونه لا يتمّ شيء من الأديان .**انتهى**

وبذلك تتضّح العلاقة بين العدل والنبوة : فإن ما يقتضيه العدل الإلهي مثلاً هو إرسال الرسل للهداية والتبليغ وإرشاد الناس إلى دين الحقّ ، لأن عقاب الناس بدون إبلاغهم عن المحظورات هو قبيح ، والله جلّ و علا منزّه عن القبيح .

وكذلك العلاقة بين العدل والإمامة : فيكون مُقتضى العدل الإلهي وجود إمام يمنع لا أقلّ تحريف ما جاء به النبي (ص) ، أو ليمنع الإعوجاج ويقوّم المجتمع .

وكذلك توجد علاقة بين العدل والمعاد : لأن المعاد هو محلّ إظهار العدل الإلهي أو محلّ إظهار نتائجه ، فبوجود أصل العدل يطمئنّ المؤمن للوعد بالثواب ، ويحذّر العاصي من الوعيد بالعقاب ، لذا كان لزاماً إفراد أصل العدل وجعله اصلاً مستقلاً ، لأن بعض الفقهاء يردّونه إلى غيره فيجعلون الأصول ثلاثة : التوحيد ، النبوة والمعاد.

[2]. العدل هو الجزاء على العمل بقدر المستحقّ عليه، والظلم هو منع الحقوق، والله تعالى عدلٌ كريمٌ جوادٌ متفضّلٌ رحيم ، قد ضمِن الجزاء على الأعمال والعِوض عليها ، ووعد للمُحسن بعد ذلك زيادةً من عنده، فقال تعالى : {لِلّذينَ أحسَنُوا الحُسْنَى وزيادة } **سورة يونس آية ٢٦** ، فخبّر أنّ للمُحسنين الثواب المستحقّ وزيادة من عنده، وقال : {مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِهَا ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فِلا يُجزَى إلاّ مِثْلَها وَهُم لا يُظلَمون } **سورة الانعام آية ١٦٠**. يُضاعف له أجر الحسنة عشراً ويريد أنّه لا يجازيه بأكثر مما يستحقه بذنبه، ثم ضمن بعد ذلك العفو ووعد بالغفران، فقال سبحانه {وإنّ ربّك لَذو مَغفِرةٍ للنَّاسِ على ظلمهم } **سورة الرعد آية ٦**،

وقال سبحانه { إنّ اللّه لا يَغْفِر أن يُشركَ بِهِ ويَغفر مَا دُونَ ذَلِكَ لَمَنْ يَشاءُ} **سورة النساء آية 48** ، وقد أمر الله تعالى بالعدل ونهى عن الجور فقال تعالى:{ إنَّ الله يأمُر بِالعَدلَ والإِحْسن } **سورة النحل آية ٩٠.تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد: ١٠٣.**

[1]. هذا بيان بعض الفرق الإسلامية وبيان بعض آرائهم :

- المُرجئة : فرقةٌ تقول أن كلّ من آمن بوحدانية الله لا يُمكن الحكم عليه بالكفر وحكمه إلى الله وحده يوم القيامة ، وعندهم أنه لا تضرّ مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، وأن الإيمان هو تصديق القلب وأن العمل ليس داخلاً في حقيقة الإيمان ولا هو جزء منه وأن الإنسان يخلق فعله .... ولو صح كلامهم فلا داعي للتكليف ولطاعة الله بها !!!!
- الأشاعرة : نسبةً إلى أبو الحسن الأشعري ، وهي فرقة كلامية من أهل السنّة لا تخالف الأئمة الأربعة من السنّة ، ولا يكفّرون أحداً من أهل القبلة ، وقدّموا النصّ على العقل ، وجعلوا العقل مُدخلاً لفهم النص فقط ، مما يسبّب تعطيلاً لأهم مِنحة من الله تعالى وهي العقل.
- المُعتزلة : فرقةٌ ظهرت أواخر الدولة الأمويّة ، وازدهرت في العصر العباسي (القرن الثاني للهجرة) اعتمدوا العقل في تأسيس عقائدهم وقدّموه على النقل، وبحال التعارض يقدّمون العقل وهم الذين نَفوا الصفات عنه تعالى، وأثبتوا الأسماء .
- المُشبّهة : شبهوا الله بخلقه.
- المُعطّلة : عطّلوا الصفات ونفوها (منهم الجهمية والمعتزلة).
- الجهميّة : نَفَوا الأسماء والصفات وهم من غلاة المُرجئة (نسبةً للجهم بن صفوان).
- الجبريّة : تعتبر أن الإنسان مسيّر وليس مخيّر.
- القدريّة : نسبة لغيلان القدري ، يرون أن الله لا يعلم شيئاً إلا بعد وقوعه ، وأن الأحداث بمشيئة البشر وليس الله (تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيرا).
- الماتريدية : نسبةً لأبي منصور الماتريدي : الذين يدعون للجمع بين النصّ والعقل وهم مع توسيع دائرة التفكير والإستنتاج ، ولا يرون مسوّغ للتقليد.

أقول : أنه عندنا لا يوجد فرقٌ بين الإسم والموصوف وكلّها تدلّ على معنى واحد وحقيقةٍ واحدة ، وبعد مراجعة الأحاديث الواردة في هذا الصدد لم يعتبر المعصوم (ع) فرقاً بينهما بل اعتبرها متّحدة المعنى ،

ونعتقد: أنّه سبحانه لا يترك الحسن عند عدم المزاحمة، ولا يفعل القبيح؛ لأنّه تعالى قادر على فعل الحسن وترك القبيح، مع فرض علمه بحسن الحسن، وقبح القبيح، وغناه عن ترك الحسن وعن فعل القبيح، فلا الحُسن يتضرّر بفعله حتى يحتاج إلى تركه، ولا القبيح يفتقر إليه حتى يفعله، [1]وهو مع كل ذلك حكيم؛ لا بدّ أن يكون فعله مطابقاً للحكمة، وعلى حسب النظام الأكمل.[2]

والأهم أن : لا نعتبر وجود تركيب وجزئية فهذا منزّه عنه تعالى، فعن الباقر (ع) : **"إن من عبد الإسم دون المسمّى بالأسماء أشرك وكفر وجحد ولم يعبد شيئاً ، بل أعبد الله الواحد الأحد الصمد المسمّى بهذه الأسماء دون الأسماء ؟، إن الأسماء صفاتٌ وصف بها نفسه". (الكافي للكليني ج 1 ص 121)** ، وعن الامام الرضا (ع) حينما سُئل ما الإسم ؟ قال (ع) : **"صفة الموصوف". (عيون اخبار الرضا ج1 ص 129)**

وروي أن هشام بن الحكم سأل الإمام الصادق (ع) عن أسماء الله واشتقاقها فقال (ع) :**" يا هشام ، الله مشتقٌ من إله وإله يقتضي مألوهاً والإسم غير المسمّى ، من عبد الإسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً ، ومن عبد الإسم والمعنى فقد أشرك وعبد إثنين ، ومن عبد المعنى دون الإسم فذاك التوحيد ".(الإحتجاج للطبرسي ج22 ص 72)**

أما الفِرَق الأخرى فتعتبر أن الإسم والصفة متغايران : فالإسم علم متضمّن للصفة والصفة هي نعوت الكمال القائمة بالذات .... ولماذا هذا التفريق المشكّك الذي يورث الشرك؟؟؟**!!**

نحن نعتمد أنه : لا فرق بين الأسماء والصفات ومآل الجميع إلى الوحدة الحقيقية، وأن التفريق يكون مُنحصراً في مجال الصفة الذاتية والصفة الفعلية.

[1]. حيث أنه غنيّ عن كل هذه الأمور بل يُفيضها على العبيد لينعموا أو يهتدوا أو يحذروا.

[2]. وتعتبر الشيعة الامامية ؛العدل من أصول الدين وليس هو في الحقيقة اصلاً مستقلاً، بل هو مندرج في نعوت الحقّ ووجوب وجوده المستلزم لجامعيّته لصفات الجمال والكمال فهو شأن من شؤون التوحيد (يعني يندرج تحت أصل التوحيد)، ولكنّ الأشاعرة لما خالفوا العدلية - وهم المعتزلة والامامية - فأنكروا الحسن والقبح العقليّين وقالوا: ليس الحسن إلاّ ما حسّنه الشرع ، وليس القُبح إلاّ ما قبّحه الشرع، وأنه تعالى لو خلّد المطيع في جهنم والعاصي في الجنة لم يكن قبيحاً؛ لأنّه يتصرّف في ملكه { لا يُسئَلُ عَمَّا يَفْعَل وَهُم يُسْئَلُونَ} **(الانبياء ٢٣).**

فلو كان يفعل الظلم والقبح ـ تعالى عن ذلك ـ فانّ الأمر في ذلك لا يخلو عن أربع صور:

1. أن يكون جاهلاً بالأمر، فلا يدري أنّه قبيح.
2. أن يكون عالماً به، ولكنّه مجبور على فعله، وعاجز عن تركه.
3. أن يكون عالماً به، وغير مجبور عليه، ولكنه محتاج إلى فعله.
4. أن يكون عالماً به، وغير مجبور عليه، ولا يحتاج إليه، فينحصـــر في أن يكون فعله له تشهّياً وعبثاً ولهواً[1].

وكل هذه الصور محال على الله تعالى، وتستلزم النقص فيه وهو محض الكمال، فيجب أن نحكم أنه منزَّه عن الظلم وفعل ما هو قبيح.

أمّا العدلية فقالوا: إنّ الحاكم في تلك النظريات (الحسن والقبح) هو العقل مستقلاً، ولا سبيل لحكم الشرع فيها إلاّ تأكيداً وارشاداً، والعقل يستقلّ بحسن بعض الأفعال وقبح البعض الآخر ويحكم بأنّ القبيح مُحالٌ على الله تعالى؛ لأنّه حكيم، وفعل القبيح منافٍ للحكمة، وتعذيبُ المطيع ظلمٌ والظلم قبيح وهو لا يقع منه تعالى.

وبهذا أثبتوا لله صفة العدل وأفردوها بالذكر كأصلٍ مستقلٍ دون سائر الصفات إشارة الى خلاف الاشاعرة.

والعدليّة بقاعدة الحسن والقبح العقليين أثبتوا جملة من القواعد الكلامية: كقاعدة اللطف ، ووجوب شكر المنعم ، ووجوب النظر في المعجزة ، وعليها بنَوا أيضا مسألة الجبر والإختيار التي هي من معضلات المسائل.

راجع : أصل الشيعة واصولها للشيخ كاشف الغطاء : ٢٣٠.

مطارح النظر للشيخ الطريحي : الفصل الرابع ١٦٤.

[1]. والى ذلك ذهبت الأشاعرة بقولهم إنّ الله تعالى قد فعل القبائح بأسرها من أنواع الظلم والشرك والجور والعدوان ورضي بها وأحبّها ـ جل عن ذلك سبحانه وتعالى ـ. **ولتفصيل هذه الأفكار الباطلة يراجع: نهج الحق للعلامة الحلّي: ٨٥، شرح العقائد وحاشيتة للكستلي: ١٠٩ و١١٣، الملل والنحل: ١/٨٥، ٨٨، ٩١، الفصل لابن حزم: ٣/٦٦ و٦٩، شرح التجريد للقوشجي: ٣٧٣.**

غير أن بعض المسلمين جوَّز عليه تعالى فعل القبيح ـ تقدَّست أسماؤه ـ فجوَّز أن يعاقب المطيعين، ويدخل الجنّة العاصين، بل الكافرين، وجوَّز أن يكلِّف العباد فوق طاقتهم وما لا يقدرون عليه[1]، ومع ذلك يعاقبهم على تركه، وجوَّز أن يصدر منه الظلم والجور والكذب والخداع، وأن يفعل الفعل بلا حكمة وغرض ولا مصلحة وفائدة، بحجّة أنّه {لا يُسئَلُ عَمَّا يَفعَلُ وَهُم يُسئَلونَ } الأنبياء 23

فربُّ أمثال هؤلاء الذين صوَّروه على عقيدتهم الفاسدة: ظالم، جائر، سفيه، لاعب، كاذب، مخادع، يفعل القبيح ويترك الحسن الجميل، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، وهذا هو الكفر بعينه، وقد قال الله تعالى في محكم كتابه { وَمَا اللهُ يُريدُ ظُلْماً للعِبَادِ } غافر 31

وقال{ وَاللهُ لا يُحِبُّ الفَسَادَ } البقرة 205

وقال { وَمَا خَلَقْنَا الْسَّموات والأَرضَ وَمَا بَيْنَهُما لاعِبِينَ } الدخان 38

وقال { وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ } الذاريات 56

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة، سبحانك ما خلقت هذا باطلاً[2].

---

[1]. وهذا لا يفعله المولى العُرفي العادي فكيف بالله تعالى ؟

[2]. العدلية (الإمامية) تعتبر أن العقل يُدرك الحُسن والقُبح وينبغي أن يفعل الإنسان الحسن ويترك القبيح , كما أنه هناك رأيان في الثواب والعقاب ؛ فبعضٌ يقول باستحقاقهما والآخر يقول أن الثواب تفضّل والعقاب استحقاق.

5. عقيدتنا في التكليف:

نعتقد: أنّه تعالى لا يكلِّف عباده إلاّ بعد إقامة الحجّة عليهم[1] ، ولا يكلِّفهم إلاّ ما يسعهم ما يقدرون عليه وما يطيقونه وما يعلمون[1]؛ لأنّه من الظلم تكليف العاجز والجاهل غير المقصِّر في التعليم[1].

---

[1]. لا بد من معرفة أنّ حقيقة التكليف تعني: إرادة المُريد من غيره ما فيه كلفة ومشقة.

فيكون عندئذ المرجع هو الإرادة، بقرينة ما ذُكر في التعريف من الكِلفة والمشقّة.

وأردف السيد الشريف المرتضى علم الهدى (قده) بعد ذلك بقوله - مصحّحاً القول: إنّ التكليف لا يحسن إلاّ بعد إكمال العقل ونصب الأدلّة: (وأنه تعالى أكمل العقول وحصّل سائر الشروط فلا بدّ من أن يكلِّف، وهذا يدلّ على أن التكليف غير التعريف). (يقصد أنه في البداية نتعرّف على الدين ثم نتكلّف بتكاليفه).

وقد بحث علماؤنا مباحث التكليف بصورة مستفيضة ذاكرين وجوه المُراد بالتكليف وتعلّقها بالمكلِّف والمكلَّف وصفات المكلَّف، والغرض من هذا التكليف، والوجه المُجرى به إليه، وما الأفعال التي يتناولها، وما المكلِّف الذي كلّف هذه الأفعال، وبأي شيء مختصّ من الصفات حتى يُحسّن أو يجب تكليفه.

والمعلوم أنّ هذا الموضوع هو من بحوث الإرادة الذي استحق من المتكلّمين عناية وعنواناً مفرداً على أثر الاختلاف العظيم بين العلماء وزعماء المذاهب في المشيئة الالهية المذكورة في آيات الذكر الحكيم ، وتعلقها بأمور غير مرضيّة لديه سبحانه، ثمّ في تأويلها بوجوه لا تخلو عن التكلّف في الأكثر وأهمّها الآية ١٤٨ من سورة الأنعام { سَيقوُل الّذين أشركُوا لو شاءَ اللهُ ما أشركْنَا ولا آباؤُنَا ولا حَرّمنا مِنْ شَيء كَذلِكَ كذّبَ الّذينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّى ذاقُوا بَأسَنَا قُلْ هَل عِنْدَكُم مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إنْ تَتَّبعونَ إلاّ الظَنَّ وإنْ أَنْتُمْ إلاّ تخرُصُون.} (والآية ٢٠ من سورة الزخرف):{وَقالُوا لَو شَاءَ الرّحمنُ ما عبدنهُمْ مَا لَهُم بِذلِكَ مِنْ عِلمٍ إنْ هم إلاّ يَخرُصوُنَ}. وآيات كثيرة توهم تعلّق إرادة الخالق بما يستقبحهُ المخلوق ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومن هذا يبدو أنّ شيخنا المظفر(قده) أفرد عنواناً مستقلاً للتكليف سطّر فيه ما يمكن أن يَختصر نظرية الاماميّة في هذا الباب، ذلك أنّ مدرسة أهل البيت(ع) لها موقف واضح معروف يؤكّد على تنزيه الربّ الكريم سبحانه وتقديسه عن كل ما هو قبيح أو شبه قبيح وشدّة استنكارها بتعلّق مشيئة الله أو إرادته بشرك أو ظلم أو فاحشة قط، فضلاً عن فعله أو خلق فعله أو الأمر به؛ إذ كلّ ذلك سيقع خلافاً لحكمته وعدله وفضله.

ومحصّلة القول ما ذكره الشيخ المفيد (قده) بقوله: إنّ الله تعالى لا يريد إلاّ ما حَسُن من الأفعال، ولا يشاء إلاّ الجميل من الأعمال، ولا يريد القبائح، ولا يشاء الفواحش ، تعالى الله عمّا يقول المبطلون علواً كبيرا:

قال الله **تعالى** { وما الله يريد ظلماً للعباد } **غافر 31**

وقال **تعالى**{ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} **البقرة 185**

وقال **تعالى** { يريد الله ليبيّن لكم ويهديكم سُننَ الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم }**النساء ٢٦.**

وقال **تعالى** (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبّعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً } **النساء ٢٧.**

وقال **تعالى** (يريد الله أن يخفّف عنكم وخلق الانسن ضعيفا} **النساء ٢٨**.

فخبّر سبحانه أنه : لا يريد بعباده العُسر بل يريد بهم اليسر ، وأنه يريد لهم التبيان والهداية ولا يريد لهم الضّلال ، ويريد التخفيف عنهم ولا يريد التثقيل عليهم ، فلو كان سبحانه مُريداً لمعاصيهم لنافى ذلك إرادة البيان لهم والتخفيف عنهم واليُسر لهم ، وكتاب الله تعالى شاهدٌ بضدّ ما ذهب اليه الضّالون المفترون على الله الكذب تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

لاحظ : الذخيرة للسيد المرتضى : ١٠٥، تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد : المجلد ٥ من مصنفات الشيخ المفيد : ٤٨-٥١

[1]. أولاً إن التكليف الشرعي هو مجموعة الوظائف التي يفرضها الدين على العباد بحيث يشترك بها العالم والجاهل، ويرى الفقهاء أن للتكليف شروطاً كالعقل والبلوغ والقدرة، وإذا افتقد المكلّف إحداها يرتفع تكليفه.
كما أنه وينقسم التكليف إلى 5 أقسام (الواجب وهو ما كان ذا مصلحة شديدة كالصلاة، والمستحّب وهو ما كان بمصلحة أقل من الواجب كالكون على وضوء، والحرام وهو ما كان ذا مفسدةٍ شديدة كشرب الخمر، والمكروه وهو ما كان بمفسدة أقل من الحرام كالتبوّل من وقوف، والمباح الذي تكون فيه المصلحة بالإباحة أو الذي تتساوى فيه المصالح والمفاسد التي يعبّر عنها بمبادئ الحكم أو ملاكاته كأكل التفاح ليلاً)

أمّا الجاهل المقصِّر[2] في معرفة الأحكام والتكاليف فهو مسؤول عند الله تعالى، ومعاقَب على تقصيره؛ إذ يجب على كلّ إنسان أن يتعلَّم ما يحتاج إليه من الأَحكام الشرعية.[3]

---

[1]. مردّ بحث التكليف إلى بحث الإرادة وهل أنها من الصفات الثبوتية الذاتية أم لا حيث كان رأي الشيخ المفيد (ق) والعلامة الطباطبائي (ق) ذلك (ان الإرادة صفات فعليّة يعني يصحّ الإتّصاف بها وبضدّها) بينما بعض العلماء الآخرين كما المُعتزلة قالوا أن الإرادة صفة ذاتيّة لاعتبارهم أن الإرادة التكوينية نابعة من علم الله وهو من الصفات الذاتيّة ، وتشمل هذه الإرادة صنفين : تكوينية وهي التي تتصرف في الكائنات وإيجادها ، و تشريعية وهي التي يُعبّر عنها بالأوامر والنواهي .

تجدر الإشارة أن رأي الشيخ المفيد والعلامة الطباطبائي (ق) موافق لثلاث روايات بالحدّ الأدنى وهي مذكورة في كتاب توحيد الصدوق **ص 147 وص 338** وهي قول الصادق (ع) :**" إرادة الله حادثة وغير أزليّة ".** وعن الكاظم (ع) : **"إنها فعلية".** وعن الرضا(ع) : **"... من الصفات الفعليّة."**

[2]. الجاهل القاصر معذورٌ في جهله كما لو اعتقد بحليّة حرام إما بالقطع أو باجتهاد أو تقليد صحيحين ، أما الجاهل المقصّر فهو غير معذور في جهله كما لو تردّد في حرمة شيء وأمكنه الإحتياط بتركه فارتكبه بغير سؤالٍ فهو مأثوم .

[3]. ويدلّ عليه ما ورد في كتاب الله تعالى من قوله : { فَسْئَلُوا أَهلَ الذِّكْرِ إنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُون } **النحل ٤٣** وقوله تعالى : { فَلَولا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهوا في الدِّين ولُينذرِوا قَوْمَهُمْ إذا رَجَعوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرون } **التوبة ١٢٢**.

ويدلّ عليه أيضاً قول الامام الصادق (ع) عندما سئل عن قوله تعالى: { قلْ فَلِلّهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ} **الانعام ١٤٩** ، فقال (ع) : **"إنّ الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة عبدي أكنت عالماً؟ فإن قال نعم قال له: أفلا عملت بما علمت؟! وإن قال: كنت جاهلاً، قال له: أفلا تعلّمت حتى تعمل؟! فيُخصم، فتلك الحجة البالغة ". الأَمالي للشيخ الطوسي: ٩ ح١٠/١٠. ونقله عنه: البحار: ٢٩/٢ ح١٠.**

والحديث الوارد عن الامام الصادق (ع) : **"عليكم بالتفقّه في دين الله ، ولا تكونوا أعرابا ؛ فإنه من لم يتفقّه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزكِّ له عملا" . الكافي جزء 1 ص 24 حديث 7**

ونعتقد: أنّه تعالى لا بدَّ أن يكلِّف عباده، ويسنَّ لهم الشرائع، وما فيه صلاحهم وخيرهم؛ ليدلّهم على طرق الخير والسعادة الدائمة[1]، ويرشدهم إلى ما فيه الصلاح، ويزجرهم عمّا فيه الفساد والضرر عليهم وسوء عاقبتهم، وإن علم أنّهم لا يطيعونه؛ لأنّ ذلك لطف ورحمة بعباده، وهم يجهلون أكثر مصالحهم وطرقها في الدنيا والآخرة، ويجهلون الكثير ممّا يعود عليهم بالضرر والخسران، والله تعالى هو الرحمن الرحيم بنفس ذاته، وهو من كماله المطلق الذي هو عين ذاته، ويستحيل أن ينفكّ عنه. ولا يرفع هذا اللطف وهذه الرحمة أن يكون العباد متمرّدين على طاعته، غير منقادين إلى أوامره ونواهيه.

كما ورد في الرسائل العملية للعلماء الأعلام: يجب على المكلّف تعلّم مسائل الشكّ والسهو التي في معرض ابتلائه لئلّا يقع - لولا التعلّم - في مخالفة تكليف إلزامي متوجّه اليه عند طروّهما. لاحظ **منهاج الصالحين للسيد السيستاني: العبادات / مسألة ١٩ص١٣ .**

[1]. كون الإلتزام بالتكاليف الإلهية موصلٌ حتماً لرضا الله تعالى.

6. عقيدتنا في القضاء والقدر

ذهب قوم (وهم المجبّرة)[1] الى انه تعالى هو الفاعل لأفعال المخلوقين ، فيكون قد اجبر الناس على فعل المعاصــي ، وهو مع ذلك يعذبهم عليها ، واجبرهم على فعل الطاعات ومع ذلك يثيبهم عليها ؛ لأنهم يقولون : أن أفعالهم في الحقيقة أفعاله ، وإنما تُنسب اليه الطبيعة بين الاشياء ، وأنه تعالى هو السبب الحقيقي لا سبب سواه.

وقد أنكروا الســببية الطبيعية بين الاشـياء ؛ اذ ظنوا أن ذلك هو مقتضـــى كونه تعالى هو الخالق الذي لا شريك له.

ومن يقول بهذه المقالة فقد نسب الظلم اليه ، تعالى عن ذلك.

---

[1]. ومنهم الاشاعرة الذين ذهبوا الى إنكار السببّية **(أقول: أي لا توجد علّة ومعلول في الموجودات)** ، وانحصار السبب في الله تعالى ،وقالوا : أن النار - مثلاً - لا تُحرق شيئاً بل عادة الله جرت على إحراق الثوب المماسّ بها مثلاً من دون مدخلية للنار في الاحراق، وبذلك فقد ذهبوا الى أن أفعال العباد مخلوقةٌ له تعالى من دون دخل للعباد فيها ، أي أن العبد لا أثر له في إيجاد الفعل. **راجع : بداية المعارف الالهية : ١٥٩/١ وما بعدها.**

ولا يخفى على من تتّبع كُتب الإمامية أنهم يُبطلون الجبر **(أقول : أي أنك مجبور على الفعل)** خلافاً للأشاعرة ، كما يُبطلون التفويض خلافاً للمعتزلة **(أقول : أي أنك متروك في الفعل مطلقاً)**، فقد روي عن الامام أبي الحسن علي بن محمد الهادي(ع) انه سُئل عن أفعال العباد فقيل له : هل هي مخلوقة لله تعالى ؟ فقال(ع) :" **لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها وقد قال سبحانه { إن الله بريء من المشركين ورسوله } (التوبة 3) ولم يُرد البراءة من خلق ذواتهم وانما تبرأ من شركهم وقبائحهم".**

لاحظ: تصحيح الاعتقاد من مصنفات الشيخ المفيد: ٤٣/٥ ، بحار الانوار: ٢٠/٥.

وذهب قوم آخرون (وهم المفوضة) [1] الى انه تعالى فوض الافعال إلى المخلوقين، ورفع قدرته وقضاءه وتقديره عنها، باعتبار أنّ نسبة الأفعال إليه تعالى تستلزم نسبة النقص إليه، وأنّ للموجودات أسبابها الخاصة، وإن انتهت كلُّها إلى مسبِّب الأسباب والسبب الأول، وهو الله تعالى.

ومن يقول بهذه المقالة فقد أخرج الله تعالى من سلطانه، وأشرك غيره معه في الخلق.

واعتقادنا في ذلك تبع لما جاء عن أئمتنا الأطهار (ع)[2] من الأَمر بين الأمرين، والطريق الوسط بين القولين[3]، الذي كان يعجز عن فهمه أمثال أولئك المجادلين من أهل الكلام، ففرَّط منهم قوم وأفرط آخرون، ولم يكتشفه العلم والفلسفة إلاّ بعد عدة قرون.

---

[1]. وهم الذين نفوا حقيقة الجبر ، وأكثرهم المعتزلة ممن قالوا أن الفعل مفوّض إلينا ، ولا مدخلية فيه لإرادته وإذنه تعالى، والذي أوجب هذا الزعم الفاسد هو الإحتراز عن نسبة المعاصي .. والقبائح إليه تعالى، والتفويض هو القول برفع الحظر عن الخلق في الأفعال والإباحة لهم مع ما شاؤوا من الأعمال وهذا قول الزنادقة وأصحاب الإباحات. (أقول : وهم الذين استباحوا المحرمات وعطلوا العبادات).

راجع: تصحيح الاعتقاد من مصنفات الشيخ المفيد: ٥/ ٤٧، بداية المعارف الإلهية: ١/ ١٦٦.

[2]. عن الإمام الرضا (ع) : **"القدر الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء والقضاء هو الإبرام وإقامة العين ". (الكافي للشيخ الكليني ج 1 ص 158)**

وعنه (ع) بعد سؤاله عن معنى قضى قال: **"إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مردّ له ". (الكافي ج 1 ص 150)**

[3]. روى مفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال **:" لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين قلت : ما أمر بين أمرين ؟ قال (ع) : مثل ذلك رجل رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينتهِ فتركته ففعل تلك المعصية فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية ". (بحار الأنوار 27/17/5 ص 85).**

وعن الباقر (ع) والصادق (ع) **:" إن الله عزّ وجلّ أرحم بخلقه من أن يُجبر خلقه على الذنوب ثم يعذّبهم عليها ، والله أعزّ من أن يريد أمراً فلا يكون** ، فسُئلا هل بين الجبر والقدر منزلة قالا **(ع) : نعم أوسع مما بين السماء والأرض" . (توحيد الصدوق 3/260).**

عن سليمان بن جعفر الجعفري قال الرضا (ع) : **"المشيئة والإرادة من صفات الأفعال ، فمن زعم أن الله لم يزل مريداً شائياً فليس بموحّد" (توحيد الصدوق ص 338) .** يعني أن إرادته حادثةٌ تتبدّل حسب حكمته وما يناسب صالح العباد ..

وعن الصادق (ع) : **"المشيئة مُحدثة ". الكافي ج 1 ص 158 –** يعني من شأنها التبدّل والتغيّر ، وورد عن الرضا (ع):**" المشيئة هي الذكر الأول" . الكافي ج 1 ص 158.**

وعنه (ع) حين سأله يونس عنها قائلاً : لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقضى؟ فقال (ع) :**" لا يكون إلا ما شاء الله وأراد وقدّر وقضى ، فقلت ما معنى شاء؟ فقال (ع) : إبتداء الفعل ، قلت ما معنى أراد؟ قال(ع) : الثبوت عليه ، قلت فما معنى قدّر؟ قال (ع)** : **تقدير الشيء من طوله وعرضه ، قلت فما معنى أمضى ؟ قال (ع) : إذا قضاه أمضاه فذلك الذي لا مردّ له" . (عزيز الله الخبوشاني – مسند الإمام الرضا (ع) ج 1 ص 20).**

وعن الإمام علي (ع) قال :**" الأعمال ثلاثة : فرائض وفضائل ومعاصي ، فأما الفرائض فبأمر الله ومشيئته وبرضاه وبعلمه وقدره يعملها العبد فينجو من الله بها ، وأما الفضائل فليس بأمر الله لكن بمشيئته وأما المعاصي فليس بأمر الله ولا بمشيئته" . (تحف العقول ص 206) .** في الحديث تفريق واضح بين تأثير القدر أو القضاء على أفعال العباد التي قسّمها أمير المؤمنين (ع) إلى ثلاثة .

وعن الرضا (ع) :**" أن الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد وأسماؤها ثلاثة " (التوحيد 435).**

وعن أبي الحسن (الكاظم) (ع) :**" إن لله إرادتين ومشيئتين : إرادة حتم وإرادة حزم ، ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء ، أوما رأيت الله تعالى نهى آدم (ع) وزوجته أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك (يعني الأكل) إذ لو لم يشأ لم يأكلا ، ولو أكلا لغلبت مشيئتهما مشيئة الله ، وأمر إبراهيم بذبح إبنه وشاء أن لا يذبحه ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله عز وجل ".(بحار الأنوار 139/4).**

أقول لا بد من الإشارة أن القضاء يتفرّع إلى نوعين :

- قضاء محتّم وهذا النوع الذي لا يُردّ مثل علم الساعة، وهو اللوحُ الثابتُ المُطابق لعِلمه ، وهو علمُه بأواخر الأمور المحتوم حصولها التي لا تتبدلّ، وقد يسمّيه بعضهم القضاء المُبرم .
- قضاء معلّق أو ما يُسمّى لوح المحو والإثبات ، وهو الذي يقبل التبدلّ والتغيّر والزيادة والنقيصة حسب تأثير استجابة الدعاء والصدقة حسب ما تقتضيه حكمته تعالى.

وليس من الغريب ممَّن لم يطّلع على حكمة الأَئمّة (ع) وأقوالهم أن يحسب أنّ هذا القول ـ وهو الأمر بين الأمرين ـ من مكتشفات بعض فلاسفة الغرب المتأخرين، وقد سبقه إليه أئمتنا قبل عشرة قرون.

فقد قال إمامنا الصادق (ع) لبيان الطريق الوسط كلمته المشهورة: لا جبر ولا تفويض،ولكن أمر بين أمرين[1].

ما أجلَّ هذا المغزى، وما أدقّ معناه، وخلاصته: إنّ أفعالنا من جهة هي أفعالنا حقيقة ونحن أسبابها الطبيعية، وهي تحت قدرتنا واختيارنا، ومن جهة أخرى هي مقدورة لله تعالى، وداخلة في سلطانه؛ لأنّه هو مُفيض الوجود ومُعطيه، فلم يجبرنا على أفعالنا حتى يكون قد ظلمنا في عقابنا على المعاصي؛ لأنّ لنا القدرة والاختيار فيما نفعل، ولم يفوِّض إلينا خلق أفعالنا حتى يكون قد أخرجها عن سلطانه، بل له الخلق والحكم والأمر، وهو قادر على كل شيء ومحيط بالعباد.[2]

---

[1]. الكافي جزء 1 ص 160 حديث 13.

[2]. روى الأصبغ بن نباته في حديث طويل: "إنّ شيخاً قام إلى أمير المؤمنين (ع) في منصرفه عن صفين فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء الله وقدره؟ **فقال (ع) : والذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة، ما وطأنا موطئاً، ولا هبطنا وادياً إلاّ بقضاء الله وقدره،** فقال الشيخ: عند الله تعالى احتسب عنائي؛ ما أرى لي من الأجر شيئاً. **فقال له (ع) :مه! أيّها الشيخ! لقد عظّم الله أجركم في مسيركم وانتم سائرون ، وفي منصرفكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مُكرهين ولا إليها مضطرين.** فقال الشيخ: فكيف والقضاء والقدر ساقانا؟ **فقال(ع) :ويحك لعلّك ظننت قضاءاً لازماً وقدراً حتماً؟ لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، ولم تأت لائمة من الله لمُذنب ولا محمدة لمُحسن ، ولم يكن المُحسن أولى بالمدح من المسيء، ولا المُسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان، وجنود الشيطان، وشهود الزور وأهل العمى عن الصواب، وهم قدريّة هذه الامة ومجوسها؛ إنّ الله تعالى أمر تخييراً ونهى تحذيراً، وكلّف يسيراً، لم يُعصَ مغلوباً، ولم يُطع مُكرهاً، ولم يُرسل الرسل عبثاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً {** ذَلِكَ ظَنُّ الّذينَ كَفروُا فَوَيلٌ للّذينَ كفَرُوا مِنَ النَّارِ **} سورة ص 27 ،**

وعلى كل حال، فعقيدتنا : أنّ القضاء والقدر سرّ من أسرار الله تعالى، فمن استطاع أن يفهمه على الوجه اللائق بلا إفراط ولا تفريط فذاك، وإلاّ فلا يجب عليه أن يتكلّف فهمه والتدقيق فيه؛ لئلاّ يضل وتفسد عليه عقيدته؛ لأنّه من دقائق الأمور، بل من أدق مباحث الفلسفة التي لا يدركها إلاّ الأوحدي من الناس، ولذا زلّت به أقدام كثير من المتكلّمين.[1]

فالتكليف به تكليف بما هو فوق مستوى مقدور الرجل العادي، ويكفي أن يعتقد به الانسان على الإجمال إتّباعاً لقول الأئمة الأطهار(ع) من أنّه أمر بين الأمرين؛ ليس فيه جبر ولا تفويض[2].

فقال الشيخ: وما القضاء والقدر اللذان ما سرنا إلاّ بهما؟ **فقال (ع) : هو الأمر من الله تعالى والحكم، وتلى قوله تعالى {**وَقَضَى رَبُّكَ الاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيّاهُ **} الإسراء 23، فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول:**

يوم النشور من الرحمن رضوانا أنت الإمام الذي نرجو بطاعته

جزاك ربّك عنّا منه إحساناً أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً "

ذكره الشيخ الصدوق في التوحيد: ٣٨٠

[1]. سأل أبو حنيفة الإمام أبا الحسن موسى بن جعفر(ع) عن أفعال العباد، ممن هي؟ فقال (ع) : **"إنّ أفعال العباد لا تخلو من ثلاثة منازل؛ إمّا أن تكون من الله تعالى خاصّة، أو من الله ومن العبد على وجه الاشتراك فيها، أو من العبد خاصّة، فلو كانت من الله تعالى خاصة لكان أولى بالحمد على حسنها، والذمّ على قبحها ولم يتعلق بغيره حمدٌ ولا لوم فيها، ولو كانت من الله ومن العبد لكان الحمد لهما معاً فيها والذم عليهما جميعاً فيها، وإذا بطل هذان الوجهان ثبت انها من الخلق، فان عاقبهم الله تعالى على جنايتهم بها فله ذلك، وإن عفا عنهم فهو أهل التقوى وأهل المغفرة" . تصحيح الاعتقاد من مصنفات الشيخ المفيد: ٤٤/٥.**

[2]. لخّص الشيخ المظفر في محاضراته الفلسفية هذه الفكرة الدقيقة بقوله: (كلّ من المجبّرة والمفوّضة نظروا إلى جهة وغفلوا عن الجهة الاخرى، ولكن الإنسان يجب أن يكون ذا عينين لا ذا عين واحدة، فمن نظر بعين واحدة كان أعور، ينظر إلى إفاضة الوجود من جهة واحده فيتصوّر أنّ الناس مجبورون، وينظر من الجهة

وليس هو من الاصول الاعتقادية حتى يجب تحصيل الاعتقاد به على كل حال على نحو التفصيل والتدقيق.

الاخرى وهو أنّ الناس يعملون اعمالهم باختيارهم فيتخيّل أنّهم مفوضون، ولكن لو انقطع فيض الله تعالى عني لحظة واحدة لانعدمت وانعدمت أفعالي ، وأنا أسبح في سلطانه وعظمته.

معنى الجبر: أنّ فاعل ما منه الوجود هو فاعل ما به الوجود، وهو الله تعالى، ومعنى التفويض: أنّ العبد هو فاعل ما به الوجود وما منه الوجود، ولكن القوم لم يلتفتوا إلى هذه النكتة، وهي أنّ العبد فاعل ما به الوجود، والله تعالى فاعل ما منه الوجود (أقول لأنه يُفيض الوجود)، فمن ناحية فاعل ما به الوجود لا جبر، ومن ناحية فاعل ما منه الوجود لا تفويض، فيصحّ في العقل ما جاء في الاثر عن أهل البيت(ع) : **"لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين"** . **الفلسفة الاسلامية: ٨٤.**

7. عقيدتنا في البداء[1]

البداء في الانسان: أن يبدوَ له رأي في الشيء لم يكن له ذلك الرأي سابقاً، بأن يتبدَّل عزمه في العمل الذي كان يريد أن يصنعه؛ إذ يحدث عنده ما يغيِّر رأيه وعلمه به، فيبدو له تركه بعد أن كان يريد فعله، وذلك عن جهل بالمصالح، وندامة على ما سبق منه.

والبداء بهذا المعنى يستحيل على الله تعالى، لأنّه من الجهل والنقص، وذلك محال عليه تعالى، ولا تقول به الإمامية.

قال الصادق (ع) :من زعم أنّ الله تعالى بدا له في شيء بداء ندامة فهو عندنا كافر بالله العظيم[2].

قال أيضاً: من زعم أن الله بدا له في شيء ولم يعلمه أمس فأبرأ منه.[3]

---

[1]. البِداء الذي نعتقد به هو أن ترد الأخبار عن الله تعالى ورسوله (ص) عن الآجال والأرزاق والخلق والصحة والمرض وفق ما تقتضيه الحكمة فيما يرتبط بالسنن الإلهية فيها ، وإجراء الأمور على طبيعتها ،ولكنّه جلّ وعلا لا يكتب في اللوح الثابت أو لا يُخبر نبيّه أو يُخبره ويأمره بعدم البوح بأن هذا الشخص سوف يُقتل مثلاً ، فإذا حصل ذلك سيُقال : هذا بداء أي ظهور بعد خفاء ، واللوح المحفوظ (الثابت) هو من علم الله فقط والله يأمر الرسول أن يُخبر الناس عمّا في لوح المحو والإثبات **.(مستفاد من موقع السيد جعفر مرتضى "ق" الإلكتروني).**

اتفّقت الإمامية أن البداء بمعنى الظهور بعد الخفاء والعلم بالشيء بعد الجهل به لا بمعنى تغيّر إرادة الله تعالى ، قال الله تعالى : { إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء} **(آل عمران 5)** وقال تعالى : { فاستجبنا له ونجيناه من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين} **(الأنبياء 88)** ، قال أمير المؤمنين (ع) مخاطباً ربنا جل وعلا : **" كل سرّ عندك علانية وكل غيب عندك شهادة "(نهج البلاغة خطبة 105)** وبتعبير آخر إن البداء هو أن يغيّر الله مصير إنسان إذا غيّر الإنسان سلوكه ومسيرته في الحياة .

قال الصادق (ع):**" إن الدعاء ليردّ القضاء وإن المؤمن ليذنب فيُحرم بذنبه الرزق". (بحار الأنوار 90/ كتاب الذكر والدعاء باب 16)**

[2]. إكمال الدين 69.

[3]. نفس المصدر السابق 70

غير أنّه وردت عن أئمتنا الأطهار عليهم السلام روايات توهم القول بصحة البداء بالمعنى المتقدِّم، كما ورد عن الصادق (ع) : ما بدا لله في شيء كما بدا له في اسماعيل ابني.[1]

ولذلك نَسبَ بعض المؤلّفين في الفرق الاسلامية إلى الطائفة الإمامية القول بالبداء طعناً في المذهب وطريق آل البيت، وجعلوا ذلك من جملة التشنيعات على الشيعة.

والصحيح في ذلك أن نقول كما قال الله تعالى في مُحكم كتابه المجيد (يَمْحوُا اللهُ ما يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ)[2]

ومعنى ذلك: أنّه تعالى قد يُظهر شيئاً على لسان نبيّه أو وليّه، أو في ظاهر الحال لمصلحة تقتضي ذلك الإظهار، ثم يمحوه فيكون غير ما قد ظهر أولاً، مع سبق علمه تعالى بذلك، كما في قصة إسماعيل لما رأى أبوه إبراهيم أنّه يذبحه.[3]

---

[1]. التوحيد: ٣٣٦ ح١٠، إكمال الدين: ٦٩، تصحيح الاعتقاد من مصنّفات الشيخ المفيد: ٦٦/٥.

وقد أوضح الشيخ المفيد معنى الحديث بقوله: (أراد به (ع) ما ظهر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه، وقد كان مخوفاً عليه من ذلك مظنوناً به، فلطف له في دفعه عنه.

وقد جاء الخبر بذلك عن الصادق(ع) ، فرُوي عنه أنّه قال: (**كان القتل قد كتب على اسماعيل مرّتين فسألت الله في دفعه عنه فدفعه)** وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط فيتغيّر الحال فيه .

[2]. الرعد 39

[3]. **قال تعالى:** { فَلمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ قالَ يبنَيَّ إنّي أرَى في المَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذا تَرىَ قال يا أَبَتِ افْعَل مَا تُؤمَرُ سَتَجدُنِي إنْ شَاءَ اللّهُ مِنَ الصَّابِرينَ * فَلَمّا أَسْلَما وَتَلّهُ لِلجبينِ* وَنادَيْناهُ أَنْ يا إبراهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤيا إنّا كذلِكَ نَجْزِي المُحسِنينَ * إنّ هَذا لَهُوَ البلاءُ المُبينُ * وَفَدَيْنهُ بِذِبْحٍ عَظيمٍ } . **الصافات ١٠٢ ـ ١٠٧.**

فيكون معنى قول الامام(ع) :أنّه ما ظهر لله سبحانه أمر في شيء كما ظهر له في اسماعيل ولده؛ إذ اخترمه[1] قبله ليعلم الناس أنّه ليس بإمام، وقد كان ظاهر الحال أنّه الإِمام بعده؛ لأنّه أكبر ولده.[2]

---

[1]. أي ارتحل إلى جوار ربّه قبل الإمام الصادق والده (ع)

[2]. ونجد أنّ مجموعة من الشيعة - وعلى الرغم ممّا فعله الامام الصادق (ع) ، وما قاله في وفاة وتجهيز وتكفين ولده اسماعيل - قالوا بإمامة اسماعيل بعد أبيه الامام الصادق (ع) ، وهؤلاء هم الذين يدعون ب (الإسماعيلية)، وهم يفترقون عن الشيعة الإمامية بقولهم: إنّ الإمامة بعد الإمام الصادق(ع) انتقلت الى ولده الأكبر إسماعيل ويزعمون أن الإمام الصادق (ع) نصّ عليه في حياته.

وقد اختلفوا في إسماعيل، فمنهم من قال بموتِه في حياة أبيه - وهو الثابت والمتواتر تأريخياً كما يشير إليه المصنّف هنا - وهؤلاء قالوا بأنّ الامامة تبقى في ذريّته، وأوّلهم محمد بن اسماعيل وقسم منهم يقول بأنّه - أي اسماعيل - لم يمت وإنّما أظهر أبوه (ع) موته تقيّةً من العباسيين، وأَشهد على موته وتجهيزه عامل المنصور بالمدينة محمد بن سليمان، وهؤلاء بين من وقف على محمد بن إسماعيل ولم يتجاوزه إلى غيره - وهم المسمّون بالواقفة - وبين من تعدّى عن محمد بن إسماعيل وجعل الإمامة في سبعة سبعة؛ بين ظاهر ومستور كأيّام الاسبوع وعدد السموات والأرضين والأفلاك، وأنّ أول سبعة ظاهرين يبدؤون من الإمام علي (ع) وينتهون بإسماعيل، وأوّل سبعة مستورين يبدؤون بمحمد بن إسماعيل، ثمّ ولده جعفر المصدّق، ثمّ ولده محمد الحبيب، ثم عبدالله المهدي الذي ظهر في شمال افريقيه ومن ولده تكوّنت الدولة الفاطمية.

راجع، فرق الشيعة: ٦٧، الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٣٠٨، الشيعة بين الأَشاعرة والمعتزلة: ٧٨، تاريخ المذاهب الاسلامية: ٥٤، الملل والنحل للشهرستاني: ١٤٩/١، الفرق بين الفرق: ٦٢.

وقريب من البداء في هذا المعنى نسخ أحكام الشرائع السابقة بشريعة نبيِّنا صلى الله عليه وآله ، بل نسخ بعض الأحكام التي جاء بها نبينا صلى الله عليه وآله .[1]

[1]. يذكر الامام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء في هذا الصدد قوله: (البداء في عالم التكوين كالنسخ في عالم التشريع، فكما أنّ لنسخ الحكم وتبديله بحكم آخر مصالح وأسراراً بعضها غامضٌ وبعضها ظاهر فكذلك في الإخفاء والإبداء في عالم التكوين، على أنّ قسماً من البداء يكون من اطّلاع النفوس المتّصلة بالملأ الأعلى على الشيء وعدم اطّلاعها على شرطه أو مانعه، مثلاً اطّلع عيسى (ع) أنّ العريس يموت ليلة زفافه، ولكن لم يطّلع على أنّ ذلك مشروط بعدم صدقة أهله، فاتفق أنّ أمه تصدّقت عنه، وكان عيسى (ع) أخبر بموته ليلة عرسه فلم يمت وسئل عن ذلك فقال: «لعلّكم تصدّقتم عنه والصدقة قد تدفع البلاء المبرم» وهكذا نظائرها... ولولا البداء لم يكن وجهٌ للصدقة، ولا للدعاء، ولا للشفاعة، ولا لبكاء الأنبياء والأولياء وشدّة خوفهم وحذرهم من الله مع أنّهم لم يخالفوه طرفة عين، إنّما خوفهم من ذلك العلم المصون المخزون الذي لم يطّلع عليه أحد). **أصل الشيعة وأصولها: ٣١٤.**

وكلام الإمام كاشف الغطاء (رض) أوضح ما ينبغي إيضاحه من بركة الأعمال المطلوبة في دفع الأقدار وأهمية وجود مانعٍ من الإمضاء وهو الإلتزام بالدعاء والصدقة التي تدفع صنوف البلاء.

8. عقيدتنا في أحكام الدين [1]

نعتقد: أنّه تعالى جعل أحكامه ـ من الواجبات والمحرَّمات وغيرهما ـ طبقاً لمصالح العباد في نفس أفعالهم، فما فيه المصلحة الملزمة جعله واجباً، وما فيه المفسدة البالغة نهى عنه، وما فيه مصلحة راجحة ندبنا إليه...

[1]. قال الله تعالى : {ولقد صرّفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلا} . (الكهف 54). وبما أن النصوص الشريفة تُفيد أن كلّ واقعةٍ لا تخلو من حكم ، فلا بدّ من وجود تشريعٍ يرتبط بحياة المكلّف طبقاً للمصالح والمفاسد.

هناك عدة تعريفات للحكم الشرعي، ومنها:

- الحكم الشرعي عبارة عن خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين.
- وقيل إنه عبارة عن خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد.
- وقال آخرون: إنه عبارة عن خطاب الشارع المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء (يعني طلب الشارع لفعل أو تركه على وجه الإلزام غير الإلزام مثل ما هو : واجب ، مستحب ، محرّم ومكروه) أو التخيير (استواء الفعل والترك وهو المباح) أو الوضع (يعني جعل شيء سبباً لآخر أو شرطاً أو مانعاً منه ، وهو يتعلّق بثبوت الأحكام الشرعية أو انتفائها).

وهناك تقسيمات عدّة للحكم الشرعي بعدّة لحاظات، أذكرها بشكل وجيز:

الأقسام	محور التقسيم
حكم تكليفي ووضعي	بلحاظ تعلّق الحكم بفعل المكلّف بصورة مباشرة أو غير مباشرة
حكم واقعي أولي وثانوي	بلحاظ ثبوت الحكم لعمل مّا بعينه أو بعنوانٍ عَرَضَ عليه
حكم واقعي وظاهري	بلحاظ ميزان القطع بالدليل الذي استنتج منه ذلك الحكم
حكم مولوي وإرشادي	بلحاظ صدوره من جهة المولويّة أو النصح والإرشادية
حكم تأسيسي وإمضائي	بلحاظ وجود سابقة لهذا الحكم في بناء العقلاء والعرف أو عدم وجودها

ينقسم الحكم الشرعي في علم الأصول حسب نسبة كشفه إلى قسمين :

- حكم واقعي : وهو كل حكمٍ لم يُفترض في موضوعه الشك في حكم شرعيّ مُسبق ، وهو المُستفاد من القرآن وآياته المُحكمة (آيات الأحكام مثلاً) والسنّة الشاملة لأحاديث النبي (ص) وأهل بيته (ع) غير المشتبهة والصريحة في الفعل أو القول .
- حكم ظاهري : وهو كل حكم افتُرض في موضوعه الشك في حكم شرعيّ مُسبق ، يتوصّل إليه أهل الفقاهة والإجتهاد عبر فهم ظهورات النصوص الشريفة (قرآن وأحاديث شريفة).

وهكذا في باقي الأحكام، وهذا من عدله ولطفه بعباده.

ولا بدّ أن يكون له في كل واقعة حكم[1]، ولا يخلو شيء من الأشياء من حكم واقعي لله فيه، وإن انسدَّ علينا طريق علمه.

ونقول أيضاً: إنّه من القبيح أن يأمر بما فيه المفسدة، أو ينهى عمّا فيه المصلحة.

غير أنّ بعض الفِرق من المسلمين[2] يقولون: إنّ القبيح ما نهى الله تعالى عنه، والحسن ما أمر به، فليس في نفس الأفعال مصالح أو مفاسد ذاتية، ولا حسن أو قبح ذاتيان، وهذا قول مخالف للضرورة العقلية.

كما وينقسم الحكم الشرعي بلحاظ اهتمامه بفعل المكلّف مباشرةً أو غير مباشرةٍ : إلى تكليفي ووضعي :

- الحكم التكليفي : هو الحكم المتعلّق بأفعال المكلّفين مباشرةً ، وهو ما يقتضي طلب الفعل أو الترك أو التخيير ؛ كوجوب الزكاة مثلاً.
- الحكم الوضعي : وهو ما يقتضي جعل شيء سبباً لشيء آخر أو شرطاً له أو مانعاً منه ، وهو ما يقتضي الصحة والفساد ؛ كالزوجية مثلاً المُوجبة للنفقة.

والحكم التكليفي يُقسم إلى الأقسام الخمسة التي مرّ ذكرها (واجب ، حرام ، مكروه ، مستحبّ ومباح).

[1]. قال تعالى: { مَا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيءٍ} **الانعام ٣٨**.

وورد في الحديث: **"ما من أمر يختلف فيه اثنان إلاّ وله أصل في كتاب الله" الكافي: ٧٨/١ ح٦.**

وورد أيضاً : **"ما من حادثة إلاّ ولله فيها حكم" البحار: ٩١/٩٣.**

[2]. قالت الأشاعرة: إنّ الحسن والقبح شرعيّان، ولا يقضي العقل بحسن شيء منها ولا بقبحه، بل القاضي بذلك هو الشرع، فما حسّنه فهو حسن وما قبّحه فهو قبيح.

لاحظ: نهج الحق: ٨٣، الملل والنحل: ٨٩/١، شرح التجريد للقوشجي: ٣٧٥.

كما أنّهم جوَّزوا أن يفعل الله تعالى القبيح فيأمر بما فيه المفسدة، وينهى عما فيه المصلحة. وقد تقدَّم أنّ هذا القول فيه مجازفة عظيمة، وذلك لاستلزامه نسبة الجهل أو العجز إليه سبحانه، تعالى علواً كبيراً.

والخلاصة: أنّ الصحيح في الاعتقاد أن نقول: إنّه تعالى لا مصلحة له ولا منفعة في تكليفنا بالواجبات ونهينا عن فعل ما حرَّمه، بل المصلحة والمنفعة ترجع لنا في جميع التكاليف، ولا معنى لنفي المصالح والمفاسد في الأفعال المأمور بها والمنهي عنها؛ فإنّه تعالى لا يأمر عبثاً ولا ينهى جزافاً، وهو الغني عن عباده.

الفصل الثاني
الـــــنـــــبـــــــوّة

1. عقيدتنا في النبوّة
2. النبوّة لطف
3. عقيدتنا في معجزة الأنبياء
4. عقيدتنا في عصمة الأنبياء
5. عقيدتنا في صفات النبي
6. عقيدتنا في الأنبياء وكتبهم
7. عقيدتنا في الإِسلام
8. عقيدتنا في مشرّع الإِسلام
9. عقيدتنا في القرآن الكريم
10. طريقة إثبات الإِسلام والشرائع السابقة

1. عقيدتنا في النبوة :[1]

نعتقد: أنّ النبوّة وظيفة إلهية[2]، وسفارة ربّانية، يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في إنسانيّتهم، فيرسلهم إلى سائر الناس لغاية إرشادهم إلى ما فيه منافعهم ومصالحهم في الدنيا والآخرة[3]،

---

[1]. أبرز دليل على ضرورتها هو العقل، القاضي بضرورة إبلاغ أحكامه تعالى ووجوب طاعته وطبقاً لقاعدة اللطف أيضاً (وسيأتي تفصيلها في حاشية رقم 2 من الصفحة التالية).

[2]. النبوة لغةً: هي مشتقةٌ من النبأ، وهو الخبر والإخبار ، أما اصطلاحاً فهي : اختصاص العبد بتبليغ وحي الله تعالى ، وهذا هو الإصطفاء والتفضيل ويسمى المصطفى نبيّاً.

وأعرّج على الفرق بين النبي والرسول حيث أن الأخير هو الذي يحمل رسالة وتكليفاً يؤمرُ بتبليغه للناس، ويكون لديه شريعةٌ خاصة به، (مثل أنبياء الله نوح وابراهيم وموسى ومحمد (ص) عليهم سلام الله جميعاً)، فالرسول نبيّ ولكن ليس العكس ، أما النبيّ فهو الشخص الذي يُرسل الله إليه الوحي ليعلّمه بعض الأمور الغائبة ، أو ليحلّ به مُعضلات قومه بهدف هدايتهم إلى اتّباع الدين السماوي ، أو الشريعة التي كان هذا النبي في زمانها (مثل أنبياء الله هارون ، يونس ، داوود ، الياس عليهم وعلى نبينا سلام الله جميعاً)

أما أولي العزم فهم مجموعة من الأنبياء وعددهم خمسة يمتلكون مؤهلات خاصة من العزم والإرادة الصلبة والصبر والثبات حيث أن سِيرهم الشريفة مليئةٌ بالصبر والعزم والثبات وهذا من أهم أسباب تسميتهم بذلك ، فضلاً أنهم كانوا أصحاب شرائع عالميّة ، فكان كل نبيٍ يأتي بعدهم على شريعتهم (مثال الأنبياء بعد نوح كانوا على شريعته و الأنبياء بعد ابراهيم كانوا على شريعته وهكذا دواليك...) والأنبياءُ أولو العزم هم: نوح ، ابراهيم، موسى ، عيسى ومحمد (ص) عليهم سلام الله أجمعين...

[3]. إليك بعض الشرائع مثال:

- شرائع نوح (ع) السبع : وهي 7 أوامر أخلاقية وهي تحريم الوثنية والقتل والسرقة والإنحلال الجنسي والتجديف (وهو الإساءة إلى الله أو نبيه أو دينه) وتحريم أكل لحم حيوان حي (لم يُذبح) وفرض العدل.
- حنيفية إبراهيم (ع) : التوحيد والإيمان بالله والإستقامة على الصراط المستقيم.

ولغـرض تنـزيههم وتـزكيتهم[1] مـن دَرن مسـاوئ الأخـلاق ومفاسـد العـادات، وتعلـيمهم الحكمـة والمعرفـة، وبيـان طـرق السـعادة والخيـر؛ لتبلـغ الانسـانية كمالهـا اللائـق بهـا، فترتفـع إلـى درجاتهـا الرفيعـة فـي الـدارين دار الـدنيا ودار الآخـرة.

ونعتقد: أنّ قاعدة اللطف [2]- على ما سيأتي معناها - توجب أن يبعث الخالق - اللطيف بعباده - رسله لهداية البشر، وأداء الرسالة الاصلاحية، وليكونوا سفراء الله وخلفاءه.

- توراة موسى (ع) وشريعة اليهود والألواح التي تحمل الوصايا العشر التي تتمحور حول العلاقة مع الله.
- مسيحية عيسى (ع).
- الإسلام المحمدي خاتم الرسالات السماوية (ص).

[1]. للإرتقاء بهم في سلّم الكمال.

[2]. ما هي قاعدة اللطف ؟ هي قاعدة متفرّعة على أصل العدل الإلهي ، فهي نتاج ما يُدرك العقل ويحكم لما يكون من شان الله تعالى بحكم كونه عادلاً ، وسمّيت باللطف تأدّباً ، فمن اللطف الإلهي وجود الأنبياء والمعصومين لإبلاغ تكاليف الله تعالى وإخراجاً للناس من مغبّة الدخول في معصيته ولأنهم الواسطة بينه تعالى وبين عبيده....

عن رسول الله (ص) : **ولا بعث الله نبيّاً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل ويكون عقله أفضل من عقول أمته . (الكافي 1/13)**

وعن الصادق (ع) بعد سؤاله عن سبب بعث الله تعالى للانبياء والرسل إلى الناس قال (ع) : **لئلا يكون للناس على الله حجّة بعد الرسل ، ولئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير ولتكون حجة الله عليهم . (علل الشرائع 51 ، بحار الأنوار ج 11 ص 39)**

كما نعتقد: أنّه تعالى لم يجعل للناس حقّ تعيين النبي أو ترشيحه أو انتخابه[1]، وليس لهم الخيَرة في ذلك، بل أمر كلّ ذلك بيده تعالى؛ لأنّه (أَعلمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتهُ)[2] وليس لهم أن يتحكَّموا فيمن يرسله هادياً ومبشِّراً ونذيراً، ولا أن يتحكَّموا فيما جاء به من أحكام وسنن وشريعة.[3]

---

[1]. فالنبي مصطفىً خاص من قِبَله تعالى.

[2]. الأنعام 124

[3]. وقد قال الامام علي (ع) في خطبة له يصف فيها ابتداء خلق السماء والارض وخلق آدم(ع)، ويذكر الانبياء وبعثتهم فيقول:

" واصطفى سبحانه من ولده أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم لمّا بدّل أكثرُ خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقّه، واتخذوا الانداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث إليهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة؛ من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم(أي أمراض تُتعبهم)، وأحداث تتابع عليهم، ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة أو محجّة قائمة، رسل لا تقصر بهم قلّة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم، من سابق سُمّي له مَن بعده، أو غابر عرّفه من قبله .على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء، إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً رسول الله (ص) لإنجاز عدتِه، وإتمام نبوّته، مأخوذاً على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذٍ مللٌ متفرّقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة؛ بين مشبّه لله بخلقه، أو ملحد في اسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكان من الجهالة.." راجع: نهج البلاغة: الخطبة :١، وغيرها من الخطب التي فيها إشارات حول بعثة الأنبياء عليهم السلام .

يذكر (ع) في هذه الخطبة المباركة أدوار النبي المبلغّ المبعوث من الله تعالى حيث أنه من مهامه التبليغ للأحكام والإرجاع إلى الفطرة السليمة ، وهذا يكون باستنفار قواهم الخيّرة وتذكيرهم بالنعم العظيمة الممنوحة، أو البلاوي التي دفعها ربّهم بشكلٍ يقوّي رابطتهم مع ضميرهم بالتالي مع خالقهم ، أو قد يذكّرهم بالموت هادم اللذّات ، ويناقشهم بالعقل : أن هذا النظام الدقيق لا يُمكن فيه الإشراك بين إلهين مثلاً ، وتذكيرهم بآيات الله في بدائع خلقه من السماء إلى الأرض وما إلى ذلك من كشف بعض البواطن التي تقرِّب إلى الله معرفتُها.

2. النبوّة لطف

إنّ الإنسان مخلوق غريب الأطوار، معقَّد التركيب في تكوينه وفي طبيعته وفي نفسيّته وفي عقله، بل في شخصية كلّ فرد من أفراده، وقد اجتمعت فيه نوازع الفساد من جهة، وبواعث الخير والصلاح من جهة أخرى.[1]

فمن جهة قد جُبل على العواطف والغرائز من حبّ النفس، والهوى، والإثرة، وإطاعة الشهوات، وفُطر على حبّ التغلُّب، والاستطالة، والاستيلاء على ما سواه، والتكالب على الحياة الدنيا وزخارفها ومتاعها كما قال تعالى:{إنَّ الإِنسنَ لَفِي خُسْرٍ } و { إنَّ الإِنسنَ لَيَطْغَى * أَنْ رآهُ استَغنَى}[2] و{ إنَّ النَّفْس لأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ } [3] إلى غير ذلك من الآيات المصرِّحة والمشيرة إلى ما جُبلت عليه النفس الإنسانية من العواطف والشهوات.

ومن الجهة الثانية، خلق الله تعالى فيه عقلاً هادياً يرشده إلى الصلاح ومواطن الخير، وضميراً وازعاً يردعه عن المنكرات والظلم ويؤنبه على فعل ما هو قبيح ومذموم.

ولا يزال الخصام الداخلي في النفس الإنسانية مُستعراً بين العاطفة والعقل، فمن يتغلَّب عقله على عاطفته[4] كان من الأعلَين مقاماً، والراشدين في إنسانيتهم، والكاملين في روحانيتهم، ومن تقهره عاطفته كان من الأخسرين منزلة، والمتردّين إنسانية، والمنحدرين إلى رتبة البهائم[5].

---

[1]. قال الله تعالى : {ونفسٍ وما سواها فألهمها فجورها وتقواها} – **الشمس اية 8/7**

[2]. العلق 7/6

[3]. يوسف 53

[4]. وهي الشهوات ؛ وهي النفس مُعترك المعركة الكبرى .

[5]. عن الإمام علي (ع) : **"إن الله عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوةٍ ، وركّب في البهائم شهوةً بلا عقلٍ وركّب في بني آدم كلتيهما ، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم "(بحار الأنوار ج 57 ص 229).**

وأشدّ هذين المتخاصمين مراساً على النفس هي العاطفة وجنودها، فلذلك تجد أكثر الناس منغمسين في الضلالة، ومبتعدين عن الهداية، بإطاعة الشهوات، وتلبية نداء العواطف(وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ ولو حَرَصتَ بِمُؤمِنِينَ) [1].

على أنّ الانسان لقصوره، وعدم اطّلاعه على جميع الحقائق، وأسرار الأشياء المحيطة به، والمنبثقة من نفسه، لا يستطيع أن يعرف بنفسه كل ما يضرّه وينفعه، ولا كل ما يسعده ويشقيه؛ لا فيما يتعلَّق بخاصّة نفسه، ولا فيما يتعلّق بالنوع الانساني ومجتمعه ومحيطه، بل لا يزال جاهلاً بنفسه، ويزيد جهلاً، أو ادراكاً لجهله بنفسه، كلّما تقدّم العلم عنده بالأشياء الطبيعية، والكائنات المادية[2].

وعلى هذا، فالإنسان في أشدّ الحاجة ليبلغ درجات السعادة إلى من ينصب له الطريق اللاحب[3]، والنهج الواضح إلى الرشاد واتّباع الهدى؛ لتقوى بذلك جنود العقل، حتى يتمكن من التغلب على خصمه اللَّدود اللجوج عندما يهيىء الانسان نفسه لدخول المعركة الفاصلة بين العقل والعاطفة.

وأكثر ما تشتدّ حاجته إلى من يأخذ بيده إلى الخير والصلاح عندما تخادعه العاطفة وتراوغه - وكثيراً ما تفعل - فتزيّن له أعماله، وتحسّن لنفسه انحرافاتها؛ إذ تُريه ما هو حسن قبيحاً، أو ما هو قبيح حسناً، وتلبس على العقل طريقه إلى الصلاح والسعادة والنعيم، في وقت ليس له تلك المعرفة التي تميّز له كلّ ما هو حسن ونافع، وكل ما هو قبيح وضارّ، وكل واحد منّا صريع لهذه المعركة من حيث يدري ولا يدري، إلاّ من عصمه الله.

ولأجل هذا يعسُر على الإنسان المتمدِّن المثقَّف - فضلاً عن الوحشي الجاهل - أن يصل بنفسه إلى جميع طرق الخير والصلاح، ومعرفة جميع ما ينفعه ويضرّه في دنياه وآخرته، فيما يتعلَّق

---

[1]. يوسف 103

[2]. لهذا يتوجّه وجودُ مبعوثٍ مُرسلٍ من قِبله جلّ وعلا.

[3]. أي الواضح.

بخاصة نفسه أو بمجتمعه ومحيطه، مهما تعاضد مع غيره من أبناء نوعه ممّن هو على شاكلته وتكاشف معهم، ومهما أقام بالاشتراك معهم المؤتمرات والمجالس والاستشارات.

فوجب أن يبعث الله تعالى [1]في الناس رحمة لهم ولطفاً بهم { رَسُولاً مِنهُم يَتلوُا عَلَيهِم ءايتِهِ وَيُزكِّيهِم ويُعلّمُهُمُ الكِتبَ والحكمَةَ } [2]وينذرهم عمّا فيه فسادهم، ويبشّرهم بما فيه صلاحهم وسعادتهم.

وإنّما كان اللطف من الله تعالى واجباً، فلأنّ اللطف بالعباد من كماله المطلق، وهو اللطيف بعباده الجواد الكريم، فإذا كان المحل قابلاً ومستعدّاً لفيض الجود واللطف[3]، فإنّه تعالى لا بد أن يفيض لطفه؛ إذ لا بخل في ساحة رحمته، ولا نقص في جوده وكرمه.

وليس معنى الوجوب هنا أنّ أحداً يأمره بذلك فيجب عليه أن يطيع تعالى عن ذلك[4]، بل معنى الوجوب في ذلك هو كمعنى الوجوب في قولك: إنّه واجب الوجود (أي اللزوم واستحالة الانفكاك).

[1]. تِبعاً لقاعدة اللطف.

[2]. الجمعة 2.

[3]. كقلب الإنسان مثلاً.

[4]بل كل ذلك نابعٌ من رحمته ولطفه.

3. عقيدتنا في معجزة الأنبياء

نعتقد: أنّه تعالى إذ يُنصّب لخلقه هادياً ورسولاً لا بدّ أن يعرِّفهم بشخصه، ويرشدهم إليه بالخصوص على وجه التعيين، وذلك منحصر بأن ينصب على رسالته دليلاً وحجّة يقيمها لهم[1]؛ إتماماً للطف، واستكمالاً للرحمة.

وذلك الدليل لا بدّ أن يكون من نوع لا يصدر إلا من خالق الكائنات، ومدبّر الموجودات ـ أي فوق مستوى مقدور البشر ـ فيجريه على يدي ذلك الرسول الهادي؛ ليكون معرِّفاً به، ومرشداً إليه، وذلك الدليل هو المسمى بالمعجز أو المعجزة؛ لأنّه يكون على وجه يعجز البشر عن مجاراته والإِتيان بمثله.

وكما أنّه لا بدّ للنبي من معجزة [2]يظهر بها للناس لإقامة الحجة عليهم، فلا بدّ أن تكون تلك المعجزة ظاهرة الإعجاز بين الناس على وجه يعجز عنها العلماء وأهل الفن في وقته، فضلاً عن غيرهم من سائر الناس، مع اقتران تلك المعجزة بدعوى النبوّة منه؛ لتكون دليلاً على مدَّعاه، وحجة بين يديه، فإذا عجز عنها أمثال أولئك عُلم أنّها فوق مقدور البشر، وخارقة للعادة، فيُعلم أنّ صاحبها فوق مستوى البشر، بما له من ذلك الاتصال الروحي بمدبِّر الكائنات.

---

[1]. قال الله تعالى : { رُسلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةً بَعْدَ الرُّسُلِ وكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً} – سورة النساء 165

[2]. المُعجزة لغةً هي الأمر الخارق للعادة الذي يفوق قدرة البشر.

أما اصطلاحاً فهي الأمر الخارق الذي يُظهره الله تعالى على يد نبيّه بعد الإقتران بالتحدّي ويكون سالماً عن المعارضة أي لا يوجد فعل مشابه له ومن الأمثلة في سيرة الأنبياء (ع) : عصا موسى (ع) ، وانشقاق القمر للنبي (ص) ، وإخراج الماء من بين أصابع النبي (ص) في إحدى المعارك ، وناقة صالح (ع) التي خرجت من جوف الصخر ، فضلاً عن المعجزة الخالدة وهي القرآن الكريم.

وإذا تمَّ ذلك لشخص، من ظهور المعجز الخارق للعادة، وادّعى – مع ذلك - النبوة والرسالة، يكون حينئذٍ موضعاً لتصديق الناس بدعواه، والايمان برسالته، والخضوع لقوله وأمره، فيؤمن به من يؤمن، ويكفر به من يكفر.

ولأجل هذا وجدنا أنّ معجزة كل نبي تناسب ما يشتهر في عصره من العلوم والفنون، فكانت معجزة موسى (ع) هي العصا التي تلقف السحر وما يأفكون؛ إذ كان السحر في عصره فنّاً شائعاً، فلما جاءَت العصا بطل ما كانوا يعملون، وعلموا أنّها فوق مقدروهم[1]، وأعلى من فنّهم، وأنّها ممّا يعجز عن مثله البشر، ويتضاءل عندها الفن والعلم[2].

وكذلك كانت معجزة عيسى (ع) ، وهي إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى؛ إذ جاءَت في وقت كان فن الطب هو السائد بين الناس، وفيه علماء وأطباء لهم المكانة العليا، فعجز علمهم عن مجاراة ما جاء به عيسى(ع) [3].

ومعجزة نبيّنا الخالدة هي القرآن الكريم، المُعجز ببلاغته وفصاحته، في وقت كان فنّ البلاغة معروفاً، وكان البلغاء هم المقدَّمين عند الناس بحسن بيانهم وسموِّ فصاحتهم، فجاء القرآن كالصاعقة؛ أذلّهم وأدهشهم، وأفهمهم أنّهم لا قِبَل لهم به، فخنعوا له مهطعين عندما عجزوا عن مجاراته، وقصروا عن اللحاق بغبارة.[4]

---

[1]. أي السحرة.

[2]. قال تعالى : { وَأَوحَيْنا إلى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصاكَ فَإذا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأفِكُونَ * فَوقَعَ الحَقُّ وبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلوُنَ * فَغُلِبوُا هُنَالِكَ وانْقَلَبوُا صَاغِرِينَ * وأُلقِيَ السَحَرَةُ سجدين}سورة الأعراف 120

[3]. قال تعالى : {وَرَسُولاً إلى بَنِي إسرائيلَ أَنِّي قد جئتُكُم بِآيةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخلُقُ لَكُمْ مِنَ الْطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَيْرِ فَأنفخُ فِيهِ فَيَكُونُ طيراً بإذنِ الله وأُبْريءُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وأُحْيي الموتَى بإذْن الله وأُنَبِّئُكُمْ بما تأكلُونَ وما تَدَّخِرون في بيوتِكُمْ إنّ في ذلِكَ لآيةً لَكُمْ إنْ كُنتُمْ مُؤمِنينَ } آل عمران 49

[4]. قال تعالى:{ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الاِنْسُ والجِنُّ عَلَى أَنْ يَأتُوا بِمِثْلِ هذا القُرءانَ لاَ يَأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }الاسراء ٨٨

ويدلّ على عجزهم أنّه تحدّاهم بإتيان عشر سور مثله فلم يقدروا[1]، ثمّ تحدّاهم أن يأتوا بسورة من مثله [2] فنكصوا، ولمّا علمنا عجزهم عن مجاراته ـ مع تحدّيه لهم، وعلمنا لجوءهم إلى المقاومة بالسنان دون اللسان ـ علمنا أنّ القرآن من نوع المعجز، وقد جاء به محمد بن عبدالله مقروناً بدعوى الرسالة. فعلمنا أنّه رسول الله، جاء بالحق وصدق به، صلى الله عليه وآله.

---

[1]. {أَمْ يَقُولُونَ افتريهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صدِقِيْنَ } هود 13

[2]. قال تعالى أيضاً:{ وَإِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِمَّا نزَّلْنَا على عَبْدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادعوا شهُدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُم صَدِقِينَ } البقرة ٢٣.

وقال تعالى أيضاً: {أَمْ يَقُولُونَ افْتريهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُوَرَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ استَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَدقِينَ }يونس 38

4. عقيدتنا في عصمة الأنبياء

ونعتقد: أنّ الأنبياء معصومون قاطبة، وكذلك الأئمة عليهم جميعاً التحيات الزاكيات، وخالَفَنا في ذلك بعض المسلمين، فلم يوجبوا العصمة في الأنبياء[1]، فضلاً عن الأئمة.

والعصمة: هي التنزُّه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان[2]، وإن لم يمتنع عقلاً على النبي أن يصدر منه ذلك، بل يجب أن يكون منزَّهاً حتى عمّا ينافي

---

[1]. انظر: شرح المقاصد: ٥/٥٠، الغنية في اصول الدين: ١٦١.

وذكر السيد المرتضى في تنزيه الانبياء ما نصه: (وجوّز أصحاب الحديث والحشوية (أقول الحشويّة هم المجسّمة والمشبّهة ويقولون بأن الله له صفات جسدية وأفعال بشرية من وقوف وجلوس وضحك تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً) على الأنبياء الكبائر قبل النبوّة، ومنهم من جوّزها في حال النبوّة سوى الكذب فيما يتعلّق بأداء الشريعة، ومنهم من جوّزها كذلك - في حال النبوّة - بشرط الاستسرار دون الإعلان، ومنهم من جوّزها على الأحوال كلها. ومنعت المعتزلة من وقوع الكبائر والصغائر المستخفة من الأنبياء عليهم السلام قبل النبوّة وفي حالها، وجوّزت في الحالين (قبل وحين النبوّة) وقوع ما لا يستخف من الصغائر، ثم اختلفوا؛ فمنهم من جوّز على النبي صلى الله عليه وآله الإقدام على المعصية الصغيرة على سبيل العمد، ومنهم من منع ذلك وقال إنّهم لا يُقدمون على الذنوب التي يعلمونها ذنوباً بل على سبيل التأويل، وحُكي عن النظام وجعفر بن مبشّر وجماعة ممّن تبعهما أنّ ذنوبهم لا تكون إلاّ على سبيل السهو والغفلة، وأنّهم مؤاخذون بذلك وإن كان موضوعاً عن أممهم بقوّة معرفتهم وعلوّ مرتبتهم). **تنزيه الأنبياء: المقدمة**

[2]. معنى العصمة في أصل اللغة هي: ما اعتصم به الانسان من الشيء؛ كأنّه امتنع به عن الوقوع فيما يكره، وليس جنساً من أجناس الفعل مثل الأكل والشرب بل هو فعلٌ مرتبطٌ بشيءٍ آخر، ومنه قولهم: إعتصم فلان بالجبل، إذا امتنع به، ومنه سميت العصم، وهي وعول الجبال؛ لامتناعها بها.

وقال في لسان العرب: (إنّ العصمة هي الحفظ، يقال: عَصَمته فانعصم، واعتصمت بالله، إذا امتنعت بلطفه من المعصية).

المروءة[1]، كالتبذّل بين الناس من أكل في الطريق أو ضحك عال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام.

والدليل على وجوب العصمة؛ أنّه لو جاز أن يفعل النبي المعصية، أو يخطأ وينسى، وصدر منه شيء من هذا القبيل، فإمّا أن يجب اتّباعه في فعله الصادر منه عصياناً أو خطأً أو لا يجب، فإن وجب اتّباعه فقد جوّزنا فعل المعاصي برخصة من الله تعالى، بل أوجبنا ذلك[2]، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل.

وان لم يجب اتّباعه فذلك ينافي النبوَّة التي لا بدّ أن تقترن بوجوب الطاعة أبداً.

على أن كل شيء يقع منه من فعل أو قول فنحن نحتمل فيه المعصية أو الخطأ، فلا يجب اتّباعه في شيءٍ من الأشياء، فتذهب فائدة البعثة، بل يصبح النبي كسائر الناس، ليس لكلامهم ولا لعملهم

والعصمة من الله تعالى هي: التوفيق الذي يسلم به الانسان ممّا يكره إذا أتى بالطاعة، وذلك مثل إعطائنا رجلاً غريقاً حبلاً ليتشبّث به فيسلم، وقد بيّن الله تعالى هذا المعنى في

كتابه بقوله:{ وَاعْتَصِموُا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً } **آل عمران ١٠٣**. وحبل الله هو دينه.

وورد عن الامام زين العابدين عليه السلام أنه لما سئل عن معنى المعصوم قال: **"هو المعتصم بحبل الله، وحبل الله هو القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والامام يهدي إلى القرآن، والقرآن يهدي إلى الامام، وذلك قول الله عز وجل**:{إن هذا القرءآن يهدي للتي هي أقوم } الاسراء ٩."

بحار الأنوار: ٢٥/ ١٩٤، راجع أوائل المقالات من مصنفات الشيخ المفيد: ٤/ ٣٤. لسان العرب: ١٢/ ٤٠٣ ـ مادة (عصم).

[1]. فضلاً عن الكبائر و الصغائر.

[2]. ومن البديهي أن إطاعة الرسول واجبة بأمر الله؛ حيث قال تعالى:(وَمَا أَرْسَلْنا مِنْ رَسُوْلٍ إلاَّ لِيُطَاعَ بِإذْنِ اللهِ) **النساء64**

تلك القيمة العالية التي يعتمد عليها دائماً، كما لا تبقى طاعة حتمية للأوامره، ولا ثقة مطلقة بأقواله وأفعاله[1].

وهذا الدليل على العصمة يجري عيناً في الامام؛ لان المفروض فيه أنه منصوب من الله تعالى لهداية البشر خليفة للنبي، على ما سيأتي في فصل الإمامة[2].

---

[1]. حيث في مثل ذلك ما ينافي الآيات الواردة في القرآن الكريم التي تحثّ على إطاعة الرسول (ص) وهي كثيرة؛ منها: قوله تعالى:{ وَمَنْ يُطِعِ اللّهَ ورَسولَهُ يُدْخِلْهُ جنتٍ تَجْري مِن تَحْتِها الأَنْهَرُ } النساء ١٣. وقوله تعالى:{وَمَنْ يُطِعِ الله وَالرَّسُول فَأوُلئكَ مَعَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم } النساء ٦٩، وقوله تعالى:{ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ } النساء ٨٠، وقوله تعالى:{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسوَةٌ حسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللّه وَاليَوْمَ الآخِر وَذَكَرَ اللّهَ كَثيراً } الاحزاب ٢١، وقوله تعالى:{ ومَنْ يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَه فَقَدْ فَازَ فَوزاً عَظِيماً } الاحزاب ٧١ وغيرها الكثير من الآيات.

[2]. أقول: الحشوية هم المجسّمة والمشبّهة يقولون بأن الله له صفات جسدية وأفعال بشرية من وقوف وجلوس وضحك (تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً) وقد حصروا المعرفة بظواهر الكتاب والسنّة وبنصّها الحرفي حتى لو خالفت العقل ولا يقولون بعصمة الأنبياء، عن الإمام الصادق (ع): **المعصوم هو الممتنع بالله عن جميع محارم الله. معاني الأخبار للصدوق ص 132**

وعن الباقر (ع) : **إذا علم الله حُسن نية من أحد إكتنفه بالعصمة . بحار الأنوار ج 75 ص 188** فكيف أخي بمن اختاره الله وهذبه بتهذيبه وعلمّه من علومه اللدنيّة؟؟

الدليل العقلي واضح صريحٌ طبقاً لقاعدة اللطف ؛ حيث يلزم هداية الناس فلا يمكن أن يصدر ممن أوكلَ إليه هداية الناس المعصيةُ حتى سهواً ونسياناً ، ليتسنّى للناس الإقتداء به ليرتقوا في سلّم الكمال .

أما الدليل النقلي فيمكن الإستفادة من الآية الشريفة {قال فبعزتك لأغوينّهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلَصين } **ص 82-83** ، أن هناك فئةٌ لا يطالها الشيطان وأخاديعه بل هم في عصمةٍ وحِصن ، وكذلك الآية الشريفة { كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلَصين } **موسى 24** ، وبما أن المعصية ظلمٌ فالمعصوم منزّه عنها قال تعالى : { لا ينال عهدي الظالمين } **البقرة 124.**

5. عقيدتنا في الأنبياء وكتبهم

نؤمن على الاجمال بأنّ جميع الأنبياء والمرسلين على حق، كما نؤمن بعصمتهم وطهارتهم، وأمّا إنكار نبوتّهم، أو سبّهم، أو الاستهزاء بهم فهو من الكفر والزندقة؛ لأنّ ذلك يستلزم إنكار نبينا الذي أخبر عنهم وصدّقهم[1].

أمّا المعروفة أسماؤهم وشرائعهم، كآدم ونوح وإبراهيم وداود وسليمان وموسى وعيسى وسائر من ذكرهم القرآن الكريم بأعيانهم، فيجب الإيمان بهم على الخصوص[2]، ومن أنكر واحداً منهم فقد أنكر الجميع، وأنكر نبوّة نبينا بالخصوص.

---

[1]. فقد قال تعالى: { قُولُوا ءامَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إلى إِبْرَاهِيمَ وإِسْمعِيلَ وإِسْحقَ وَيَعْقُوبَ وَالاَسْبَاطِ وما أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيّوُنَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } **البقرة ١٣٦.**

وقال تعالى: { لكِنْ الْرَّاسِخوُنَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ والْمُؤمِنُونَ يُؤمِنوُنَ بما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمينَ الصَّلوةَ والْمؤُتُونَ الزَكوةَ وَالْمُؤمِنُونَ باللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ أُولئِكَ سَنُؤتِيهِمْ أجراً عَظِيماً } **النساء ١٦٢.**

[2]. وقد ورد في الروايات والأحاديث أن عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألف نبي منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رسولاً، أو ثلاثمائة وخمسة عشر على اختلاف الروايات، وهؤلاء الأنبياء لم يرد اسم أكثرهم في القرآن، فقد قال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمنْهمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ } غافر ٧٨، أمّا الذين ورد اسمهم في القرآن فهم ستة وعشرون:

١ - آدم: وقد ورد اسمه ١٨ مرّة، وقال فيه تعالى: {إنّ الله اصطفى آدَمَ ونوحَاً وءالَ إبراهيمَ وءال عمرانَ على العلمين } آل عمران ٣٣. وورد سبع مرّات بنداء «بني آدم».

٢ - نوح: وورد اسمه ٤٣ مرّة، وقال تعالى فيه: { ولقَدْ أَرْسَلْنا نوحاً إلى قومِهِ فَلَبِثَ فيهم أَلْفَ سنةٍ إلاّ خَمسينَ عَاماً } العنكبوت ١٤.

٣- إدريس: وقد ورد اسمه مرتان، وقال تعالى فيه {واذكر في الكتب إدريس إنه كان صديقاً نبياً } مريم ٥٦.

٤- هود: ورد ذكره عشر مرات، وقال تعالى فيه: { وإلى عاد أخاهم هوداً قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره }الاعراف ٦٥ وهود ٥٠.

٥- صالح: وورد ذكره في تسع مواضع، وقال تعالى فيه:{ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صلحا أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون }النمل ٤٥.

٦- إبراهيم: وورد ذكره في ٦٩ مورداً، وقال تعالى فيه:{ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب.. } الحديد ٢٦.

٧- لوط: وورد ذكره في ٢٧ مورداً، وقال تعالى فيه: {وإن لوطاً لمن المرسلين} الصافات ١٣٣.

٨ - اسماعيل: وورد ذكره في أحد عشر موضعاً، وقال تعالى فيه:(وأوحينا إلى إبراهيم وإسمعيل وإسحق ويعقوب....) النساء ١٦٣. وهو ابن إبراهيم عليه السلام .

٩ - اليَسَع: وورد ذكره مرّتان، وقال تعالى فيه: {وإسمعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العلمين } الانعام ٨٦.

١٠- ذو الكِفل: وورد ذكره مرّتان، وقال تعالى واذكر: { واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار } سورة ص ٤٨.

١١ - إلياس: وورد ذكره مرّتان، وقال تعالى فيه:{ وإن إلياس لمن المرسلين } الصافات ١٢٣.

١٢ - يونس: وورد ذكره أربع مرات، وقال تعالى فيه:{ وإن يونس لمن المرسلين } . الصافات ١٣٩.

١٣ - إسحق: وورد ذكره ١٧مرة، وقال تعالى فيه:{ وبشرنه باسحق نبيا من الصلحين } الصافات ١١٢.

١٤ - يعقوب: وورد ذكره ١٦ مرة، وقال تعالى فيه: { وأوحينا إلى إبراهيم واسمعيل واسحق يعقوب والاسباط وعيسى... } النساء ١٦٣.

١٥ - يوسف: وورد ذكره ٢٧ مرة وقال تعالى فيه:{ ومن ذريته داود وسليمن وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين } الأنعام ٨٤.

١٦ - شعيب : وورد ذكره أحدى عشرة مرة، وقال تعالى فيه:{ وإلى مدين أخاهم شعيبا } الأعراف٨٥، وهود ٨٤، العنكبوت ٣٦.

١٧ - موسى: وورد ذكره مائة وستاً وثلاثين مرة، وقال تعالى فيه: { ولقد أرسلنا موسى بأيتنا أن أخرج قومك من الظلمت إلى النور ذكرهم بأيم الله إن في ذلك لأيت لكل صبار شكور } ابراهيم ٥.

١٨- هارون: وورد ذكره عشرون مرة، وقال تعالى فيه:{ ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا } مريم ٥٣.

١٩ ـ داوود: وورد ذكره ١٦ مرة، وقال تعالى فيه:{ وأيوب ويونس وهرون وسليمان وءاتينا داود زبورا } النساء ١٦٣.

٢٠ ـ سليمان: وورد ذكره ١٧ مرة، وقال تعالى فيه:{ ولقد ءاتينا داود وسليمان علماً } . النمل ١٥.

٢١ ـ أيّوب: وورد ذكره أربع مرات، وقال تعالى فيه:{ وأوحينا إلى إبراهيم واسمعيل وإسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب } النساء ١٦٣.

٢٢ ـ زكريا: وورد ذكره سبع مرات، وقال تعالى فيه:{ وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصلحين } الانعام ٨٥.

٢٣- يحيى: وورد اسمه خمس مرات، وهو الذي قال تعالى في:{ ييحيى خذ الكتب بقوة وءاتينه الحكم صبياً } مريم ١٢.

٢٤ ـ إسماعيل صادق الوعد: وهو غير اسماعيل بن إبراهيم (ع)، وهو الذي قال تعالى فيه:{ واذكر في الكتب إسمعيل إنه كان صادق الوعد رسولا نبياً } مريم ٥٤.

٢٥ ـ عيسى: وورد ذكره ٢٦ مرة، وقال تعالى فيه: { إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقها إلى مريم } النساء ١٧١.

٢٦ – محمد صلى الله عليه وآله : وقد ورد ذكره أربع مرات بلفظ محمد، ومرة واحدة بلفظ أحمد { وما مُحمّدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسل } آل عمران ١٤٤.

ومن الأنبياء من ورد وصفهم دون ذكر اسمهم، كما قال تعالى: { ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقتل في سبيل الله } البقرة ٢٤٦.

وقد كان هؤلاء الرسل موزّعين على كافة الأمم على مر العصور، فقد قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمةٍ رَسُولاً } النحل ٣٦.

وقد فضّل الله بعض الأنبياء والرسل على البعض الآخر، فقد قال تعالى:{ تِلْكَ الْرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ من كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجتٍ } البقرة ٢٥٣.

وقال تعالى:{ وَلَقَدْ فَضَّلْنا بَعْضَ النَّبيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَءاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً } الاسراء ٥٥.

وأفضل هؤلاء الأنبياء والمرسلين هو الخمسة أولو العزم، الذين قال تعالى في حقّهم: { وَإذْ أَخَذْنَا مِنْ النَّبيِّينَ مِيثَ-قَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وإبراهيمَ وَمُوسَى وَعِيسى ابْنِ مَريَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثقاً غَلْيظاً } الأحزاب ٧. وقال

وكــــذلـــك يـــجـــب الايـــمـــان بـــكـــتـــبـــهـــم ومـــا نـــزل عـــلـــيـــهـــم. وأمّا التوراة والإنجيل الموجودان الآن بين أيدي الناس، فقد ثبت أنّهما محرَّفان عمّا أُنزلا بسبب ما حدث فيهما من التغيير والتبديل[1]، والزيادات والاضافات بعد زماني موسى وعيسى عليهما السلام بتلاعب ذوي الأهواء والأطماع، بل الموجود منهما أكثره ـ أو كلّه ـ موضوع بعد زمانهما من الأتباع والأشياع.

تعالى: { فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } الأحقاف ٣٥. ومعلوم أنّ عزم الأنبياء متفاوت وغير متساوٍ عند الجميع، ويدلّ على ذلك قوله تعالى:{ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إلى ءَادَمَ مَنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً } طه ١١٥.

وأفضل هؤلاء الأنبياء والمرسلين هو خاتمهم النبي الأمين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين... **ولمزيد من الاطّلاع راجع: بحار الأنوار:** ٧٧/١١، **الخصال، الأمالي للشيخ المفيد، كنز العمال:** ٣٢٢٧٦ و٣٢٢٧٧ و٣٢٢٨٢ **وغيرها، الميزان في تفسير القرآن: الجزء ٢، ميزان الحكمة: الجزء ٧. وغيرها.**

[1]. الآيات القرآنية الدالّة على ذلك : { من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه} **المائدة13** ، { ..ومن الذين هادوا سمّاعون للكذب سمّاعون لقومٍ آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه..} **المائدة 41.**

6. عقيدتنا في الإِسلام

نعتقد: أنّ الدين عند الله الاسلام[1]، وهو الشريعة الإِلهية الحقّة التي هي خاتمة الشرائع وأكملها، وأوفقها في سعادة البشر، وأجمعها لمصالحهم في دنياهم وآخرتهم، وصالحة للبقاء مدى الدهور والعصور، لا تتغيّر ولا تتبدّل، وجامعة لجميع ما يحتاجه البشر من النظم الفردية والاجتماعية والسياسية.

ولمّا كانت خاتمة الشرائع، ولا نترقَّب شريعة أُخرى تُصلح هذا البشر المنغمس بالظلم والفساد، فلا بدَّ أن يأتي يوم يقوى فيه الدين الإِسلامي، فيشمل المعمورة بعدله وقوانينه.[2]

ولو طُبِّقت الشريعة الاسلامية بقوانينها في الأرض تطبيقاً كاملاً صحيحاً،[3] لعمّ السلام بين البشر، وتمَّت السعادة لهم، وبلغوا أقصى ما يحلم به الإنسان من الرفاه والعزّة، والسّعة والدعة، والخلق الفاضل، ولأنقشع الظلم من الدنيا، وسادت المحبّة والإِخاء بين الناس أجمعين، ولأنمحى الفقر والفاقة من صفحة الوجود[4].

---

[1]. إشارة إلى الآية الشريفة في سورة **آل عمران 19** – {إن الدين عند الله الإسلام}

وقال تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسلامِ دِيناً فلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخسِرينَ } **آل عمران ٨٥**
الإسلام لغةً هو الإنقياد والإتّصاف بالخضوع والتسليم الكامل لله تعالى وعدم التمرّد عليه ، أما اصطلاحاً فهو دين الله الذي يؤمن به المسلمون الذي جاء به نبي الإسلام محمد (ص) وهو دين شاملٌ يُنظّم ويهتمّ بكافة المجالات من العقيدة إلى التكاليف (أوامر ونواهي) والإرتداع من المحرّمات إلى الاهتمام بأخلاقيات الفرد وسلوكه ...

[2]. قال تعالى:(وَلَقَدْ كَتَبْنَا في الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنْ الأَرضَ يَرِثهُا عِبَادِيَ الصَّلِحُونَ) **الأنبياء 105.**

[3]. تطبيق الأحكام والإلتزام التكاليف.

[4]. ليبلغوا مرتبة عالية من التكامل وهذا هو هدف الشريعة الإرتقاء بالناس.

وإذا كنّا نشاهد اليوم الحالة المُخجلة والمُزرية عند الذين يسمُّون أنفسهم بالمسلمين، فلأنّ الدين الاسلامي في الحقيقة لم يطبَّق بنصه وروحه، ابتداء من القرن الأول من عهودهم[1]، واستمرت الحال بنا ـ نحن الذين سمَّينا أنفسنا بالمسلمين ـ من سيّىء إلى أسوأ إلى يومنا هذا، فلم يكن التمسُّك بالدين الاسلامي هو الذي جرّ على المسلمين هذا التأخّر المشين، بل بالعكس إنَّ تمرُّدهم على تعاليمه[2]، واستهانتهم بقوانينه، وانتشار الظلم والعدوان فيهم؛ من ملوكهم إلى صعاليكهم ومن خاصتهم إلى عامتهم، هو الذي شلَّ حركة تقدّمهم، وأضعف قوَّتهم، وحطَّم معنوياتهم، وجلب عليهم الويل والثبور، فأهلكهم الله تعالى بذنوبهم:(ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغيِّراً نِعمَةً أَنعَمَهَا عَلى قَومٍ حَتَّى يُغيّروا ما بأَنفُسِهِمْ) ، تلك سنّة الله في خلقه(إِنَّهُ لا يُفلحُ المُجرِمُونَ) (وَمَا كانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرَى بِظلمٍ وَأَهلُهَا مُصلِحوُن) (وَكذَلِكَ أَخْذُ رَبّكَ إذا أَخَذَ القُرَى وَهي ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخذَهُ أَليِمٌ شَدِيدٌ) (3).

وكيف يُنتظر من الدين أن ينتشل الأُمّة من وهدتها[4] وهو عندها حبر على ورق؛ لا يُعمل بأقل القليل من تعاليمه.

إنّ الايمان والأمانة، والصدق والاخلاص، وحسن المعاملة والايثار، وأن يُحب المسلم لأخيه ما يحِب لنفسه، وأشباهها، من أوّل أُسس دين الاسلام، والمسلمون قد ودَّعوها من قديم أيّامهم إلى حيث نحن الآن[5]، وكلّما تقدمّ بهم الزمن وجدناهم أشتاتاً وأحزاباً وفرقاً، يتكالبون على الدنيا،

---

[1]. وهذا ما جنته العِصابة بغصب حقّ أمير المؤمنين (ع) ومما زاد البلاوي ؛ الغزواتُ التي لم تنطلق بتوجيه الإمام (ع) حيث زادت غرَق المجتمع في الآفّات لأنه لم يكن جاهزاً بعدُ للإنتشار ، ومع أن رقعة الإسلام اتّسعت لكن أحدث ذلك دخول فرق وأمم جديدة تُشايع بني أمية ممّا زاد غربة الدين الصحيح.

[2]. بإقصائهم لأئمتهم والتمرّد مع من غصب حقّهم، وصولاً إلى قتل سيد الشهداء (ع).

[3]. الآيات الشريفة : **الانفال 53، يونس 17 ، هود 117 ، هود 102**

. [4] انخفاضها وذلّتها.

[5]. حيث أنه بفعل سياسات الحكّام الظلمة التي جعلت الناس لا تهتّم إلا في مصالحها الشخصية ، وغاياتُهم الضيّقة تبرّر وسيلتهم أيّاً كانت بدون التفات إلى الضوابط الشرعيّة أو إلى مصلحة الإسلام العليا.

ويتطاحنون على الخيال، ويكُفِّر بعضهم بعضاً، بالآراء غير المفهومة، أو الأمور التي لا تعنيهم، فانشغلوا عن جوهر الدين، وعن مصالحهم ومصالح مجتمعهم بأمثال النزاع في خلق القرآن[1]، والقول بالوعيد والرجعة وأنّ الجنة والنار مخلوقتان أو سيُخلقان، ونحو هذه النزاعات التي أخذت منهم بالخناق، وكفَّر بها بعضهم بعضاً، وهي إن دلَّت على شيء فإنّما تدلّ على انحرافهم عن سنن الجادّة المعبّدة لهم، إلى حيث الهلاك والفناء.

وزاد الانحراف فيهم بتطاول الزمان، حتى شملهم الجهل والضلال، وانشغلوا بالتوافه والقشور، وبالألعاب والخرافات والأَوهام، وبالحروب والمجادلات والمباهاة، فوقعوا بالأخير في هاوية لا قعر لها، يوم تمكَّن الغرب المتيّقظ ـ العدو اللَّدود للاِسلام ـ من أن يستعمر هذه البقاع المنتسبة إلى الاِسلام، وهي في غفلتها وغفوتها، فيرمي بها في هذه الهوّة السحيقة، ولا يعلم إلاّ الله تعالى مداها ومنتهاها(وَمَا كانَ رَبُّكَ لِيُهلِكَ القُرى بِظُلْمٍ وَأهْلُهَا مُصلِحُونَ) [2] .

ولا سبيل للمسلمين اليوم وبعد اليوم إلاّ أن يرجعوا إلى أنفسهم فيحاسبوها على تفريطهم، وينهضوا إلى تهذيب أنفسهم والأَجيال الآتية بتعاليم دينهم القويمة، ليمحو الظلم والجور من بينهم، وبذلك يتمكّنون من أن ينجو بأنفسهم من هذه الطامة العظمى، ولا بدَّ بعد ذلك أن يملأوا الأَرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، كما وعدهم الله تعالى ورسوله[3]، وكما هو المترقَّب من دينهم الذي هو خاتمة الأديان، ولا رجاء في صلاح الدنيا وإصلاحها بدونه.

---

[1]. لأنه لا ثمرة فعليّة من هذا البحث ، عن علي بن سالم عن أبيه أنه سأل الإمام الصادق (ع) : يا بن رسول الله ما تقول في القرآن ؟ فقال (ع) :" **هو كلام الله وقول الله وكتاب الله ووحي الله وتنزيله وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" . (التوحيد للصدوق ص 224)**

وعند سؤال الإمام الكاظم (ع) عن القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق ؟ قال (ع) :" **أما انا لا أقول في ذلك ما يقولون ولكني أقول إنه كلام الله تعالى ". (روضة الواعظين وبصيرة المتعظين للنيشابوري ج 1 ص 38).**

[2]. هود 117

[3]. فقد ذكر عزّ وجلّ في كتابه الحكيم:{ وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الْزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الْذِّكْرِ أَنَّ الاَرضْ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّلحُونَ * إنَّ فِي هَذَا لَبَلغاً لِقَوْمٍ عبدِينَ } **الاَنبياء 105-106.**

ولا بدَّ من إمام ينفي عن الاسلام ما علق فيه من أوهام، وأُلصق فيه من بدع وضلالات، وينقذ البشر وينجّيهم ممّا بلغوا إليه من فساد شامل، وظلم دائم، وعدوان مستمر، واستهانة بالقيم الأَخلاقية والأَرواح البشرية، عجَّل الله فرجه وسهَّل مخرجه.

وتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من أنّ المهدي من ولد فاطمة، يظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً. وسيأتي تفصيل الكلام في هذا الموضوع عند بحث (عقيدتنا في المهدي).

7. عقيدتنا في مشرِّع الإسلام:

نعتقد: أنّ صاحب الرسالة الاسلامية هو محمد بن عبدالله، وهو خاتم النبيين، وسيِّد المرسَلين، وأفضلهم على الاطلاق، كما أنّه سيِّد البشر جميعاً؛ لا يوازيه فاضل في فضل، ولا يدانيه أحد في مكرمة، ولا يقاربه عاقل في عقل، ولا يشبهه شخص في خلق، وأنّه لعلى خلق عظيم[1]. ذلك من أول نشأة البشر إلى يوم القيامة.

---

[1]. وقد قال تعالى فيه:{ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }**القلم ٤**.

وقال تعالى أيضاً { ما كان محمد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين وكان الله بكل شيء عليماً }**الأحزاب 40** ، { وما أرسلناك إلا كافّة للناس بشيراً ونذيراً } **سبأ 28** .

عن النبي (ص) : "**حلالي حلال إلى يوم القيامة ، وحرامي حرام إلى يوم القيامة** ". **أصول الكافي ج 1 باب البدع والرأي ح 19.**

قال النبي (ص) للإمام علي (ع) : " **أنت منّي بمنزلةِ هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي** " . **الصواعق المحرقة 177.**

قال الصادق (ع) : " **إنّ الله ختم بنبيّكم النبيّين فلا نبيّ بعده أبداً ، وختم بكتابكم الكتب فلا كتاب بعده أبداً** ". **أصول الكافي 3/1.**

وقد وصفه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خُطبه، حيث قال (ع) : "**اختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضياء، وذؤابة العلياء، وسرّة البطحاء، ومصابيح الظلمة، وينابيع الحكمة**".

ومن هذه الخطبة قوله (ع) - في وصفه أيضاً - :

"**طبيب دوّار بطبّه، قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه؛ يضع من ذلك حيث الحاجة إليه؛ من قلوب عميٍ ، وآذان صمٍّ، وألسنةٍ بكمٍ، متتبّع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة، لم يستضيئوا بأضواء الحكمة، ولم يقدحوا بزناد العلوم الثاقبة، فهم في ذلك كالأنعام السائمة، والصخور القاسية" نهج البلاغة: الخطبة ١٠٨.**

كما جاء في الأثر قول النبي (ص) لفاطمة (ع) : "**ألا تعلمين أن الله اطّلع اطلاعة إلى الأرض فاختار منها رجلين أحدهما أبوك والآخر بعلك ، يا فاطمة كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله مطيعين من قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام...... معاشر الناس إن الله قد اختارني من خلقه فبعثني اليكم رسولا واختار لي علياً خليفةً ووصيا..." بحار الانوار ج 18 ص 398.**

8. عقيدتنا في القرآن الكريم

نعتقد: أنّ القرآن هو الوحي الإلهي المنزَّل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم فيه تبيان كل شيء، وهو معجزته الخالدة التي أعجزت البشر عن مجاراتها في البلاغة والفصاحة، وفيما احتوى من حقائق ومعارف عالية، لا يعتريه التبديل والتغيير والتحريف[1].

وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزَّل على النبي، ومن ادّعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبه، وكلّهم على غير هدى؛ فانه كلام الله الذي(لا يَأتيِه البطلُ مِنْ بَينِ يَدَيهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ) [2]

ومن دلائل إعجازه: أنّه كلّما تقدَّم الزمن، وتقدَّمت العلوم والفنون، فهو باق على طراوته وحلاوته، وعلى سموِّ مقاصده وأفكاره، ولا يظهر فيه خطأ في نظرية علمية ثابتة[3]، ولا يتحمّل نقض حقيقة فلسفية يقينية، على العكس من كتب العلماء وأعاظم الفلاسفة، مهما بلغوا في منزلتهم العلمية ومراتبهم الفكرية؛ فانّه يبدو بعض منها - على الأقل - تافهاً أو نابياً أو مغلوطاً كلّما تقدَّمت الأبحاث العلمية، وتقدّمت العلوم بالنظريات المستحدثة، حتى من مثل أعاظم فلاسفة اليونان كسقراط وأفلاطون وأرسطو الذين اعترف لهم جميع مَن جاء بعدهم بالاَبّوة العلمية، والتفوّق الفكري.

ونعتقد أيضاً: بوجوب احترام القرآن الكريم، وتعظيمه بالقول والعمل، فلا يجوز تنجيس كلماته حتى الكلمة الواحدة المعتبرة جزءً منه

---

[1]. قال تعالى : { إنّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون } **الحجر 9**

[2]. فصلت 42

[3]. حيث بات جليّاً موافقة العلوم والنظريات الجديدة لما جاء في القرآن الكريم ؛ كخلق الكون والأرض والمعادن ، والأمور العقلية التي وافق النظر العلميّ المُعاصر ما سبقه القرآن منذ عصور..

على وجه يقصد أنّها جزء منه.[1]

كما لا يجوز لمن كان على غير طهارة أن يمسّ كلماته أو حروفه{ لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَّرُونَ }[2]سواء كان محدثاً بالحدث الأكبر كالجنابة والحيض والنفاس وشبهها، أو مُحدِثاً بالحدث الأصغر حتى النوم، إلاّ إذا اغتسل أو توضأ على التفاصيل التي تذكر في الكتب الفقهية.

كما أنّه لا يجوز إحراقه، ولا يجوز توهينه بأيّ ضرب من ضروب التوهين الذي يُعدّ في عرف الناس توهيناً، مثل رميه، أو تقذيره، أو سحقه بالرجل، أو وضعه في مكان مُستحقَر، فلو تعمَّد شخص توهينه وتحقيره - بفعل واحد من هذه الأمور وشبهها - فهو معدود من المنكرين للإسلام وقدسيّته، المحكوم عليهم بالمروق عن الدين والكفر بربِّ العالمين.

---

[1]. عن النبي (ص) : "**القرآن غنىً لا غنى دونه ، ولا فقر بعده" . جامع الأخبار 114**

وعنه (ص) : "**الشفعاء خمسة : القرآن والرحم والأمانة ونبيكم وأهل بيت نبيكم". بحار الانوار ج 8 ص 43.**

وعنه (ص) :" **إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخَرِب" . ميزان الحكمة ج3 ص 2522.**

وعنه (ص) : "**أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته" . وسائل الشيعة ج 6 ص 168.**

وعنه (ص) :" **أدّبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن" . ميزان الحكمة ج4 ص 368.**

عن أمير المؤمنين علي (ع) : " **أفضل الذكر القرآن به تُشرح الصدور ، وتستنير السرائر". ميزان الحكمة ج3 ص 2517**

وعنه (ع) : "**من قرأ القرآن كان له دعوة مجابة إما معجّلة أو مؤجلة". الدعوات ص 24**

وعن الحسن (ع) : "**إن هذا القرآن فيه مصابيح النور وشفاء الصدور" . كشف الغمة في معرفة الأئمة 195/2.**

وعن السجاد (ع) : "**آيات القرآن خزان العلم فكلما فتحت خزانة فينبغي لك أن تنظر ما فيها ". عدة الداعي ونجاح الساعي 276.**

وعن الصادق (ع) :" **إن القرآن زاجر وآمر ، يأمر بالجنة ويزجر عن النار". الكافي 601/2.**

[2]. الواقعة 79.

9. طريقة إثبات الإسلام والشرائع السابقة

لو خاصمنا أحد في صحّة الدين الاسلامي، نستطيع أن نخصمه بإثبات المعجزة الخالدة له، وهي القرآن الكريم على ما تقدّم من وجه إعجازه، وكذلك هو طريقنا لإقناع نفوسنا عند ابتداء الشك والتساؤل اللَّذين لا بدَّ أن يمرّا على الانسان الحرّ في تفكيره عند تكوين عقيدته أو تثبيتها.

أمّا الشرائع السابقة، كاليهودية والنصرانية، فنحن قبل التصديق بالقرآن الكريم، أو عند تجريد أنفسنا عن العقيدة الاسلامية، لا حجّة لنا لإقناع نفوسنا بصحتها، ولا لإقناع المشكّك المتسائل؛ إذ لا معجزة باقية لها كالكتاب العزيز، وما ينقله أتباعها من الخوارق، والمعاجز للأنبياء السابقين فهم متّهمون في نقلهم لها أو حكمهم عليها، وليس في الكتب الموجودة بين أيدينا المنسوبة إلى الأنبياء كالتوراة والانجيل ما يصلح أن يكون معجزة خالدة تصح أن تكون حجّة قاطعة، ودليلاً مقنعاً في نفسها قبل تصديق الاسلام لها.

وإنّما صحَّ لنا - نحن المسلمين - أن نقرَّ ونصدّق بنبوة أهل الشرائع السابقة، فلأَنّا بعد تصديقنا بالدين الاسلامي كان علينا أن نصدّق بكل ما جاء به وصدّقه، ومن جملة ما جاء به وصدّقه نبوّة جملة من الأَنبياء السابقين على نحو ما مرّ ذكره[1]

وعلى هذا فالمسلم في غنى عن البحث والفحص عن صحّة الشريعة النصرانية وما قبلها من الشرائع السابقة بعد اعتناقه الاسلام لأَنّ التصديق به تصديق بها، والايمان به إيمان بالرسل السابقين والأَنبياء المتقدّمين، فلا يجب على المسلم أن يبحث عنها ويفحص عن صدق معجزات أنبيائها؛ لأنّ المفروض أنّه مسلم قد آمن بها بإيمانه بالاسلام، وكفى.[2]

---

[1]. راجع المبحث المتقدم حول (عقيدتنا في الأنبياء وكتبهم).

[2]. **قال تعالى** : { ليس البرّ أن تولوا وجوهكم قِبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخِرِ والملائكة والكتاب والنبيين } **البقرة 177.**

وقال تعالى : { قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربّهم لا نفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون } **البقرة 136.**

نعم، لو بحث الشخص عن صحّة الدين الإسلامي فلم تثبت له صحّته، وجب عليه عقلاً ـ بمقتضى وجوب المعرفة والنظر ـ أن يبحث عن صحّة دين النصرانية؛ لأنّه هو آخر الأديان السابقة على الاسلام، فإن فحص ولم يحصل له اليقين به أيضاً وجب عليه أن ينتقل فيفحص عن آخر الأديان السابقة عليه، وهو دين اليهودية حسب الفرض... وهكذا ينتقل في الفحص حتى يتم له اليقين بصحّة دين من الأديان، أو يرفضها جميعاً.

وعلى العكس فيمن نشأ على اليهودية أو النصرانية؛ فإنّ اليهودي لا يغنيه اعتقاده بدينه عن البحث عن صحّة النصرانية والدين الاسلامي، بل يجب عليه النظر والمعرفة ـ بمقتضى حكم العقل ـ وكذلك النصراني، ليس له أن يكتفي بإيمانه بالمسيح عليه السلام ، بل يجب أن يبحث ويفحص عن الاسلام وصحّته، ولا يعذر في القناعة بدينه من دون بحث وفحص؛ لأنّ اليهودية وكذا النصرانية لا تنفي وجود شريعة لاحقة لها ناسخة لأَحكامها، ولم يقل موسى ولا المسيح عليهما السلام أنه لا نبي بعدي[1].

فكيف يجوز لهؤلاء النصارى واليهود أن يطمئنّوا إلى عقيدتهم، ويركنوا إلى دينهم قبل أن يفحصوا عن صحّة الشريعة اللاحقة لشريعتهم كالشريعة النصرانية بالنسبة إلى اليهود، والشريعة الإسلامية بالنسبة إلى اليهود والنصارى، بل يجب ـ بحسب فطرة العقول ـ أن يفحصوا عن صحة هذه الدعوى اللاحقة، فإن ثبتت لهم صحتها انتقلوا في دينهم إليها، وإلاّ صحّ لهم ـ في شريعة العقل ـ حينئذٍ البقاء على دينهم القديم والركون إليه.

وعن الإمام علي (ع) :" **ولم يُخلِ الله سبحانه خلقَه من نبيّ مرسل أو كتاب مُنزل أو حجةٍ لازمة أو محجّة قائمة ، رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم ، من سابق سمّيَ له من بعده أو غابرٍ عرفه من قبله" .. نهج البلاغة شرح ابن ابي الحديد 113/1.**

الغابر هنا بمعنى الباقي حيث تُستعمل في الماضي والباقي.

[1]. بل على العكس من ذلك؛ حيث كان عيسى (ع) يبشّر بالنبي الذي يأتي من بعده، وقال تعالى في ذلك:{ وَإِذْ قَالَ عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ يابَني إسرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ التَورية وَمُبَشِراً بِرَسولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أحْمَدُ فَلَمّا جاءَهُمْ بِالبَيِّنتِ قالوا هذا سحْرٌ مُبينٌ } **الصف 6.**

أمّا المسلم ـ كما قلنا ـ فإنّه إذا اعتقد بالاسلام لا يجب عليه الفحص؛ لا عن الأديان السابقة على دينه، ولا عن اللاحقة التي تُدَّعى؛ أمّا السابقة فلأنّ المفروض أنّه مصدِّق بها، فلماذا يطلب الدليل عليها؟ وإنّما فقط قد حكم له بأنّها منسوخة بشريعته الاسلامية، فلا يجب عليه العمل بأحكامها ولا بكتبها.

وأمّا اللاحقة، فلأنّ نبي الاسلام محمداً صلى الله عليه وآله قال: "لا نبيّ بعدي"[1] وهو الصادق الأمين كما هو المفروض { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إنْ هُوَ إلاَّ وَحيٌ يُوحى } [2] فلماذا يطلب الدليل على صحّة دعوى النبوة المتأخرة إن ادعاها مدع؟

نعم، على المسلم ـ بعد تباعد الزمان عن صاحب الرسالة، واختلاف المذاهب والآراء، وتشعُّب الفرق والنحل ـ أن يسلك الطريق الذي يثق فيه أنّه يوصله إلى معرفة الأحكام المنزَّلة على محمد صاحب الرسالة؛ لأنّ المسلم مكلَّف بالعمل بجميع الأَحكام المنزَّلة في الشريعة كما أُنزلت.

ولكن كيف يعرف أنّها الأحكام المنزَّلة كما أُنزلت، والمسلمون مختلفون، والطوائف متفرِّقة، فلا الصلاة واحدة، ولا العبادات متّفقة، ولا الأعمال في جميع المعاملات على وتيرة واحدة!... فماذا يصنع؟ بأيّة طريقة من الصلاة ـ إذن ـ يصلّي؟ وبأيّة شاكلة من الآراء يعمل في عباداته ومعاملاته كالنكاح، والطلاق، والميراث، والبيع، والشراء، وإقامة الحدود والديات، وما إلى ذلك؟

ولا يجوز له أن يقلِّد الآباء، ويستكين إلى ما عليه أهله وأصحابه، بل لا بدَّ ان يتيقّن بينه وبين نفسه، وبينه وبين الله تعالى؛ فإنه لا مجاملة هنا ولا مداهنة، ولا تحيّز ولا تعصُّب.

نعم، لا بدَّ أن يتيقّن بأنّه قد اخذ بأمثل الطرق التي يعتقد فيها بفراغ ذمته بينه وبين الله من التكاليف المفروضة عليه منه تعالى، ويعتقد أنّه لا عقاب عليه ولا عتاب منه تعالى بإتّباعها وأخذ

---

[1]. الآمالي للشيخ المفيد 33 – وموجود في مصادر العامة مسند احمد 32/3 وغيره.

[2]. النجم 3-4

الأحكام منها. ولا يجوز أن تأخذه في الله لومة لائم{ أَيَحسَبُ الاِنسنُ أَن يُترَكَ سُدىً } ، { بل الاِنسنُ على نَفسِهِ بَصِيرَةٌ } ،{ إنَّ هَذِهِ تَذكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إلى رَبِّهِ سَبيلاً }[1].

وأوّل ما يقع التساؤل فيما بينه وبين نفسه أنّه هل يأخذ بطريقة آل البيت أو يأخذ بطريقة غيرهم؟ وإذا أخذ بطريقة آل البيت، فهل الطريقة الصحيحة طريقة الإمامية الإثني عشرية أو طريقة من سواهم من الفِرق الأُخرى؟ ثمّ إذا أخذ بطريقة أهل السنَّة فمن يقلِّد؛ من المذاهب الأَربعة أو من غيرهم من المذاهب المندرسة؟ هكذا يقع التساؤل لمن أُعطي الحريّة في التفكير والاختيار؛ حتى يلتجيء من الحق إلى ركن وثيق.

ولأجل هذا وجب علينا ـ بعد هذا ـ أن نبحث عن الإمامة، وأن نبحث عمّا يتبعها في عقيدة الإمامية الإثني عشرية.

---

[1]. الآيات الشريفة : القيامة 36 ، القيامة 14 ، المزمل 19

الفصل الثالث

الإمـــــــــامـــــــــة

1. عقيدتنا في الامامة
2. عقيدتنا في عصمة الإِمام
3. عقيدتنا في صفات الإِمام وعلمه
4. عقيدتنا في طاعة الأَئمّة
5. عقيدتنا في حبّ آل البيت
6. عقيدتنا في الأَئمّة
7. عقيدتنا في أنّ الإِمامة بالنص
8. عقيدتنا في عدد الأَئمّة
9. عقيدتنا في المهدي
10. عقيدتنا في الرجعة
11. عقيدتنا في التقيّة

1. عقيدتنا في الإمامة[1]

[1]. لا بدّ من التعريج على أصل وأساس التنصيب الذي قام به النبي محمد (ص) ، في غدير خمّ في حجة الوداع ، سأذكر لك الواقعة كما سجّلها المؤرخون :

في السنة العاشرة للهجرة، في اليوم الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين غادر رسول الله(ص) المدينة متوجِّها نحو مكة المكرمة لأداء مناسك الحجّ، وأذَّن (ص) في الناس بالحجِّ، فتجهَّز الناس للخروج معه، وحضر المدينة، من ضواحيها ومن جوانبها خلق كثير بلغ 120 ألف حاج قاصدين بيت الله الحرام في الحجّة التي عرفت بحجة الوداع تارة وحجّة الاسلام وحجة البلاغ تارة أخرى.

وفي تلك السنة حجَّ الإمام عليٌّ (ع) من اليمن، وكان قد بعثه رسول الله (ص) في ثلاثمائة فارس، فأسلم القوم على يديه. ولمَّا قارب رسول الله (ص) مكَّة من طريق المدينة، قاربها أمير المؤمنين(ع) من طريق اليمن والتحق بالركب النبوي قبل حلول وقت مراسم الحج وأدرك الحج معه(ص) .

ولما أتمّ المسلمون بمعيّة الرسول(ص) مراسم حجّهم قفلوا راجعين إلى ديارهم.

لمَّا قضى رسول الله(ص) نُسكه، ورجع إلى المدينة، وانتهى إلى الموضع المعروف بغدير خُمٍّ من الجحفة التي تتشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجّة، نزل عليه الوحي في آية الإبلاغ بقوله :{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ وَإِن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاس}، وأمر الله تعالى النبي(ص) أن يقيم علياً (ع) علماً للناس، ويبلّغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على المسلمين .وكان أوائل القوم قريبين من الجحفة فأمر رسول الله(ص) أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم في ذلك المكان.

بناء على ما رواه العياشي في تفسيره، لمّا اجتمع النّاس عند غدير خم، نودي بصلاة الظهر، فصلى النبي(ص)بهم، فلمّا انصرف (ص) من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أقتاب الإبل وأسمع الجميع، قائلاً:

"أيها الناس، إني أوشك أن أُدعى فأجيب. وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلّغت ونصحت وجهدت فجزاك الله خيراً، ثم قال: يا أيها الناس أ لم تشهدوا أن لا إله إلا الله- و أن محمدا عبده و رسوله و أن الجنة حق و أن النار حق و أن البعث حق من بعد الموت-؟ قالوا: [اللهم] نعم، قال: اللهم اشهد، ثم قال: يا أيها الناس إن الله مولاي- و أنا أَوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ألا من كنت مولاه

فعلي مولاه- اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، ثم قال: أيها الناس إني فرطكم و أنتم واردون علي الحوض- و حوضي أعرض ما بين بصرى و صنعاء فيه عدد النجوم قد حان من فضة ألا و إني- سائلكم حين تردون علي عن الثقلين- فانظروا كيف تخلفوني فيهما حتى تلقوني- قالوا: و ما الثقلان يا رسول الله قال: الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيدي الله- و طرف في أيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا و لا تذلوا- و الثقل الأصغر عترتي أهل بيتي فإنه قد نبأني اللطيف الخبير- أن لا يتفرقا حتى يلقياني و سألت الله لهما ذلك- فأعطانيه فلا تسبقوهم فتضلّوا، و لا تقصروا عنهم فتهلكوا، فلا تعلموهم فهم أعلم منكم."

ثم لم يتفرقوا حتى نزل الوحي بقوله تعالى :{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} وهي الآية الثالثة من سورة المائدة المباركة.

ثم طفق القوم يهنئون أمير المؤمنين(ع) وممن هنأه في مقدّم الصحابة :عمر بن الخطاب، كلٌ يقول: بخ بخ لك يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.

ثم جلس(ص) في خيمته وأمر علياً(ع) أن يجلس في خيمة له بإزائه، وأمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنئوه بالمقام، ويسلّموا عليه بإمرة المؤمنين، ففعل الناس ذلك كلّهم، ثم أمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين ممن معه أن يدخلن عليه، ويسلّمن عليه بإمرة المؤمنين ففعلن.

لقد ورد حديث الغدير في المصادر الشيعية والسنية كما أن بعض فقرات الحديث من قبيل" **من كنت مولاه فهذا علي مولاه**" متواترة، وقد نقله الكثير من الصحابة والتابعين .وتنفرد واقعة الغدير بين الوقائع الإسلامية بكثرة رواتها وتطابق المسلمين على أصل وقوعها، وقد رواها الكثير، منهم:

الرواة من أهل البيت: أمير المؤمنين علي (ع) ، والسيدة فاطمة (ع)، والحسن والحسين عليهما السلام.

الرواة من الصحابة حوالي مئة وعشرة منهم: الخليفة عمر بن الخطاب ، الخليفة عثمان بن عفان ، سلمان الفارسي ، السيدة عائشة ، أبو ذر ، الزبير ، جابر بن عبد الله الأنصاري ، أو هريرة والعباس بن عبد المطّلب ، وغيرهم... وجميع هؤلاء الرواة ممّن حضر الغدير وشارك في حجّة الوداع ونقلوا الحديث بلا واسطة.

نعتقد: أنّ الامامة أصل من أُصول الدين [1]لا يتم الاِيمان إلاّ بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربّين مهما عظموا و كبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوّة.

ورواها من التابعين ثلاثة وثمانون تابعياً، منهم :الأصبغ بن نباتة ، والخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ، ورواها بعد التابعين الكثير من علماء السنّة يبلغ عددهم ما بين القرن الثاني وحتى الرابع عشر حدود 360 عالماً، من أبرزهم :الإمام الشافعي ، الإمام أحمد بن حنبل ، أحمد بن شعيب النسائي وغيرهم

ورواها أيضاً الكثير من محدثي الشيعة وعلمائهم، منهم: الشيخ المفيد ، والشيخ الصدوق ، والشيخ الكليني (قدس الله سرّهم) . **الطبرسي، الإحتجاج، ج 1، ص 56؛ المفيد، الإرشاد، ص 91؛ الحلبي، السيرة الحلبية، ج 3، ص 308.**

[1]. الإمامة: هي الأصل الرابع من أصول الدين عند الشيعة الاِمامية، وتأتي بعد النبوّة من حيث الأهمية، ويمكن اعتبارها القاعدة العقائدية التي بها يتميّز الإماميّة عن غيرهم من المذاهب الاسلامية، وتعتبر الإمامة الأساس الفكري الذي يبتني عليه مذهب أهل البيت عليهم السلام.

والإمامة في اللغة هي: عبارة عن تقدّم شخص ليتبعه الناس ويقتدون به، فيكون المقتدى هوالامام والمقتدون هم المأمومون. فالإمام: المؤتم به إنساناً، كأن يقتدي بقوله أو فعله، وجمعه: أئمة.

ووردت كلمة إمام في القرآن في اثني عشر مورداً؛ منها بلفظ المفرد في سبعة موارد هي في: (سورة البقرة ١٢٤، هود ١٧، الحجر ٧٩، الاسراء ٧١، الفرقان ٧٤، يس ١٢، الأحقاف ١٢).

وبلفظ الجمع في خمسة مواضع هي: (التوبة ١٢، الأنبياء ٧٣، القصص ٥ و٤١، السجدة ٢٤).

أما المعنى الاصطلاحي لكلمة الامامة فهي: منصب إلهي يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدلّ الأمّة عليه ويأمرهم باتّباعه، وليس للعباد أن يختاروا الإمام بأنفسهم: {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمْ الخِيَرَةَ} **القصص** ٦٨. ويختلف الامام عن النبي بأنّ النبي يوحى إليه، والإمام يتلقّى الأحكام من النبي بتسديد إلهي. فالنبي مبلّغ عن الله، والإمام مبلّغ عن النبي. هذا ما تعتقده الإمامية.

أما عند المذاهب الاخرى فالإمامة هي: رئاسة عامّة في أمر الدين والدنيا خلافة عن النبي صلىالله عليه وآله وأحكامه في الفروع.

وعلى الأقل أنّ الاعتقاد بفراغ ذمّة المكلَّف من التكاليف الشرعية المفروضة عليه يتوقّف على الاعتقاد بها ايجاباً أو سلباً، فإذا لم تكن أصلاً من الأصول لا يجوز فيها التقليد؛ لكونها أصلاً، فإنّه يجب الاعتقاد بها من هذه الجهة، أي من جهة أنّ فراغ ذمة المكلَّف من التكاليف المفروضة عليه قطعاً من الله تعالى واجب عقلاً، وليست كلّها معلومة من طريقة قطعية، فلا بدَّ من الرجوع فيها إلى من نقطع بفراغ الذمة باتّباعه، أمّا الامام على طريقة الامامية، أو غيره على طريقة غيرهم.

ولمزيد من الاطلاع راجع: كتب اللغة، أصل الشيعة واصولها: ٢١٠ و٢٢١، العقائد الجعفرية: ٢٧، الملل والنحل للشهرستاني: ٣٣/١، شرح المقاصد: ٢٣٢/٥. وغيرها.

قال تعالى : {وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به} . **آل عمران 7.**

الإمامة عند الشيعة تعني القيادة الشرعية للأمة الإسلامية من بعد النبي (ص) وتعتبر من أساسيات المُعتقد فهي الأصل الرابع من أصول الدين، ونعتقد أن الأئمة إثنا عشر إماماً أولهم أمير المؤمنين علي (ع) وولديه الحسن والحسين (ع) ومن ذرية الحسين تسعة معصومين أولهم السجاد ثم الباقر ثم الصادق ثم الكاظم ثم الرضا ثم الجواد ثم الهادي ثم العسكري (ع) وآخرهم صاحب الزمان (عج) وهم خلفاء النبي (ص) الشرعيون وأصحاب السلطة الحقّة في الدين والدنيا .

فالإمامة إذن هي قيادة روحيّة دينية إجتماعية وسياسية توجّه المجتمع الإسلامي بما فيه صلاحه وصلاح أفراده عامة بتطبيق أحكام الشريعة السَمِحة ، وهم بالتالي كما مرّ في عصمة النبي (ص) معصومون عن الخَطأ والذنب لأنهم حَفظة الشريعة ولأن الله تعالى اختصهم بهذه المكانة العظيمة ، ويعلمون تفسير القرآن الصحيح وتمييز ما تشابه من آياته لأنهم الأعرف والأعلم وهناك نصوص كثيرة حول تنصيبهم عن النبي (ص)

كما نعتقد: أنّها كالنبوَّة لطف من الله تعالى؛ فلا بدَّ أن يكون في كل عصر إمام هادٍ يخلف النبي في وظائفه من هداية البشر[1] وارشادهم إلى ما فيه الصلاح والسعادة في النشأتين،[2] وله ما للنبي من الولاية العامّة على الناس، لتدبير شؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم، ورفع الظلم والعدوان من بينهم.

وعلى هذا، فالإمامة استمرار للنبوّة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضاً نصب الإمام بعد الرسول[3].

فلذلك نقول: إنّ الامامة لا تكون إلاّ بالنص من الله تعالى على لسان النبي أو لسان الإمام الذي قبله، وليست هي بالاختيار، والانتخاب من الناس [4]، فليس لهم إذا شاؤوا ينصبوا أحدا نصّبوه ،

---

(1). فقد قال تعالى:{ إِنَّا أَرْسَلْنَكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاّ خَلا فيها نَذِيرٌ } فاطر ٢٤.

ووردت أحاديث كثيرة تدلّ على أنّ الأَرض لا تخلو من حجّة. **راجع الاصول من الكافي: ١/ ١٣٦ باب أنّ الأَرض لا تخلو من حجّة و١٣٧ باب أنّه لو لم يبق في الأَرض إلاّ رجلان لكان أحدهما الحجة. وغيرها.**

(2). نشأة الدنيا ونشأة البعث.

(3). طبقاً لقاعدة اللطف ووجوب التبليغ.

(4). ولا بالشورى المبتدعة

فقد اشتهر بين علماء الاسلام أنهم بين قولين لا ثالث لهما حول تنصيب الامام؛ فهم بين قائل بأنّ الامامة بالرأي والاختيار، وبين قائل بأنّها من العزيز الجبّار. وبطلان الأول متّفق عليه عند الشيعة الامامية، حيث أنّ الامام يجب أن يكون بتعيين الله عزّ وجلّ، ويدلّ عليه النبي بأن يوصي بطاعته من بعده ـ كما فعل صلى الله عليه وآله في غدير خم ـ ومن ثمّ يوصي الامام بالامام الذي يليه وهكذا. أو يكون بظهور المعجزة على يده؛ لأنّ شرط الامامة العصمة وهي من الأمور الخفيّة الباطنيّة التي لا يعلمها إلاّ الله تعالى.

قد أبرز الله تعالى أهمية هذا المنصب لحساسيّته و دوره حيث أنزل الآية الشريفة الثالثة من سورة المائدة بعد حادثة غدير خم : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً } ، حيث اتفق جمهور المفسرين أن الآية المباركة نزلت في يوم غدير خم ، عندما بلّغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين ، بالولاية الكلية المطلقة لمولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام ، بأمر من الله عز وجل.

ومعنى الآية ، أن الله عز وجل يقول للمسلمين : أنه لا كمال للدين ، ولا تمام لنعمة الإسلام ، إلا بولاية علي بن أبي طالب ، بحيث إن لم تُبلّغ إليكم كأصل أساس للإسلام ، ولم تعترفوا بذلك ، وتلتزموا به ,كان إسلامكم ناقصاً ، ومرفوضاً وغير مقبول عندي.

ونفهم من ذلك أن الذين نقضوا البيعة ، ولم يقروا بولاية أمير المؤمنين بعد إبلاغهم ، وعهدهم ، وبيعتهم دنيهم ناقص ، ولا نصيب لهم من النعمة الإلهية التي هي الولاية، ولا يرضى منهم دينهم .

وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة فقد روى جمهور المفسرين ، من الشيعة والسنة ،عن أبي سعيد الخدري أنه قال : " إن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا الناس إليه يوم غدير خم ، وأمر بقلع ما تحت الشجر من الشوك ، وقام فدعا علياً عليه السلام ، فأخذ بضبعيه حتى نظر الناس إلى إبطيه ، وقال:

" من كنت مولاه فعليّ مولاه ، اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله. ثم لم يفترقا حتى أنزل الله ، عز وجل {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ } فقال النبي صلى الله عليه وآله : الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة ، ورضى الرب برسالتي ، وبولاية علي من بعدي " تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة : 145/1- وأورده الخوارزمي في مناقبه : ص ٨٠ وفي مقتله : ص 47 تفسير فرات : ص 19– وفي فرائد السمطين : 72/1 – راجع إحقاق الحق : 355/6.

أما المذاهب الاخرى ـ غير الإمامية ـ فقالوا: إنّ الإمامة لا يُشترط فيها استخلاف النبي وعهده، بل قد تكون بالمبايعة، وهي أن يُبايع أهل الحلّ والعقد شخصاً يجعلونه إماماً ـ وهذا يبتني على عدم اشتراط العصمة في الامام ـ ولا يشترط أن يتفق الجميع على بيعته، بل قد تكفي مبايعة شخص واحد فقط.

وإذا لم تتم البيعة فهنالك طريق آخر لتنصيب الامام هو: القهر والاستيلاء؛ فإذا مات الامام وتصدّى للامامة من يستجمع شرائطها من غير بيعة ولا استخلاف، وقهر الناس بشوكته انعقدت الخلافة له، حتى وإن كان فاسقاً جاهلاً جائراً ظالماً، وقالوا أنّه لا يجوز عزل الامام حتى وإن كان فاسقاً، لكن لو جاء من هو أقوى منه فعزله وقهره انعزل وصار القاهر إماماً.

فهل يرضى العاقل لنفسه الانقياد إلى مذهب ويوجب إمامة الفاسق والجائر والجاهل لا لسبب، إلاّ لاَنّه الاَقوى والاَقدر على قهر غيره ولو بالفسق والجريمة؟!

واذا شاء وا أن يعيّنوا إمام لهم عيّنوه ، ومتى شاؤوا أن يتركوا تعيينه تركوه، ليصح لهم البقاء بلا إمام، بل "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة"[1] على ما ثبت ذلك عن الرسول الأعظم بالحديث المستفيض.

وعليه لا يجوز أن يخلو عصر من العصور من إمام مفروض الطاعة، منصوب من الله تعالى؛ سواء أبى البشر أم لم يأبوا، وسواء ناصروه أم لم يناصروه، أطاعوه أم لم يطيعوه، وسواء كان حاضراً أم غائباً عن أعين الناس؛ إذ كما يصح أن يغيب النبي ـ كغيبته في الغار والشعب [2]ـ صحَّ

ولا يجوز عزله إلاّ بمن هو أقوى منه فيقهره فيكون إماماً عليه بعد أن كان مأموماً له؟! وهل هذا هو الامام الذي من مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية؟! وأين هذا المذهب من قوله تعالى:{ أَفَمنْ يَهْدِي إِلى الحْقِّ أَحقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاَ يَهْدي إلاَّ أَنْ يُهدَى فَمالَكُم كَيْفَ تَحْكُمُونَ } يونس ٣٥.

ولمزيد من الاطلاع راجع: نهج الحق وكشف الصدق: ١٦٨، شرح المقاصد للتفتازاني: ٥: ٢٣٣، التمهيد للباقلاني: ١٨٦، أصل الشيعة واصولها: ٢٢١، عقائد الجعفرية: ٢٩.

[1]. **انظر: الكافي: ٣٧٧/١ ح٣، المحاسن: ١٧٦/١ ح٢٧٣، عيون أخبار الرضا (عليه السلام):٥٨/٢ ح٢١٤، إكمال الدين: ٤١٣ ح١٥، الغيبة للنعماني: ١٣٠ ح٦، رجال الكشي: ٧٢٤/٢ ح٧٩٩، مسند الطيالسي: ١٩١٣/٢٥٩، حلية الأولياء: ٢٢٤/٣، ومن مصادر السنة : المعجم الكبير للطبراني: ٣٥٠/١٠ ح١٠٦٨٧، مستدرك الحاكم: ٧٧/١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٥٥/٩، ينابيع المودة: ١٥٥/٣، مجمع الزوائد: ٢٢٤/٥، مسند أحمد: ٩٦/٤.**

[2]1. وهي غيبته التي قال فيها عزّ وجلّ: { إلاّ تَنْصرُوُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إذْ أَخْرَجَهُ الَّذينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيَنِ إذ هُما فِي الغَارِ إذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إنَّ الله مَعَنَا فَأَنْزَلَ الله سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بجُنِودٍ لَمْ تَرَوْها وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَروُا السُّفْلَى وكَلِمَةُ الله هيَ العُلْيا وَالله عَزِيزٌ حَكِيمٌ} **التوبة ٤٠**.

و الشِعب: هو ما انفرج بين جبلين. والمقصود به هنا هو شعب أبي طالب (رض) الذي دخله بنو هاشم ومعهم بنو عبد المطّلب بن عبد مناف ـ باستثناء أبي لهب ـ واستمرّوا فيه إلى السنة العاشرة من البعثة حيث استمرت هذه المحنة سنتين أو ثلاثاً، ووضعت قريش عليهم الرقباء حتّى لا يأتيهم أحد بالطعام، وكانوا يُنفقون من أموال خديجة وأبي طالب حتى نفدت، ولم يكونوا يخرجون من الشِعب إلاّ في موسم العمرة في رجب وموسم الحج، وكان خلال هذه الفترة يخرج علي عليه السلام فيأتيهم بالطعام سرّاً من مكّة.

أن يغيب الامام، ولا فرق في حكم العقل بين طول الغيبة وقصرها. **قال الله تعالى:**{وَلِكُلِّ قومٍ هَادٍ **}. وقال**: { وإِن مِن أُمّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيها نَذِيرٌ } [1].

راجع: الصحيح في سيرة النبي: ١٠٨/٢، لسان العرب: ٤٩٩/١.

[1]. الآيات الشريفة الرعد 7 و فاطر 24

2. عقيدتنا في عصمة الإمام

ونعتقد: أنّ الإمام كالنبي يجب أن يكون معصوماً من جميع الرذائل والفواحش، ما ظهر منها وما بطن، من سنِّ الطفولة إلى الموت، عمداً وسهواً.

كما يجب أن يكون معصوماً من السهو والخطأ والنسيان؛ لأنّ الأئمّة حفظة الشرع، والقوَّامون عليه، حالهم في ذلك حال النبي، والدليل الذي اقتضانا أن نعتقد بعصمة الأنبياء هو نفسه يقتضينا أن نعتقد بعصمة الأئمة، بلا فرق.[1]

ليس على الله بمُستنكرٍ أن يجمع العالم في واحدِ[2]

---

[1]. ولو لم يكونوا معصومين لما كانوا يستحقّون أن يكونوا خلفاء النبي صلى الله عليه وآله ، ولأنّ عدم عصمتهم يلزم منه التسلسل؛ حيث أنّ سبب الحاجة إلى الامام بعد النبي هو عدم عصمة الناس، فيحتاجون إلى من يرشدهم ويدلّهم على الطريق السوي، فإذا لم يكن هذا المرشد معصوماً لاحتاج إلى غيره، وهذا يؤدّي إلى وجوب وجود ما لانهاية من الأئمة.

راجع: أوائل المقالات ـ للشيخ المفيد ـ القول ٣٧، تجريد الاعتقاد: ٢٢٢.

عن ابن عباس قال سمعت رسول الله (ص) يقول : "**أنا وعلي والحسن والحسين وتسعةٌ من ولد الحسين مطهّرون معصومون**" .**ينابيع المودة ص534.**

وعن الإمام الصادق (ع) : "**نحن قوم معصومون أمر الله تبارك وتعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا." الكافي 369/1.**

[2]. البيت للشاعر أبي نوّاس.

3. عقيدتنا في صفات الإمام وعلمه

ونعتقد: أنّ الإمام كالنبّي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال، من شجاعة، وكرم، وعفّة، وصدق، وعدل، ومن تدبير، وعقل وحكمة وخلق.

والدليل في النبي هو نفسه الدليل في الامام...[1]

أمّا علمه؛ فهو يتلقّى المعارف والأحكام الإِلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله.

وإذا استجدّ شيء لا بدَّ أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة القدسية التي أودعها الله تعالى فيه، فإنْ توجّه إلى شيء وشاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي، لا يخطئَ فيه ولا يشتبه، ولا يحتاج في كلّ ذلك إلى البراهين العقلية، ولا إلى تلقينات المعلِّمين[2]، وإن كان علمه قابلاً للزيادة والاشتداد، ولذا قال (ص) في دعائه: «رَبِّ زدني علماً»[3].

أقول: لقد ثبت في الأبحاث النفسيّة أنّ كل انسان له ساعة أو ساعات في حياته قد يعلم فيها ببعض الأشياء من طريق الحدس الذي هو فرع من الإلهام؛ بسبب ما أودع الله تعالى فيه من قوّة على ذلك، وهذه القوّة تختلف شدّة وضعفاً، وزيادة ونقيصة في البشر باختلاف أفرادهم، فيطفر ذهن الانسان في تلك الساعة إلى المعرفة من دون أن يحتاج إلى التفكير وترتيب المقدّمات والبراهين أو تلقين المعلّمين، ويجد كل إنسان من نفسه ذلك في فرص كثيرة في حياته.

---

[1]. راجع البحث المتقدّم في دليل عصمة الأنبياء .

[2]. لأنه ـ بطبيعة الحال ـ لو احتاج إلى معلّم يلقّنه ويعلّمه لكان ذلك الشخص أعلم منه في تلك المسألة التي علّمه إياها ـ على أقل التقديرات ـ فيكون هو إمامه وعليه أن يتّبعه ويلتزم بقوله، وفي نفس الوقت يكون هذا المعلّم يحتاج إلى من يعلمه وهكذا، فيلزم التسلسل. ولذلك يفترض في الامام أن يكون أعلم الموجودين في زمانه ولا يحتاج إلى تعليم من أحد منهم.

[3]. قوله تعالى : {وقل ربي زدني علما } **سورة طه 114**

وإذا كان الأمر كذلك، فيجوز أن يبلغ الانسان من قوّته الالهامية أعلى الدرجات وأكملها، وهذا أمر قرَّره الفلاسفة المتقدّمون والمتأخرون.

فلذلك نقول ـ وهو ممكن في حدِّ ذاته ـ : إنّ قوّة الالهام عند الامام ـ التي تسمّى بالقوة القدسية ـ تبلغ الكمال في أعلى درجاته، فيكون في صفاء نفسه القدسية على استعداد لتلقّي المعلومات في كلّ وقت وفي كل حالة، فمتى توجَّه إلى شيء من الأشياء وأراد معرفته استطاع علمه بتلك القوّة القدسية الإلهامية بلا توقّف ولا ترتيب مقدمات ولا تلقين معلِّم، وتنجلي في نفسه المعلومات كما تنجلي المرئيات في المرآة الصافية، لاغطش فيها ولا إبهام.[1]

ويبدو واضحاً هذا الأَمر في تاريخ الأئمّة عليهم السلام كالنبي محمد صلى الله عليه وآله ؛ فإنّهم لم يتربَّوا على أحد، ولم يتعلَّموا على يد معلِّم، من مبدأ طفولتهم إلى سن الرشد، حتى القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم انه دخل الكتاتيب، أو تلمّذ على يد استاذ في شيء من الاشياء، مع

---

[1]. الغطش هو الغشاوة ثم لا يخفى عليكم أن الإنسان تجتمع به أربع قوى:

- القوة العقلية: وهي التي تُدرك الأمور وتميّز بين الخير والشر والصالح والطالح وتأمر بالفعل الحسن وتنهى عن القبيح.
- القوة الشهوية السبعية: وهي التي تصدّر أفعال السباع من الغضب والإيذاء.
- القوة الشهوية البهيمية: وهي التي تصدّر حب الفرج والبطن والحرص على الأكل والجماع والراحة.
- القوة الشيطانية الوهمية: وهي التي تصدّر أفعال المكر والحيل والخداع.

وهذه القوى باستثناء الأولى لا يصح نسبتها في الجملة إلى المعصوم المنصّب من قبل الله تعالى الذي فرض طاعته ، بيد أن القوة العاقلة تكون بأوج قدرتها وقابليتها فيه (ع) ، وقد يقول قائل أن الإمام يأكل ويشرب ويتزوج فيُجاب عليه أن الكلام صحيح ولكن ليس بلحاظ النفس الشاملة للقوى الثلاثة بل من حيث تنفيذه لأوامر الله تعالى في الإبقاء على حياته ونسله بالطعام والتناسل ، وهذا لا يشبه انشدادنا نحن العاديّون إلى الطعام وأصنافه وإلى الملذّات وضُروبها وسترى في سيرة المعصومين ما يدلّ على ذلك لعدم تعلّقهم بهذه الزخارف ، وتسخير حياتهم لطاعة ربّهم على كل المستويات لأنّك ستُلاحظ أنّه يأكلُ ويُطعمُ في سبيل الله بدون إثرة ويَغضب لله ويُؤذي في سبيله كل كافرٍ مُعتدي ، ويتناسل ليُنجب المعصوم الذي يليه أو لإنشاء بِذرة صالحةً تُطيع الله في جميع تقلباتها.

ما لهم من منزلة علمية لا تجارى[1] وما سُئلوا عن شيء إلا أجابوا عليه في وقته، ولم تمر على ألسنتهم كلمة (لا أدري)[2] ، ولا تأجيل الجواب إلى المراجعة أو التأمّل أو نحو ذلك.[3]

في حين أنّك لا تجد شخصاً مترجماً له من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلاّ ذكرت في ترجمته تربيته وتلمذته على غيره، وأخذه الرواية أو العلم على المعروفين، وتوقّفه في بعض المسائل، أو شكِّه في كثير من المعلومات، كعادة البشر في كلِّ عصر ومصر.[4]

---

[1]. وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: **"رسول الله صلى الله عليه وآله علّمني ألف باب، وكلّ باب منها يفتح ألف باب، فذلك ألف ألف باب، حتّى علمت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وعلمت علم المنايا والبلايا وفصل الخطاب" الكافي: ١/٢٣٩، ينابيع المودة ١/٧٥.**

وقال عليه السلام: **"والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله(ص)، ألا وإنّي مفضيه إلى الخاصة ممّن يؤمن ذلك منه. والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما أنطق إلاّ صادقاً، وقد عهد إليّ بذلك كله وبمهلك من يهلك ومنجى من ينجو ومآل هذا الأَمر، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلاّ أفرغه في اذني وأفضى به إليّ" نهج البلاغة: الخطبة ١٧٥.**

وغيرها من الروايات والأحاديث الدالة على أنّ علمهم عليهم السلام من الله عن طريق النبي (ص).

[2]. وقد ورد في الحديث عن هشام بن الحكم، عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: **"إنّ الله لا يجعل حجّته في أرضه يُسأل عن شيء فيقول لا أدري" الكافي: ١/١٧٧ ذيل الحديث١، التنبيه: ٣٢.**

[3]. بل اشتُهر عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان يقول: **"أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم منّي بطرق الأرض" نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٤.**

[4]. عن النبي (ص) : **"إن أهل بيتي الهداة بعدي أعطاهم الله فهمي وعلمي وخُلِقوا من طينتي، فويلٌ للمنكرين حقّهم من بعدي القاطعين منهم صلتي لا أنالهم الله شفاعتي." بحار الأنوار 137/32.**

قال الصادق (ع) : **" إن علمنا غابر ومزبور ونكت في القلب ونقر في الأسماع ، فقال : أما الغابر فما تقدّم من علمنا ، واما المزبور فما يأتينا وأما النكت في القلوب فإلهام وأما النقر في الأسماع فأمر الملك". الكافي 264/1**

وعنه (ع) : **"لولا أنّا نزداد لأنفدنا". الكافي 254/1** . دليل على تطوّر علمهم واستمرار تلقينهم منه تعالى.

وعن الكاظم (ع) قال :" **مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه : ماضٍ وغابرٌ وحادث.**

4. عقيدتنا في طاعة الأئمّة[1]

ونعتقد: أنّ الأئمة هم أولو الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، وأنّهم الشهداء على الناس، وأنّهم أبواب الله، والسبل إليه، والأدلاّء عليه ، وأنّهم عيبة علمه، وتراجمة وحيه، وأركان توحيده، وخُزّان معرفته ، ولذا كانوا أماناً لأَهل الأَرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء ـ على حد تعبيره (ص) [2].

أما الماضي فمُفسّر وأما الغابر فمزبور (آتي ومكتوب) وأما الحادث فقذفٌ في القلوب ونقرٌ في الأسماع وهو أفضل علمنا ولا نبيّ بعد نبيّنا ". الكافي 264/1.

[1]. قال تعالى : { من يُطعِ الرسولَ فقد أطاع اللهَ ومَن تولّى فما أَرسلناك عليهم حفيظا} . النساء 83.

وورد عن رسول الله (ص) : **"إني قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تظلوا بعدي أبداً الثقلين وأحدهما أكبر من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من الأرض إلى السماء وعترتي اهل بيتي ، ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ". سنن الترمذي 663/5.**

وعن الباقر (ع) : **"ذروة الأمر وسِنامُه ومِفتاحه وباب الأشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعةُ للإمام بعد معرفته ". موسوعة أحاديث أهل البيت للشيخ النجفي ج6 ص 264.**

[2]. إشارة إلى قوله تعالى:{ يأَيُّها الّذِينَ آمَنوُا أَطِيعوُا اللهَ وأطيعوُا الرَّسُولَ وأُوْلِي الاَمْرِ منْكُمْ فَإنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إلى اللهِ والرَّسُولِ إن كُنْتُم تُؤمِنُونَ باللهِ وَاليومِ الاَخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأوِيلاً } **النساء ٥٩**.

فقد ورد عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام أنّهما قالا : **"نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله على خلقه" الكافي: ١٤٦/١ ح٢ و٤**، في تفسير قوله تعالى:{ وَكَذَلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً } **البقرة ١٤٣**.

(٣) حيث أنّهم هم الأئمة بالحق، وقد تواتر عن النبي (ص) قوله: **"من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية"**. انظر البحث المتقدّم :عقيدتنا في الإمامة.

وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: **"إنّ الله تبارك وتعالى لو شاء لعرّف العباد نفسهُ، ولكن جعلنا أبوابه، وصراطه، وسبيله، والوجه الذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا فانّهم عن الصراط لناكبون" الكافي: ١٨٤/١.**

كذلك ـ على حدِّ قوله أيضاً ـ «إنّ مثلهم في هذه الأُمّة كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى»[1] وأنّهم ـ حسبما جاء في الكتاب المجيد –{ بَلْ عِبادٌ مُكرَمُون * لا يَسبِقُونَهُ بالقَولِ وَهُم بأَمرِه يَعمَلُونَ } [2] .

وأنّهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا.[3]

بل نعتقد: أنّ أمرهم أمر الله تعالى، ونهيهم نهيه، وطاعتهم طاعته، ومعصيتهم معصيته، ووليّهم وليّه، وعدوَّهم عدوّه.(4)

(٤) ورد عن الإمام الباقرعليه السلام : **"نحن خزّان علم الله، ونحن تراجِمةُ وحي الله، ونحن الحجّة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض" الكافي: ١٩٢/١.**

وورد ـ أيضاً ـ عن الامام الصادق عليه السلام قوله: **"نحن ولاة أمر الله، وخزنة علم الله وعيبة وحي الله" الكافي: ١٩٢/١.**

[1]. إكمال الدين 239 ذي الحديث 59 – من العامة الصواعق المحرقة 234.

[2]. الأنبياء 27/26

[3]. أجمع المفسرون، وروي عن أئمة أهل البيت وكثير من الصحابة أنّ قوله تعالى:{ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُم تَطْهِيراً} **الأحزاب٣٣**. نزل في رسول الله (ص) وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، وإلى هذا أشار المصنّف قدس سره .

وللاطّلاع: راجع: نهج الحق: ١٧٣، شواهد التنزيل للحسكاني: ١٠/٢ ـ ١٩٢، الدر المنثور: ١٩٨/٥، مشكل الآثار: ٣٣٢/١، مجمع الزوائد: ١٢١/٩. مسند أحمد بن حنبل: ٣٣٠/١ و١٠٧/٤ و٢٩٢/٦، الصواعق المحرقة: ٨٥، تفسير الطبري: ٥/٢٢، أُسد الغابة: ٢٩/٤، خصائص النسائي: ٤، صحيح مسلم: ١٨٨٣/٤، سنن الترمذي: ٣٥١/٥، تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٣.

[4]. حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حق علي عليه السلام في حديث الغدير: **"اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وادر الحق معه كيفما دار"**. وسيأتي الكلام عنه في مبحث عقيدتنا في أنّ الامامة بالنص .

ولا يجوز الردّ عليهم والرادّ عليهم كالرادّ على الرسول، والرادّ على الرسول كالرادّ على الله تعالى(1).

فيجب التسليم لهم والانقياد لأَمرهم والأَخذ بقولهم.

ولهذا نعتقد: أنّ الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقى إلاّ من نمير(2) مائهم، ولا يصحّ أخذها إلاّ منهم، ولا تفرغ ذمّة المكلَّف بالرجوع إلى غيرهم، ولا يطمئنّ بينه وبين الله إلى أنّه قد أدّى ما عليه من التكاليف المفروضة إلاّ من طريقهم (3)إنّهم كسفينة نوح؛ من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق في هذا البحر المائج الزاخر بأمواج الشبه والضلالات، والإدّعاءات والمنازعات.

---

(1). بما أنّ الامام منصّب من قبل الرسول صلى الله عليه وآله ، وبما أنّ الرسول قال نصاً: **"من كنت مولاه فهذا علي مولاه"** فهذا يقتضي أنّ طاعة الامام هي طاعة الرسول، والرادّ عليه كالرادّ على الرسول، وقد قال تعالى:{مَنْ يُطِعْ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ } **النساء: ٨٠.**

(2). النبع الصافي.

(3). فقد ورد عن أبي حمزة الثمالي، عن السجاد عليه السلام : **"قال لنا علي بن الحسين عليه السلام : أي البقاع أفضل؟ فقلنا: الله ورسوله وابن رسوله أعلم، فقال لنا: افضل البقاع ما بين الركن والمقام، ولو أنّ رجلاً عمّر ما عمّر نوح في قومه ـ ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ـ يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك المكان ثم لقى الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً". من لا يحضره الفقيه: ١٥٩/٢ ح١٧، عقاب الاعمال: ٢٤٣ ح٢، الأَمالي للطوسي: ١٣٢ ح٢٠٩/٢٢، وسائل الشيعة: ١٢٢/١ ح ٣٠٨، وكذا كافة أحاديث الباب ٢٩ من أبواب مقدمة العبادات في الوسائل: ١**

وأورد الحاكم الحسكاني **في شواهد التنزيل ج٢ ح١٤١** الحديث التالي: عن أبي أمامة الباهلي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **"إنّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقت وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمارها، وأشياعنا أوراقها فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ هوى، ولو أنّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام، ثمّ ألف عام، حتى يصير كالشن البالي، ثمّ لم يدرك محبتنا أكبّه الله على منخريه في النار، ثمّ قرأ(ص) :{** قُلْ لاَ أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاّ الْمَوَدَّةَ فِي القُربَى **} الشورى 23**

ولا يهمّنا من بحث الامامة في هذه العصور إثبات أنّهم هم الخلفاء الشرعيون وأهل السلطة الإلهية؛ فإنّ ذلك أمر مضى في ذمّة التأريخ، وليس في إثباته ما يعيد دورة الزمن من جديد، أو يعيد الحقوق المسلوبة إلى أهلها، وإنّما الذي يهمّنا منه ما ذكرنا من لزوم الرجوع إليهم في الأخذ بأحكام الله الشرعية، وتحصيل ما جاء به الرسول الأكرم على الوجه الصحيح الذي جاء به.

وإنّ في أخذ الأحكام من الرواة والمجتهدين الذين لا يستقون من نمير مائهم، ولا يستضيئون بنورهم، ابتعاداً عن محجّة الصواب في الدين، ولا يطمئن المكلَّف من فراغ ذمته من التكاليف المفروضة عليه من الله تعالى؛ لأنّه مع فرض وجود الاختلاف في الآراء بين الطوائف والنحل فيما يتعلَّق بالأحكام الشرعية اختلافاً لا يرجى معه التوفيق، لا يبقى للمكلَّف مجال أن يتخيَّر ويرجع إلى أي مذهب شاء ورأي اختار، بل لا بدَّ له أن يفحص ويبحث، حتى تحصل له الحجّة القاطعة بينه وبين الله تعالى على تعيين مذهب خاص يتيقّن أنّه يتوصِّل به إلى أحكام الله، وتفرغ به ذمّته من التكاليف المفروضة؛ فإنّه كما يقطع بوجود أحكام مفروضة عليه يجب أن يقطع بفراغ ذمّته منها؛ فان الاشتغال اليقيني يستدعي الفراغ اليقيني.[1]

والدليل القطعي دالّ على وجوب الرجوع إلى آل البيت، وأنّهم المرجع الأصلي بعد النبي لأحكام الله المنزلة، وعلى الأقل قوله عليه أفضل التحيات: «إنّي قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي أبداً؛ الثقلين، وأحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[١][2]

وهذا الحديث اتّفقت الرواية عليه من طرق أهل السنَّة والشيعة.

فدقّق النظر في هذا الحديث الجليل تجد ما يقنعك ويدهشـك في مبناه ومعناه، فما أبعد المرمى في قوله: «إن تمسّــكتم به لن تضــلّوا بعدي أبداً» والذي تركه فينا هما الثقلان معاً؛ إذ جعلهما

---

[1]. هي قاعدة أصولية تستخدم في حل بعض المشاكل الفقهية ومعناها أن إشتغال الذمة يستدعي براءتها ولا بد من الجزم بإتيان الأمر لفراغ الذمة منه.

[2]. صحيح الترمذي ص3788 ، **من مصادر الإخوة .**

كـأمر واحـد، ولم يكتف بـالتمسُّـــك بواحـد منهمـا فقط، فبهمـا معـاً لن نضـــل بعـده أبـداً. وما أوضـح المعنى في قوله: «لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، فلا يجد الهداية أبداً من فرَّق بينهما ولم يتمسّـك بهما معاً، فلذلك كانوا «سـفينة النجاة»، و«أماناً لأهل الأَرض»، ومن تخلَّف عنهم غرق في لُجج الضـــلال، ولم يأمن من الهلاك. وتفســير ذلك بحبّهم فقط من دون الأَخذ بـأقوالهم واتّبـاع طريقهم هروب من الحق، لا يلجىء إليـه إلاّ التعصُّـــب والغفلـة عن المنهج الصحيح في تفسير الكلام العربي المبين.

5. عقيدتنا في حبّ آل البيت

قال الله تعالى:(قُل لاَّ أَسْئَلُكُمْ عَلْيِه أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ في الْقُربى).[1]

نعتقد: أنّه زيادة على وجوب التمسُّك بآل البيت، يجب على كل مسلم أن يدين بحبّهم ومودّتهم؛ لأنّه تعالى في هذه الآية المذكورة حصر المسؤول عليه الناس في المودة في القربى.[2]

وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وآله : أنّ حبهم علامة الايمان، وأنّ بغضهم علامة النفاق، وأن من أحبّهم أحب الله ورسوله، ومن أبغضهم أبغض الله ورسوله.[3]

. [1]الشورى ٢٣. وقد ورد عن ابن عباس قال: لما نزل:{ قُل لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلْيِه أَجْراً إلاّ الْمَوَدَّةَ في الْقُربى } **قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «علي وفاطمة والحسن والحسين».**

لزيادة الاطلاع راجع: الدر المنثور: ٧/٦، تفسير الطبري: ١٤/٢٥، مستدرك الحاكم: ٤٤٤/٢، مسند أحمد: ١٩٩، ينابيع المودّة: ١٥، الصواعق المحرقة: ١١ و١٠٢، ذخائر العقبى: ٢٥ ومصادر أُخرى.

[2]. عن رسول الله (ص) : " **أثبتكم على الصراط أشدّكم حبّاً لي ولأهل بيتي" . جامع الأحاديث للقمي 231**
وعنه (ص) أيضاً : "**ما أحبّنا أهل البيت أحد فزلّت به قدم إلا ثبتتّه قدم أخرى حتى يُنجيه الله يوم القيامة" . دُرَرُ الأحاديث النبوية 51.**

وعنه (ص) : "**من أراد التوكل على الله فليحبّ أهل بيتي ، ومن أراد أن ينجوَ من عذاب القبر فليحبّ أهل بيتي ، ومن أراد الحكمة فليحبّ أهل بيتي ، ومن أراد دخول الجنة بغير حساب فليحبّ أهل بيتي ، فو الله ما أحبّهم أحد إلا ربح الدنيا والآخرة." جامع الأخبار 62.**

[3]. **انظر: فضائل أحمد: ١٧٦ ح٢٤٨، ذخائر العقبى: ١٨، كنوز الحقائق للمناوي: ١٣٤، احياء الميت بفضائل أهل البيت عليهم السلام : ٣٥ ح١٣، مسند أحمد: ٨٤/١، ٩٥، ١٢٨، صحيح مسلم: ٨٦/١ ح١٣١، التاج الجامع للاصول: ٣٣٥/٣، سنن الترمذي: ٣٠١/٢، سنن النسائي: ١١٧/٨، الصواعق المحرقة: ٢٦٣، المحاسن: ١٧٦/١ ح٢٧٤، أمالي الصدوق: ٣٨٤.**

انظر: أمالي الصدوق: ١٦/٣٨٤، كنز العمال: ٩٨/١٢ ح٣٤١٦٨ و١٢: ١٠٣ ح٣٤١٩٤ و١١٦/١٢ ح ٣٤٢٨٦، متقل الحسين للخوارزمي: ١٠٩/١ ذخائر العقبى: ١٨، الصواعق المحرقة: ٢٦٣.

بل حبّهم فرض من ضروريات الدين الإِسلامي التي لا تقبل الجدل والشك، وقد اتّفق عليه جميع المسلمين على اختلاف نِحلهم وآرائهم، عدا فئة قليلة أُعتبروا من أعداء آل محمد، فنُبزوا باسم (النواصب) أي مَن نصبوا العداوة لآل بيت محمد، وبهذا يُعدُّون من المنكرين لضرورة إسلامية ثابتة بالقطع[1]، والمنكر للضرورة الاسلامية ـ كوجوب الصلاة والزكاة ـ يُعدّ في حكم المنكر لأصل الرسالة، بل هو على التحقيق منكر للرسالة، وإن أقرَّ في ظاهر الحال بالشهادتين.

ولأجل هذا كان بغض آل محمد من علامات النفاق، وحبّهم من علامات الايمان، ولأجله أيضاً كان بغضهم بغضاً لله ولرسوله.

ولا شكّ أنّه تعالى لم يفرض حبّهم ومودّتهم إلاّ لأنّهم أهلٌ للحبِّ والولاء، من ناحية قربهم إليه سبحانه، ومنزلتهم عنده، وطهارتهم من الشرك والمعاصي، ومن كل ما يبعد عن دار كرامته وساحة رضاه.

ولا يمكن أن نتصوَّر أنّه تعالى يفرض حب من يرتكب المعاصي، أو لا يطيعه حقّ طاعته؛ فإنّه ليس له قرابة مع أحد أو صداقة، وليس عنده الناس بالنسبة إليه إلاّ عبيداً مخلوقين على حد سواء، وإنّما أكرمهم عند الله أتقاهم [2] فمن أوجب حبه على الناس كلهم لا بدَّ أن يكون أتقاهم وأفضلهم جميعاً، وإلاّ كان غيره أولى بذلك الحب، أو كان الله يفضِّل بعضاً على بعض في وجوب الحب والولاية عبثاً أو لهواً بلا جهة استحقاق وكرامة؟!

---

[1]. عن الإمام الصادق (ع) : **" مدمن الخمر كعابد الوثن والناصب لآل محمد شرٌّ منه ". البحار 234/27** وعنه (ع):**" لو أن أهل السماوات السبع والأرضين السبع والبحار السبع شفعوا من ناصبي ما شفعوا منه". البحار 126/65.**

[2]. وقد قال عزّ وجلّ في محكم كتابه الكريم:{ يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ من ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْن-كُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفوُا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ إنَّ اللهَ عَليمٌ خَبِيرُ }**الحجرات ١٣.**

6. عقيدتنا في الأئمّة

لا نعتقد في أئمتنا [عليهم أفضل الصلاة والسلام] ما يعتقده الغلاة[1] والحلوليون[1] (كَبُرتْ كَلِمةً تَخرُجُ مِنْ أفواهِهِمْ)[2]

---

[1]. الغلاة: هم الذين يعتقدون في الأئمة عليهم السلام غير الحق، ويقولون بأنّهم آلهة وأنّهم ليسوا بمخلوقين وغيرها من الاعتقادات الفاسدة. وهؤلاء الغلاة فرق متعدّدة:

منهم الخطّابية: أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأَجدع الأَسدي الذي ادّعى بأنّه نبي مرسل، وأنّه من الملائكة، وغير ذلك من الخرافات.

ومنهم الغرابية: الذين قالوا بأنّ الله جل وعلا أرسل جبرئيل إلى علي بالرسالة فاخطأ جبرئيل وأعطاها إلى محمد صلى الله عليه وآله بسبب الشبه الذي بينهما.

ومنهم العليائية: أتباع العلياء بن دراع الدوسي أو الأَسدي، وهم يعتقدون بربوبية علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقالوا إنّ محمداً صلى الله عليه وآله عبد لعلي والعياذ بالله.

ومنهم المخمسية: وهم يقولون بأنّ الرب هو علي بن أبي طالب عليه السلام وأنّ سلمان الفارسي، وأبا ذر الغفاري، والمقداد بن الاسود، وعمار بن ياسر، وعمر بن أمية الضمري هم النبيون والموكّلون بمصالح العالم من قبل الرب الذي هو علي بن أبي طالب عليه السلام .

ومنهم البزيعية: أتباع بزيع بن موسى الحائك، ويقولون بأنّه نبي مرسل وأنّ الامام الصادق عليه السلام هو الذي أرسله بذلك، وقد سمع به الامام الصادق ولعنه بصراحة.

ومنهم السبائية: أتباع عبدالله بن سبأ - الذي اختلف المؤرخون في حقيقة وجوده وهل هو شخصية حقيقية واقعية أم مختلقة اختلقها أعداء الشيعة - وهؤلاء يعتقدون بإلوهية علي عليه السلام .

ومنهم المغيرية: أتباع المغيرة بن سعيد العجلي الذي ادّعى النبوّة، واستحلّ كثيراً من المحارم، ودسّ من خرافاته الكثير في كتب الشيعة، حتى ورد لعنه عن الامام الصادق عليه السلام حيث تعمّد الكذب على الباقر والصادق (ع).

ومنهم المنصورية: أتباع أبي منصور العجلي، الذي تبرّأ منه الامام الباقرعليه السلام ، وادّعى لنفسه الامامة. وقال إنّ علياً عليه السلام هو الكِسف الساقط من السماء، وأنّ الرُسل لا تنقطع ابداً.

غيرهم من الفرق الضالّة المنحرفة الذين تبرّأ منهم الأئمة عليهم السلام في أحاديث كثيرة وحذّروا منهم شيعتهم. فقد ورد - على سبيل المثال لا الحصر - عن الإمام الصادق عليه السلام حيث سأله سُدير وقال له: إنّ

بل عقيدتنا الخاصّة: أنَّهم بشر مثلنا، لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، وإنّما هم عباد مكرمون، اختصّهم الله تعالى بكرامته، وحباهم بولايته؛ إذ كانوا في أعلى درجات الكمال اللائقة في البشر من العلم، والتقوى، والشجاعة، والكرم، والعفّة، وجميع الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، لا يدانيهم أحد من البشر فيما اختصوا به.

وبهذا استحقّوا أن يكونوا أئمة وهداة، ومرجعاً بعد النبي في كلّ ما يعود للناس من أحكام وحكم، وما يرجع للدين من بيان وتشريع، وما يختص بالقرآن من تفسير وتأويل.

قال إمامنا الصادق عليه السلام : «ما جاءكم عنّا ممّا يجوز أن يكون في المخلوقين ولم تعلموه ولم تفهموه فلا تجحدوه وردّوه إلينا، وما جاءكم عنّا ممّا لا يجوز أن يكون في المخلوقين فاجحدوه ولا تردّوه إلينا».[3]

قوماً يزعمون أنّكم آلهة، يتلون بذلك علينا قرآناً (وَهُوَ الَّذي فِي السَّماءِ إِلهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلهٌ) فقال: **"يا سدير سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء، وبرىء الله منهم ، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلاّ وهو ساخط عليهم" الكافي: ٢٦٩/١.**

راجع: الملل والنحل: ١٥٤/١، الفرق بين الفرق: ٢٣٨، فرق الشيعة: ٤٢، مروج الذهب: ٢٢٠/٣، مقباس الهداية: ٣٦١/٢، أصل الشيعة وأصولها: ١٧٢، وورد العديد من الاحاديث التي تحذّر من الغلاة، ومنها ما في بحار الأنوار: ٢٦٥/٢٥، وغيرها.

[1]. الحلوليون الذين يقولون بحلول روح الإله في جسم الإمام وهؤلاء مردّهم إلى الغلاة.

[2]. الكهف 5

[3]. مختصر بصائر الدرجات 92.

7. عقيدتنا في أنّ الإمامة بالنص

نعتقد: أنّ الإمامة كالنبوّة؛ لا تكون إلاّ بالنص من الله تعالى على لسان رسوله، أو لسان الامام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينص على الامام من بعده.

وحكمها في ذلك حكم النبوّة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكَّموا فيمن يعيّنه الله هادياً ومرشداً لعامّة البشر، كما ليس لهم حق تعيينه، أو ترشيحه، أو انتخابه؛ لأنّ الشخص الذي له من نفسه القدسية استعداد لتحمّل أعباء الامامة العامّة وهداية البشر قاطبة يجب ألا يُعرف إلاّ بتعريف الله ولا يُعيَّن إلاّ بتعيينه[1].

ونعتقد: أنّ النبي صلى الله عليه وآله و سلم نصّ على خليفته والامام في البرية من بعده، فعيَّن ابن عمه علي بن أبي طالب أميراً للمؤمنين، وأميناً للوحي، وإماماً للخلق في عدّة مواطن، ونصّبه، وأخذ البيعة له بإمرة المؤمنين يوم الغدير فقال: «ألا مَن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللّهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه كيفما دار»[2].

ومن أوّل مواطن النص على إمامته قوله حينما دعا أقرباءه الأدنين وعشيرته الأقربين [3] فقال: «هذا أخي، ووصيي، وخليفتي من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا» [4] وهو يومئذٍ صبي لم يبلغ الحلم.

---

[1]. قد مرّ أن الإمام كالنبي إلا أن النبي يُوحى إليه والإمام لا يوحى إليه.

[2]. المعجم الكبير للطبراني 21/3 ح 3052 – مسند أحمد 118/1-119

[3]. حيث استمرت الدعوة السريّة أربع سنوات بعد البعثة الشريفة

قال تعالى : {وأنذر عشيرتك الأقربين} . الشعراء 214

جاء في بحار الأنوار (191/18) أنه قال علي (ع) : **"دعاني رسول الله (ص) فقال يا علي إن الله أمرني أن أُنذر عشيرتي الأقربين فضقت ذرعاً وعلمت أني متى أبادرهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمتّ حتى جاءني جبرئيل فقال يا محمد إنك إن لم تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك ، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عُسّا من لبن واجمع لي بني عبد المطلب حتى أعلمهم وأبلّغهم ما أمرت به"....**

[4]. أمالي الصدوق 523 – تفسير الطبري 74/19.

وكرّر قوله له في عدّة مرّات: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبي بعدي»[1]

إلى غير ذلك من روايات وآيات كريمة دلَّت على ثبوت الولاية العامّة له، كآية:(إنَّما وَليُّكُم اللهُ ورَسوُلُهُ والَّذينَ آمنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَلَوةَ ويؤُتُونَ الْزَّكَوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)[2]، وقد نزلت فيه عندما تصدَّق بالخاتم وهو راكع[3].

ولا يساعد وضع هذه الرسالة على استقصاء كلّ ما ورد في إمامته من الآيات والروايات، ولا بيان وجه دلالته[4].

ثمّ إنّه عليه السلام نص على إمامة الحسن والحسين[5] ، والحسين نص على إمامة ولده علي زين العابدين، وهكذا إماماً بعد إمام، ينصّ المتقدِّم منهم على المتأخِّر إلى آخرهم وهو أخيرهم على ما سيأتي.

---

[1]. التاريخ الكبير للبخاري 115/1 ح333 – صحيح مسلم 1870/4 ح2404.(مصادر من العامة).

[2]. المائدة 55

[3]. أمالي الصدوق 4/107 .

جاء عن أبي ذر (رض) أنه شكا رجلٌ في مسجد النبي (ص) أنه سأل حاجته فلم يُعطه أحد في مسجد الرسول فأومأ إليه (علي) بخنصره اليمنى وكان يختتم بها فأقبل السائل حتى أخذه من خنصره **. تفسير الكشاف للزمخشري وهو تفسير للعامّة (تفسير آية 55 من سورة المائدة)**

قال رسول الله (ص) لأصحابه :**" آمنوا بليلة القدر فإنها تكون بعدي لعلي بن أبي طالب وولده ، وولده هم أحد عشر من بعده ". اكمال الدين 281 – الكافي 533/1.**

وعنه(ص) : **"يا بن سمرة إن علياً مني روحه من روحي وطينته من طينتي ، هو أخي وأنا أخوه وهو زوج ابنتي فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وإن منه إمامَي أمتي وسيدَي شباب أهل الجنة الحسن والحسين وتسعةٌ من ولد الحسين تاسعهم قائم أمتي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما مُلئت ظلماً وجورا." أمالي الصدوق 17.**

[4]. كتاب السقيفة للشيخ المظفر (النص على علي بن أبي طالب (ع) 59-73).

[5]. بالإضافة لما ورد عن النبي (ص) فيهما حيث تواتر قوله :**" ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا ". علل الشرائع 211/1.**

8. عقيدتنا في عدد الأئمة

ونعتقد: أنّ الأئمّة الذين لهم صفة الامامة الحقّة، هم مرجعنا في الأَحكام الشرعية، المنصوص عليهم بالإمامة اثنا عشر إماماً، نصّ عليهم النبي صلى الله عليه وآله جميعاً بأسمائهم[1] ثمّ نصّ المتقدّم منهم على من بعده، على النحو الآتي:

ت	الكنية	الاسم	اللقب	سنة الولادة	سنة الوفاة
١	أبوالحسن	علي بن أبي طالب	المرتضى	٢٣ق. ه	٤٠ ه
٢	أبو محمد	الحسن بن علي	الزكي	٢ ه	٥٠ ه
٣	أبو عبدالله	الحسين بن علي	سيد الشهداء	٣ ه	٦١ ه
٤	أبو محمد	علي بن الحسين	زين العابدين	٣٨ ه	٩٥ ه
٥	أبو جعفر	محمد بن علي	الباقر	٥٧ ه	١١٤ ه
٦	أبو عبدالله	جعفر بن محمد	الصادق	٨٣ ه	١٤٨ ه

[1]. إكمال الدين 254/250 – عيون أخبار الرضا (ع) 41/1-51 حديث 2-16.

وقد ورد في روايات كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله نقلها المحدثون من أبناء العامة قال فيها النبي بأنّ الخلفاء من بعده اثنا عشر خليفة، وأنّهم كلهم من قريش. فمنها ما نقله جابر بن سمرة حيث قال: **"كنت مع أبي عند النبي صلى الله عليه وآله فسمعته يقول: بعدي اثنا عشر خليفة، ثم أخفى صوته، فقلت لأَبي: ما الذي أخفى صوته؟ قال: قال: كلّهم من بني هاشم".** وغير هذه الرواية الكثير الكثير.

انظر: مسند أحمد: ٨٩/٥ و٩٠ و٩٢، مستدرك الحاكم: ٥٠١/٤، مجمع الزوائد: ١٩٠/٥، كنز العمال: ٢٠١/٦ و٢٠٦، صحيح البخاري: ١٠١/٩، صحيح مسلم: ١٩٢/٢، تاريخ الخلفاء: ١٠، سنن الترمذي: ٣٥/٢، ينابيع المودة: ٤٤٤. وغيرها كثير.

٧	أبو ابراهيم	موسى بن جعفر	الكاظم	١٢٨ ه	١٨٣ ه
٨	أبو الحسن	علي بن موسى	الرضا	١٤٨ ه	٢٠٣ ه
٩	أبو جعفر	محمد بن علي	الجواد	١٩٥ ه	٢٢٠ ه
١٠	أبو الحسن	علي بن محمد	الهادي	٢١٢ ه	٢٥٤ه
١١	أبو محمد	الحسن بن علي	العسكري	٢٣٢ ه	٢٦٠ ه
١٢	أبو القاسم	محمد بن الحسن	المهدي	٢٥٦ ه	....

وهو الحجة في عصرنا، الغائب المنتظر، عجل الله فرجه، وسهل مخرجه؛ ليملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.[1]

---

[1]. وفي المناقب عن واثلة بن الأصقع بن قرخاب عن جابر بن عبد الله الأنصاري **قال: "دخل جندل بن جنادة بن جبير اليهودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أخبرني عما ليس لله وعما ليس عند الله وعما لا يعلمه الله، فقال صلى الله عليه وسلم: أما ما ليس لله فليس لله شريك وأما ما ليس عند الله فليس عند الله ظلم للعباد وأما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معشر اليهود إن عزيرا ابن الله والله لا يعلم أن له ولدا بل يعلم أنه مخلوقه وعبده، فقال :أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله حقا وصدقا، ثم قال إني رأيت البارحة في النوم موسى بن عمران عليه السلام فقال يا جندل أسلم على يد محمد خاتم الأنبياء واستمسك أوصياءه من بعده فقلت: أسلم فلله الحمد أسلمت وهداني بك.**
ثم قال: أخبرني يا رسول الله عن أوصيائك من بعدك لأتمسك بهم قال: أوصيائي الإثنا عشر قال جندل هكذا وجدناهم في التوراة وقال يا رسول الله سمهم لي، فقال:
أولهم سيد الأوصياء أبو الأئمة علي ثم ابناه الحسن والحسين فاستمسك بهم ولا يغرنك جهل الجاهلين، فإذا ولد علي بن الحسين زين العابدين يقضي الله عليك ويكون آخر زادك من الدنيا شربة لبن تشربه. فقال جندل: وجدناه في التوراة وفي كتب الأنبياء عليهم السلام إيليا وشبرا وشبيرا فهذه اسم علي والحسن والحسين فمن بعد الحسين ما أساميهم؟ قال إذا انقضت مدة الحسين فالإمام ابنه علي ويلقب بزين العابدين فبعده ابنه محمد يلقب بالباقر فبعده ابنه جعفر يدعى بالصادق فبعده ابنه موسى يدعى بالكاظم فبعده ابنه علي

9. عقيدتنا في المهديّ

إنّ البشارة بظهور المهديّ من ولد فاطمة في آخر الزمان ـ ليملأ الأَرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً ـ ثابتة عن النبي صلى الله عليه وآله بالتواتر، وسجَّلها المسلمون جميعاً فيما رووه من الحديث عنه على اختلاف مشاربهم[1] . وليست هي بالفكرة المستحدَثة عند الشيعة دفع إليها انتشار الظلم والجور، فحلموا بظهور من يطهِّر الأرض من رجس الظلم، كما يريد أن يصوّرها بعض المغالطين غير المنصفين.

ولولا ثبوت فكرة المهدي عن النبي على وجه عرفها جميع المسلمين، وتشبَّعت في نفوسهم واعتقدوها لما كان يتمكّن مدّعو المهدية في القرون الأولى – كالكيسانيّة[2] والعباسيين، وجملة

يدعى بالرضا فبعده ابنه محمد يدعى بالتقي والزكي فبعده ابنه علي يدعى بالنقي والهادي فبعده ابنه الحسن يدعى بالعسكري فبعده ابنه محمد يدعى بالمهدي والقائم والحجة فيغيب ثم يخرج فإذا خرج يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما طوبى للصابرين في غيبته طوبى للمقيمين على محبتهم أولئك الذين وصفهم الله في كتابه وقال: " هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب " ثم قال تعالى: {أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم الغالبون**}.**

فقال جندل: الحمد لله الذي وفقني بمعرفتهم ثم عاش إلى أن كانت ولادة علي ابن الحسين فخرج إلى الطائف ومرض وشرب لبنا وقال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون آخر زادي من الدنيا شربة لبن ومات ودفن بالطائف بالموضع المعروف بالكوزارة". (ينابيع المودة 377/3)

[1]. الغيبة للشيخ الطوسي 148/187 – مستدرك الحاكم 557/4 – المعجم الكبير للطبراني 267/23.

[2]. الكيسانية: فرقة اجتمعت على القول بإمامة محمد بن الحنفية. وقال بعضهم: إنّ محمد بن الحنفية هو الامام بعد أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام .

وقال آخرون منهم: إنّ الإمام بعد علي عليه السلام كان الحسن ثم الحسين عليهما السلام ثم صار هو (أي محمد بن الحنفيّة) الإمام بعد ذهاب الحسين عليه السلام من المدينة إلى مكة قبل واقعة كربلاء.

وزعم قوم منهم بأنّ محمد بن الحنفية حي لم يمت وهو المهدي المنتظر وهذا هو ما أشار إليه المصنّف هنا.

وذهب آخرون إلى الإقرار بموته وأنّ الامام بعده علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام .

من العلويين وغيرهم ـ من خدعة الناس، واســـتغلال هذه العقيدة فيهم طلباً للملك والســـلطان، فجعلوا ادعــا هم المهـديــة الكـاذبــة طريقــاً للتــأثير على العــامــة، وبســـط نفوذهم عليهم. ونحن مع ايماننا بصـــحة الدين الاســـلامي، وأنه خاتمة الأديان الإلهية، ولا نترقب ديناً آخر لإصلاح البشر، ومع ما نشاهد من انتشار الظلم، واستشراء الفساد في العالم على وجه لا تجد للعدل والصلاح موضع قدم في الممالك المعمورة، ومع ما نرى من انكفاء المسلمين أنفسهم عن دينهم، وتعطيل أحكامه وقوانينه في جميع الممالك الاســـلامية، وعدم التزامهم بواحد من الآلف من أحكام الاســـلام، نحن مع كل ذلك لا بدَّ أن ننتظر الفرج بعودة الدين الاســـلامي إلى قوّته وتمكينه من إصلاح هذا العالم المنغمس بغطرسة الظلم والفساد.

ومنهم من قال برجوع الامامة بعده إلى أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية، واختلف هؤلاء بالإمامة بعده، فمنهم من نقلها إلى محمد بن علي بن عبدالله، ومنهم من زعم أنّ الامامة بعده صارت إلى بيان بن سمعان، وزعموا أنّ روح الله كانت في أبي هاشم ثمّ انتقلت إلى بيان هذا.

وقيل: إنّما سمّوا بالكيسانية لأنّ المختار بن أبي عبيد الثقفي كان رئيسهم، وكان يلقّب بـ «كيسان»؛ لأنّ صاحب شرطته (أبو عمرة) كان اسمه كيسان وكان أفرط في الفعل والقول والقتل من المختار.

هذا على أنّ اعتقاد الامامية ـ وهو الرأي الراجح عندهم ـ أنّ المختار كان ذو عقيدة صحيحة، وكان يدعو إلى إمامة الامام السجّاد علي بن الحسين عليه السلام ، وقد ورد مدحه على لسان الإمام السجاد عليه السلام ، وكذا ابنه الإمام الباقرعليه السلام ، وكذا ولده الإمام الصادق عليه السلام .

كما وتواتر الثناء عليه والذبّ عنه عند علماء الشيعة ولم يغمزه إلاّ شذاذ منهم، وما نُبز به المختار من القذائف فهو مفتعل عليه وضعه أعداؤه تشويهاً لسمعته ؛ لأنّه هو الذي قام بأخذ الثأر للاِمام الحسين عليه السلام ، وقتل الذين قاموا بقتله هو وأهل بيته في واقعة كربلاء المفجعة، وقد قام علماء الإمامية وغيرهم بتأليف كتب مخصوصة في حياة المختار وسيرته وأعماله. **راجع: الملل والنحل: ١٣١/١، الفرق بين الفرق: ٣٨، فرق الشيعة: ٢٣.**

ثمّ لا يمكن أن يعود الدين الاسلامي إلى قوَّته وسيطرته على البشر عامة[1]، وهو على ما هو عليه اليوم وقبل اليوم من اختلاف معتنقيه في قوانينه وأحكامه وفي افكارهم عنه، وهم على ما هم عليه اليوم وقبل اليوم من البدع والتحريفات في قوانينه والضلالات في ادّعاءاتهم.

نعم، لا يمكن أن يعود الدين إلى قوّته إلاّ إذا ظهر على رأسه مصلح عظيم، يجمع الكلمة، ويرد عن الدين تحريف المبطلين، ويُبطل ما أُلصق به من البدع والضلالات بعناية ربّانية وبلطف إلهي؛ ليجعل منه شخصاً هادياً مهدياً، له هذه المنزلة العظمى، والرئاسة العامّة، والقدرة الخارقة؛ ليملأ الأَرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً.

والخلاصة؛ أنّ طبيعة الوضع الفاسد في البشر البالغة الغاية في الفساد والظلم - مع الايمان بصحّة هذا الدين، وأنّه الخاتمة للأديان - يقتضي انتظار هذا المصلح المهدي لانقاذ العالم ممّا هو فيه.

ولأجل ذلك آمنت بهذا الانتظار جميع الفرق المسلمة، بل الأَمم من غير المسلمين، غير أنّ الفرق بين الإمامية وغيرها هو أنّ الامامية تعتقد أنّ هذا المصلح المهدي هو شخص معيَّن معروف ولد سنة ٢٥٦ هجرية ولا يزال حياً؛ هو ابن الحسن العسكري واسمه (محمد)، وذلك بما ثبت عن النبي وآل البيت من الوعد به[2] ، وما تواتر عندنا من ولادته واحتجاجه.

---

[1]. لكي يتحقق قوله تعالى - وقوله الحق: - { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَه عَلَى الدِّين كُلِّهِ } **التوبة ٣٣ والفتح ٢٨ والصف ٩.**

[2]. حيث تواترت الروايات والأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وعن الأئمة عليهم السلام بظهور المهدي من ولد فاطمة، وانه سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً كما مر سابقاً.

وقد ذكر السيد الشهيد محمد باقر الصدر ما نصه: (إنّ فكرة المهدي بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم إلى الأفضل قد جاءت في أحاديث الرسول الأعظم عموماً، وفي روايات أئمة أهل البيت خصوصاً، وأكّدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشك، ولقد أُحصي أربعمائة حديث عن النبي صلى الله عليه وآله من طرق إخواننا أهل السنة، كما أُحصي مجموع الأخبار الواردة في الامام المهدي من طرق الشيعة

ولا يجوز أن تنقطع الإمامة وتحول في عصر من العصور[1] وإن كان الامام مخفياً؛ ليظهر في اليوم الموعود به من الله تعالى، الذي هو من الأسرار الإلهية التي لا يعلم بها إلا هو تعالى. ولا يخلو من أن تكون حياته وبقاؤه هذه المدّة الطويلة معجزة جعلها الله تعالى له، وليست هي بأعظم من معجزة أن يكون إماماً للخلق وهو ابن خمس سنين يوم رحل والده إلى الرفيق الأعلى[2]، ولا هي بأعظم من معجزة عيسى إذ كلَّم الناس في المهد صبياً، وبعث في الناس نبياً[3].

والسنة فكان أكثر من ستة آلاف رواية. هذا رقم احصائي كبير لا يتوفّر نظيره في كثير من قضايا الاسلام البديهية التي لا شك فيها لمسلم عادة). بحث حول المهدي: ٦٣.

[1]. عن الصادق (ع) :" **إن الله أجلّ وأعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل"** . الكافي 178/1 وعن صاحب الزمان (عج) : **"إن الأرض لا تخلو من حجة إما ظاهراً وإما مغموراً."** اكمال الدين ص511.

[2]. فقد ورد في الروايات الكثيرة أنّ الامام العسكري عليه السلام توفّي في عام ٢٦٠، وكان عمر الامام المهدي عندها خمس سنين وقام بأعباء الامامة.

ويدلّ على ذلك ما ورد من رواية أبي الأديان، الذي كان يخدم الامام العسكري عليه السلام فأرسله الامام عند مرضه عليه السلام لينقل بعض الكتب إلى المدائن، وقال له: إنّك ستغيب خمسة عشر يوماً وتدخل في اليوم الخامس عشر إلى سرّ من رأى فتسمع الواعية (وهي صراخ الموت). فسأله أبو الأَديان حينها عن الامام بعده فقال عليه السلام له إنّه الذي يطالبك بجواباتي ويصلي عليَّ ويخبرك بما في الهميان (جراب) الذي معك.

ثمّ تحقّق كل الذي قاله الامام عليه السلام ، ورجع أبو الأَديان فكان الذي طالبه بالجوابات هو الامام المهدي، وهو الذي صلّى على أبيه عليه السلام - بعد أن أبعد عمّه - ثم أخبر أبا الاديان بما في الهميان الذي معه، كما اخبر جماعة آخرين بما عندهم من أُمور لم يطّلع عليها أحد غيرهم، وكان عمره حينذاك خمس سنين.

راجع: إكمال الدين وإتمام النعمة: ٢/ ٤٧٦، بحار الأنوار: ٥٠/ ٣٣٢ ح ٤. وراجع أيضاً: تاريخ الغيبة الصغرى: ٢٨٢ وما بعدها.

[3]. اشارة إلى قوله تعالى في عيسى بن مريم عليه السلام وهو يحكي قصته، حيث قال بنو اسرائيل لمريم حين أتت به تحمله:{ يَأُخْتَ هرونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً* فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي المْهدِ صَبِيّاً* قَالَ إِنِّي عَبْدُاللهِ ءاتانِي الكِتبَ وَجَعَلَنِي نَبيّاً } مريم ٢٨ - ٣٠.

وطول الحياة أكثر من العمر الطبيعي - أو الذي يتخيّل أنّه العمر الطبيعي - لا يمنع منها فن الطب ولا يحيلها، غير أنّ الطب بعد لم يتوصّل إلى ما يمكّنه من تعمير حياة الانسان، وإذا عجز عنه الطب فإنّ الله تعالى قادر على كلّ شيء، وقد وقع فعلاً تعمير نوح[1] ، وبقاء عيسى [2] عليهم السلام كما أخبر عنهما القرآن الكريم... ولو شك الشاكّ فيما أخبر به القرآن فعلى الاسلام السلام.

ومن العجب أن يتساءل المسلم عن إمكان ذلك وهو يدّعي الايمان بالكتاب العزيز!!

وممّا يجدر أن نذكره في هذا الصدد، ونذكِّر أنفسنا به أنّه ليس معنى انتظار هذا المصلح المنقذ المهدي أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي فيما يعود إلى الحق من دينهم، وما يجب عليهم من نصرته، والجهاد في سبيله، والأخذ بأحكامه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

[1]. حيث قال تعالى في نوح عليه السلام :{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الْطُّوفَانُ وَهُمْ ظَلِمُوْنَ } العنكبوت ١٤. ومن الثابت أنّ هذه الفترة - الف سنة إلاّ خمسين عاماً - هي فقط فترة بقائه في قومه يعِظُهم، أما عمره فقد قيل: إنّه على أقل التقديرات ألف وستمائة سنة، وقيل أكثر.. إلى ثلاث آلاف سنة.

راجع: تفسير الكشاف: ٣/ ٢٠٠، تفسير ابن كثير: ٣/ ٤١٨، زاد المسير لابن الجوزي: ٦/ ٢٦١.

[2]. إشارة إلى قوله تعالى:{ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوُهُ وَلكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الّذِينَ اخْتَلَفوُا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنْهُ مَا لَهُمْ بهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاّ اتِّباعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً* بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكانَ اللهُ عَزِيزاَ حَكِيماً } **النساء ١٥٧ - ١٥٨**. وهذا من الأمور المسلّمة القطعية عند كافّة المسلمين؛ حيث أنّه لو تسرّب الشك إلى هذا الأمر القرآني القطعي هذا يعني الشك بالقرآن بأجمعه (أَفَتُؤمِنُونَ بِبَعْضِ الكتَبِ وَتَكْفُرون ببعَضٍ) البقرة ٨٥، وإلى هذا أشار المصنّف بقوله: (ولو شكّ الشاكّ فيما أخبر به القرآن فعلى الاسلام السلام) ، وعلى هذا الأساس فإنّ المسلم بعد أن آمن بكل هذا وسلّم به فلا موجب للعَجب من إمكان بقاء الإمام كل هذه المدة الزمنية وهذا العمر الطويل - الذي لا يخلو من كونه معجزة بأمر الله تعالى - الذي منحه الله تعالى للامام ليدخره إلى اليوم الموعود.

بل المسلم أبداً مكلَّف بالعمل بما أُنزل من الأحكام الشرعية، وواجب عليه السعي لمعرفتها على وجهها الصحيح بالطرق الموصلة إليها حقيقة، وواجب عليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ما تمكَّن من ذلك وبلغت إليه قدرته «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته»[1]. فلا يجوز له التأخّر عن واجباته بمجرد الإنتظار للمصلح المهدي، والمبشّر الهادي؛ فإنّ هذا لا يسقط تكليفاً، ولا يؤجِّل عملاً، ولا يجعل الناسَ هملاً كالسوائم.

[1]. جامع الأحاديث للقمي 21 – جامع الأخبار 237 ح919 – صحيح البخاري 6/2 و 196/3 – مسند احمد 5/2.

10. عقيدتنا في الرجعة

إنّ الذي تذهب إليه الإمامية ـ أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام ـ أنّ الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّ فريقاً ويذلّ فريقاً آخر، ويديل المحقّين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمّد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام[1].

ولا يرجع إلاّ من علت درجته في الايمان، أو مَن بلغ الغاية من الفساد، ثمّ يصيرون بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقّونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمنّي هؤلاء المرتَجَعينَ ـ الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله ـ أن يخرجوا ثالثاً لعلّهم يصلحون:(قَالوا رَبَّنا أَمتَّنا اثْنَتينِ وَأحيَيتَنَا اثنَتَينِ فَاعتَرَفنَا بِذُنُوبِنَا فَهَل إلى خُرُوجٍ مِن سَبيلٍ) [2].

---

[1]. الرجعة لغةً هي الرجوع بعد الغياب ويشمل الرجوع إلى الحياة بعد الموت، أما اصطلاحاً فهي عودة بعض الأموات إلى الحياة بعد قيام دولة صاحب الزمان (عج) واختلف العلماء في تفسيرها ووردت نصوص عديدة في ذلك (بحار الأنوار باب الرجعة 39/53-143) فضلاً عن استفادة هذا المعنى من الآيات الشريفة، إليك بعض النصوص:

- عن الصادق (ع) : **"ليس أحد من المؤمنين قُتل إلا يرجع حتى يموت ولا يرجع إلا من محّض الإيمان محضاً أو محّض الكفر محضاً." (بحار الانوار 53/53).**
- وعنه (ع) :**" الرجعة ليست عامة وهي خاصة" . البحار 39/53.**
- وعنه (ع) : **"ليس منّا من لم يؤمن برجعتنا" . المفيد -المسائل السروية ص30.**
- وعنه (ع) : **"أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي ". البحار 39/53.**
- وعنه (ع) في تعليم زيارة الحسين (ع) : **"وأشهد أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن" .. البحار 14/53.**
- وعن صاحب الزمان (عج) في زيارة آل ياسين : **"وأن رجعتكم حق لا ريب فيها ". البحار 171/53**

[2]. سورة غافر11.

نعم، قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا، وتظافرت بها الأخبار عن بيت العصمة، والإمامية بأجمعها عليه إلاّ قليلون منهم تأوَّلوا ما ورد في الرجعة بأنّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلى آل البيت بظهور الامام المنتظر، من دون رجوع أعيان الأشخاص وإحياء الموتى[1].

والقول بالرجعة يُعدّ عند أهل السنَّة من المستنكرات التي يستقبح الاعتقاد بها، وكان المؤلِّفون منهم في رجال الحديث يعدّون الاعتقاد بالرجعة من الطعون في الراوي والشناعات عليه التي تستوجب رفض روايته وطرحها، ويبدو أنّهم يعدّونها بمنزلة الكفر والشرك بل أشنع، فكان هذا الاعتقاد من أكبر ما تُنبز به الشيعة الامامية، ويشنَّع به عليهم.

ولا شكّ في أنّ هذا من نوع التهويلات التي تتّخذها الطوائف الاسلامية ـ فيما غبر ـ ذريعة لطعن بعضها في بعض، والدعاية ضده. ولا نرى في الواقع ما يبرّر هذا التهويل؛ لأنّ الاعتقاد بالرجعة لا يخدش في عقيدة التوحيد، ولا في عقيدة النبوّة، بل يؤكد صحّة العقيدتين؛ إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث والنشر، وهي من الاَمور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزة لنبينا محمد وآل بيته صلى الله عليه وعليهم، وهي عيناً معجزة إحياء الموتى التي كانت للمسيح عليه السلام ، بل أبلغ هنا؛ لأنها بعد أن يصبح الاَموات رميماً(قَالَ مَنْ يُحيي العِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُل يُحييهَا الَّذِي أَنشأَهَا أَوَّلَ مَرةٍ وَهُو بِكُلِّ خَلقٍ عَلِيمٌ) [2].

وأمّا من طعن في الرجعة باعتبار أنّها من التناسخ الباطل، فلأنّه لم يفرّق بين معنى التناسخ وبين المعاد الجسماني، والرجعة من نوع المعاد الجسماني؛ فإنّ معنى التناسخ هو انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول، وليس كذلك معنى المعاد الجسماني؛ فإنّ معناه رجوع نفس البدن الاَول بمشخّصاته النفسية، فكذلك الرجعة.

وإذا كانت الرجعة تناسخاً فإنّ إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام كان تناسخاً، وإذا كانت الرجعة تناسخاً كان البعث والمعاد الجسماني تناسخاً.

---

[1]. للمزيد من التوضيح والإستفادة أنظر كتاب الرجعة في الكتاب والسنة للشيخ محمد كوزل الآمدي.

[2]. سورة يس 78-79

إذن، لم يبق إلاّ أن يُناقش في الرجعة من جهتين:

الأولى: أنّه مستحيلة الوقوع.

الثانية: كذب الأحاديث الواردة فيها.

وعلى تقدير صحة المناقشتين، فإنّه لا يعتبر الاعتقاد بها بهذه الدرجة من الشناعة التي هوَّلها خصوم الشيعة.

وكم من معتقدات لباقي طوائف المسلمين هي من الأمور المستحيلة، أو التي لم يثبت فيها نص صحيح، ولكنّها لم توجب تكفيراً وخروجاً عن الاسلام، ولذلك أمثلة كثيرة، منها: الاعتقاد بجواز سهو النبي أو عصيانه ، ومنها الاعتقاد بقدم القرآن ، ومنها: القول بالوعيد [1]، ومنها: الاعتقاد بأنّ النبي لم ينص على خليفة من بعده.

---

[1]. **راجع صحيح البخاري: ٦٨/٢، صحيح مسلم: ٣٩٩/١ ح٨٥ و٨٦ و٨٧ و٨٩، سنن الترمذي: ٢٣٥/٢ ح٣٩١ ـ ٣٩٥، سنن أبي داود: ٢٦٤/١ ح١٠٠٨ ـ ١٠٢٣.**

راجع: شرح المقاصد: ١٤٣/٤ ـ ١٤٦، وفيه إشارة إلى قول الحنابلة والحشوية بِقِدَم القرآن، بل قول بعضهم بأنّ الجلدة والغلاف أزليّان، وكذا الاشارة إلى مناظرة أبي حنيفة وأبي يوسف التي دامت ستة أشهر وأنتهت بالاتفاق بينهم على القول بأنّ من قال بخلق القرآن فهو كافر.

وراجع: شرح المقاصد: ١٢٥/٥، مذاهب الاسلاميين: ٦٢.

الوعيدية : هم الخوارج والمعتزلة وهم يُدخلون كل مُرتكب كبيرة في النار ، وأن الله يجب عليه عقاب العاصي وإنفاذ الوعيد عليه، وأن صاحب الكبيرة يخرج من الإيمان ولا يبقى من إيمانه شيء (وقد غفلوا عن إمكانية صفح الله العفوّ) عكس المرجئة الذين يقولون بنفي العقاب عن أهل الإيمان.
تقدم الكلام عن خلق القرآن حيث سأل سليمان بن جعفر الجعفري الإمام الكاظم (ع) عن مسألة خلق القرآن حيث كانت مثاراً للجدل في عهد العبّاسيين فقال (ع) :" **.... لكني أقول إنه كلام الله "(التوحيد للصدوق 224/3).**

على أنّ هاتين المناقشتين لا أساس لهما من الصحّة؛ أمّا أنّ الرجعة مستحيلة فقد قلنا إنّها من نوع البعث والمعاد الجسـماني[1]، غير أنّها بعث موقوت في الدنيا، والدليل على إمكان البعث دليل على إمكانها، ولا سبب لاستغرابها إلا أنّها أمر غير معهود لنا فيما ألفناه في حياتنا الدنيا، ولا نعرف من أسبابها أو موانعها ما يقرّبها إلى اعترافنا أو يبعدها، وخيال الانسان لا يسهّل عليه أن يتقبّل تصديق ما لم يألفه، وذلك كمن يستغرب البعث فيقول (مَن يُحيي العظمَ وَهِيَّ رَمِيمٌ) فيقال له:(يُحيِيهَا الّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرةٍ وَهُوَ بِكلِّ خَلقٍ عَلِيمٌ) . نعم، في مثل ذلك ممّا لا دليل عقلي لنا على نفيه أو إثباته، أو نتخيّل عدم وجود الدليل، يلزمنا الرضوخ إلى النصوص الدينية التي هي من مصدر الوحي الإلهي، وقد ورد في القرآن الكريم ما يثبت وقوع الرجعة إلى الدنيا لبعض الأموات، كمعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى (وَأُبرِئ الأَكمَهَ وَالأَبَرصَ وأُحيِي المَوتَى بِإذنِ اللهِ). وكقوله تعالى (أَنَّى يُحيِي هَذِهِ اللهُ بَعدَ مَوتِها فأَمَاتَهُ اللهُ مائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعثَهُ).

---

[1]. المعاد الجسماني : هو عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم وأن يُحشر الميّت في يوم القيامة بروحه وجسده ونفس خصائصه الشخصية ومشخّصاته التي كان عليها في الدنيا وعندما يُنتهى من حسابه يُدفع به روحاً وجسداً إلأى النعيم أو الجحيم وقد مرّ ذلك في عصر النبي موسى (ع) حيث ذكر المفسّرون أنه بعد اختياره من قومه سبعين رجلاً حين خرج من الميقات ليكلّمه الله سبحانه بمحضرهم فيكونوا شهداء على بني إسرائيل لعدم وثوقهم بتكليمه إياه ، فلما حضروا وشاهدوا وسمعوا كلامه جل وعلا سألوا رؤيته (تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً) ، فأصابتهم الصاعقة فماتوا جميعهم فأحياهم الله تعالى بعد توسل موسى (ع) وخوفه من قومه ، والأية الشريفة في سورة البقرة 56/55 توضح ما جرى – مستفاد من تفسير الطبرسي – مجمع البيان 155/1.

والآية المتقدِّمة (قالُوا رَبَّنا أمتَّنا اثنتَينِ...) [1]؛ فإنّه لا يستقيم معنى هذه الآية بغير الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وإن تكلَّف بعض المفسِّرين في تأويلها بما لا يروي الغليل، ولا يحقّق معنى الآية[2] .

وأمّا المناقشة الثانية - وهي دعوى أنّ الحديث فيها موضوع - فإنّه لا وجه لها؛ لأنّ الرجعة من الامور الضرورية فيما جاء عن آل البيت من الأخبار المتواترة.

وبعد هذا، أفلا تعجب من كاتب شهير يدَّعي المعرفة مثل أحمد أمين في كتابه «فجر الاسلام» إذ يقول: «فاليهودية ظهرت في التشيّع بالقول بالرجعة»![3] ، فأنا أقول له على مدّعاه: فاليهودية أيضاً ظهرت في القرآن بالرجعة، كما تقدّم ذكر القرآن لها في الآيات المتقدّمة.

ونزيده فنقول: والحقيقة أنّه لا بدَّ أن تظهر اليهودية والنصرانية في كثير من المعتقدات والأحكام الاسلامية؛ لأنّ النبي الأكرم جاء مصدِّقاً لما بين يديه من الشرائع السماوية[4]، وإن نسخ بعض أحكامها، فظهور اليهودية أو النصرانية في بعض المعتقدات الاسلامية ليس عيباً في الاسلام، على تقدير أنّ الرجعة من الآراء اليهودية كما يدّعيه هذا الكاتب.

---

[1]. الآيات الشريفة على التوالي : يس 78-79 ، آل عمران 49 ، البقرة 259 ، غافر 11.

[2]. أنظر مجمع البيان للطبرسي 516/4.

[3]. يقصد كتاب فجر الإسلام ص33 للكاتب أحمد أمين ؛ حيث يعتبرون القول بالرجعة (الذي تقول به الإمامية رعاها الله تعالى) من التشنيعات على مذهب الحقّ – لمزيد من التفصيل راجع كتاب أصل الشيعة وأصولها ص 140 حيث فيها ردود على هذه المقالات.

[4]. إشارة إلى قوله تعالى مخاطباً نبيه الكريم محمداً صلى الله عليه وآله :{ نَزَّلَ عَلَيْكَ الكِتَبَ بِالْحَقِّ مُصدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْريةَ والاَنْجِيلَ } آل عمران ٣.

وغيرها من الآيات الكريمة الكثيرة الدالة على أنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن جاءا مصدقّين لمن سبق من الأنبياء وشرائعهم الحقّة، سوى ما ورد من الأحكام الناسخة التي كان يتديّن بها أتباعهم قبل نزول الشريعة السَمِحة الشاملة.

وعلى كلّ حال، فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها، وإنّما اعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين ندين بعصمتهم من الكذب، وهي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها، ولا يمتنع وقوعها.

11. عقيدتنا في التقيّة

روي عن صادق آل البيت عليه السلام في الأثر الصحيح:

«التقيّة ديني ودين آبائي»، و «من لا تقيّة له لا دين له»[1].

وكذلك هي، لقد كانت شعاراً لآل البيت عليهم السلام ؛ دفعاً للضرر عنهم وعن أتباعهم، وحقناً لدمائهم، واستصلاحاً لحال المسلمين، وجمعاً لكلمتهم، ولمّاً لشعثهم.[2]

وما زالت سِمة تُعرف بها الإمامية دون غيرها من الطوائف والأُمم، وكلّ انسان إذا أحسَّ بالخطر على نفسه أو ماله بسبب نشر معتقده أوالتظاهر به لا بدَّ أن يتكتَّم ويتّقي في مواضع الخطر، وهذا أمر تقضيه فطرة العقول.

ومن المعلوم أنّ الامامية وأئمّتهم لاقوا من ضروب المحن، وصنوف الضيق على حريّاتهم في جميع العهود ما لم تلاقه أيّة طائفة أو أُمَّة أُخرى[3] فاضطرّوا في أكثر عهودهم إلى استعمال التقيّة

---

[1]. الكافي 174/2 – حديث 2 و12

[2]. التقية: هي كتمان الحق، وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقُب ضرراً في الدين والدنيا.

وهي من الأمور التي يشنّع بعض الناس ويزدري على الشيعة بقولهم بها؛ جهلاً منهم بمعناها وبموقعها وحقيقة مغزاها، ولو تثبّتوا في الأمر وتريّثوا وصبروا وتبصّروا لعرفوا أنّ التقية لا تختص بالشيعة ولم ينفردوا بها، بل هي من ضروري العقل، وعليه جبلّة الطباع وغرائز البشر؛ رائدها العلم، وقائدها العقل ولا تنفك عنهما قيد شعرة؛ إذ أنّ كل انسان مجبول على الدفاع عن نفسه والمحافظة على حياته.

راجع: تصحيح الاعتقاد من مصنفات الشيخ المفيد: ١٣٧/٥، أصل الشيعة وأصولها: ٣١٥، ولمزيد من الاطلاع راجع: واقع التقية عند المذاهب والفرق الاسلامية من غير الشيعة الامامية ـ للسيد ثامر العميدي، وفيه إيضاح على أنّ التقية والقول بها لا يختص فقط بالشيعة.

[3]. راجع كتاب الشيعة والحاكمون للشيخ محمد جواد مغنية ففيه تصوير للوضع المأساوي الذي عانى منه الشيعة على مرّ التاريخ.

بمكاتمة المخالفين لهم، وترك مظاهرتهم، وستر اعتقاداتهم وأعمالهم المختصة بهم عنهم؛ لما كان يعقب ذلك من الضرر في الدين والدنيا. ولهذا السببُ امتازوا بالتقية وعُرفوا بها دون سواهم.

وللتقيّة أحكام من حيث وجوبها وعدم وجوبها بحسب اختلاف مواقع خوف الضرر مذكورة في ابوابها في كتب العلماء الفقهية.[1]

وليست هي بواجبة على كلّ حال، بل قد يجوز أو يجب خلافها في بعض الأحوال، كما إذا كان في إظهار الحق والتظاهر به نصرة للدين وخدمة للإسلام، وجهاد في سبيله؛ فإنّه عند ذلك يستهان بالأموال، ولا تعزّ النفوس.[2]

وقد تحرم التقيّة في الأعمال التي تستوجب قتل النفوس المحترمة[3] ، أو رواجاً للباطل، أو فساداً في الدين، أو ضرراً بالغاً على المسلمين بإضلالهم، أو إفشاء الظلم والجور فيهم.

---

[1]. حيث تعرّض الشيعة للقتل والنفي والحرمان من مال بيت المال، وكانت الكوفة أكثر المدن المضطّهدة لوجود الشيعة فيها، كما وكانوا يعانون من خوف شديد وريبة انسحبت إلى قلّة ثقتهم ببعضهم، وتفرّق كلمتهم خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي لعنه الله المعروف ببُغض الشيعة ، واستمرّ التضييق إلى عهد عمر بن عبد العزيز حيث تخلّى عن سياسة التضييق ، وارتاحت الفئة المظلومة نوعاً ما.

وكذا دأب بنو العباس فلم يكن الحال أحسن بل أثقل وأشد مرارة حيث استخدم بنو العباس عاطفة الناس ومودّتهم لآل البيت (ع) في ثورتهم التي خرجت تحت عنوان طلب الثأر للحسين عليه السلام ولكنهم نكصوا لعنهم الله تعالى.

[2]. إليك هذه الرواية التي توضح المطلوب فعن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن محمد بن عيسى، عن زكريا المؤمن، عن عبد الله بن أسد، عن عبد الله بن عطا قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: **"رجلان من أهل الكوفة أُخذا فقيل لهما: إبرءا من أمير المؤمنين عليه السلام فبرئ واحد منهما وأبى الاخر فخلى سبيل الذي برئ وقتل الاخر؟ فقال: أما الذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأما الذي لم يبرأ فرجل تعجّل إلى الجنة"** . **(الكافي 221/2).**

[3]. حيث ورد في صحيح زرارة عن الصادق (ع) :**" ثلاثة لا أتقي فيهنّ أحداً : شرب المسكر ، ومسخ الخفّين ، ومتعة الحجّ "** . **(وسائل الشيعة 457/1 – أبواب الوضوء باب38).**

وعلى كلّ حال، ليس معنى التقيّة عند الامامية أنّها تجعل منهم جمعية سرّية لغاية الهدم والتخريب، كما يريد أن يصوّرها بعض أعدائهم غير المتورّعين في إدراك الأُمور على وجهها، ولا يكلِّفون أنفسهم فهم الرأي الصحيح عندنا[1] .

كما أنّه ليس معناها أنها تجعل الدين وأحكامه سرّاً من الأسرار لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به، كيف وكتب الامامية ومؤلَّفاتهم فيما يخص الفقه والأحكام، ومباحث الكلام والمعتقدات قد ملأت الخافقين، وتجاوزت الحدّ الذي ينتظر من أيّة أُمَّة تدين بدينها؟!

بلى، إنّ عقيدتنا في التقيّة قد استغلّها من أراد التشنيع على الامامية، فجعلوها من جملة المطاعن فيهم، وكأنّهم كان لا يشفى غليلهم إلاّ أن تقدَّم رقابهم إلى السيوف لاستئصالهم عن آخرهم في تلك العصور التي يكفي فيها أن يقال هذا رجل شيعي ليلاقي حتفه على يد أعداء آل البيت من الأمويين والعباسيين، بل العثمانيين.

وإذا كان طعن من اراد أن يطعن يستند إلى زعم عدم مشروعيتها من ناحية دينية، فإنّا نقول له:

وورد عنه (ع) أيضاً : **" لا دين لمن لا تقية له ، والتقية في كل شيء إلا في النبيذ والمسح على الخفّين " . (وسائل الشيعة 215/16 أبواب التقية باب 25)**

وعن الباقر (ع) :**" إنما جعل التقية ليُحقن بها الدم ، فإذا بلغ الدم فلا تقيّة" . وسائل الشيعة 483/11 ح1.** يُستنتج من هذه الأحاديث المباركة وغيرها ؛ أن للتقيّة حدوداً وليست مجالاً للنفاق كما يُصوّر أعداء الحقّ.

[1]. راجع الكوثري في تعليقه على كتاب الاسفراييني «التبصير في الدين»، فانه يذكر بأن الذين اتّخذوا التشيع ستاراً لتحقيق أغراضهم في تشويه معالم الاسلام: (اتّخذوا التلفّع بالتشيّع وسيلة لحشد حشود وتأليف جمعيات سرية وجعلوا التشيّع ستاراً لما يريدون أن يبثّوه بين الامة من الرذيلة!!).

الاسفراييني: التبصير في الدين: ١٨٥ ـ تعليق الكوثري.

وراجع أيضاً: نشأة الاَشعرية وتطورّها: ٨٧ ـ ٨٨.

أولاً: إنّنا متبعون لأئمتنا عليهم السلام ونحن نهتدي بهداهم، وهم أمرونا بها، وفرضوها علينا وقت الحاجة، وهي عندهم من الدين، وقد

سمعت قول الصادق عليه السلام : «من لا تقيّة له لا دين له»[1].

وثانياً: قد ورد تشريعها في نفس القرآن الكريم، ذلك قوله تعالى(إلاَّ مَنْ أُكرِهَ وَقَلبُهُ مُطْمَئِنٌ بالإِيمن) [2] وقد نزلت هذه الآية في عمّار بن ياسر الذي التجأ إلى التظاهر بالكفر خوفاً من أعداء الاسلام[3].

وقوله تعالى{ إلاَّ أَنْ تَتَّقوُا مِنْهُم تُقةً } .

وقوله تعالى{ وَقَالَ رَجُلٌ مؤُمِنٌ مِن ءَالِ فِرعَونَ يَكتُمُ إيمنَهُ } .[4]

---

[1]. الكافي 172/2 ح 2.

[2]. سورة النحل 106.

[3]. راجع مجمع البيان في تفسير القرآن 387/3.

[4]. الآيات الشريفة : آل عمران 28 و غافر 28 .

الفصل الرابع
ما أدّب به آل البيت شيعتهم

1. تمهيد
2. عقيدتنا في الدعاء
3. أدعية الصحيفة السجّاديّة
4. عقيدتنا في زيارة القبور
5. عقيدتنا في معنى التشيّع عند آل البيت عليهم السلام
6. عقيدتنا في الجور والظلم
7. عقيدتنا في التعاون مع الظالمين
8. عقيدتنا في الوظيفة في الدولة الظالمة
9. عقيدتنا الدعوة إلى الوحدة الاسلامية
10. عقيدتنا حق المسلم على المسلم

1. تمهيد

إنّ الأئمّة من آل البيت عليهم السلام علموا من ذي قبل أنّ دولتهم لن تعود إليهم في حياتهم، وأنّهم وشيعتهم سيبقون تحت سلطان غيرهم ممّن يرى ضرورة مكافحتهم بجميع وسائل العنف والشدّة.

فكان من الطبيعي - من جهة - أن يتّخذوا التكّتم «التقيّة» ديناً وديدناً لهم ولأتباعهم، ما دامت التقيّة تحقن من دمائهم، ولا تسيء إلى الآخرين ولا إلى الدين، ليستطيعوا البقاء في هذا الخضم العجّاج بالفتن، والثائر على آل البيت بالإحن[1].

وكان من اللازم بمقتضى امامتهم - من جهة أُخرى - أن ينصرفوا إلى تلقين أتباعهم أحكام الشريعة الاسلامية، وإلى توجيههم توجيهاً دينيّاً صالحاً، وإلى أن يسلكوا بهم مسلكاً اجتماعياً مفيداً؛ ليكونوا مثال المسلم الصحيح العادل.

وطريقة آل البيت في التعليم لا تحيط بها هذه الرسالة، وكتب الحديث الضخمة متكفلة بما نشروه من تلك المعارف الدينية، غير أنّه لا بأس أن نشير هنا إلى بعض ما يشبه أن يدخل في باب العقائد فيما يتعلَّق بتأديبهم لشيعتهم بالآداب التي تسلك بهم المسلك الاجتماعي المفيد، وتقرِّبهم زلفى إلى الله تعالى، وتطهِّر صدورهم من درن الآثام والرذائل، وتجعل منهم عدولاً صادقين.

وقد تقدّم الكلام في التقيّة التي هي من تلك الآداب المفيدة اجتماعياً لهم، ونحن ذاكرون هنا بعض ما يعنُّ لنا من هذه الآداب.

---

[1]. الشدائد.

2. عقيدتنا في الدعاء[1]

قال النبي صلى الله عليه وآله : «الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السموات والأرض»[2] وكذلك هو، أصبح من خصائص الشيعة التي امتازوا بها، وقد ألّفوا في فضله وآدابه، وفي الأدعية المأثورة عن آل البيت ما يبلغ عشرات الكتب؛ من مطوّلة ومختصرة، وقد أُودع في هذه الكتب ما كان يهدف إليه النبي وآل بيته صلى الله عليهم وسلّم من الحث على الدعاء، والترغيب فيه، حتى جاء عنهم: «أفضل العبادة الدعاء»[3] و«أحب الأعمال إلى الله عزّ وجّل في الأرض الدعاء»[4] .

بل ورد عنهم: «إن الدعاء يردّ القضاء والبلاء»، وأنّه «شفاء من كل داء»[5] .

وقد ورد أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان رجلاً دعّاءً [6]أي كثير الدعاء، وكذلك ينبغي أن يكون وهو سيِّد الموحِّدين، وإمام الالهيين.

وقد جاءت أدعيته كخطبه آية من آيات البلاغة العربية، كدعاء كميل ابن زياد المشهور[7]، وقد تضمَّنت من المعارف الالهية، والتوجيهات الدينية ما يصلح أن تكون منهجاً رفيعاً للمسلم الصحيح.

---

[1]. الدعاء هو طلبٌ من العبد من ربّه وتضرّعٌ واستغاثة به مع ما في ذلك من إظهار للضعف والإفتقار وهو عبادة القلب ويقظة الروح.

[2]. الكافي 339/2.

[3]. الكافي 338/2.

[4]. الكافي 339/2.

[5]. الكافي 341/2 – 341/2

[6]. الكافي 339/2.

[7]. أي الدعاء الذي علّمه أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد النخعي رحمه الله .وهو الدعاء المسمى بدعاء الخضر عليه السلام، وسمي بدعاء كميل لأنّ كميل بن زياد ـ الذي هو من خواص الامام أمير المؤمنين وخواص الامام الحسن عليه السلام ـ هو الذي رواه عن الإمام علي عليه السلام ، وقال أنّه كان يدعو به ساجداً في ليلة النصف من شعبان.

وفي الحقيقة، إنّ الأدعية الواردة عن النبي وآل بيته عليهم الصلاة والسلام خير منهج للمسلم إذا تدبَّرها؛ تبعث في نفسه قوّة الايمان والعقيدة، وروح التضحية في سبيل الحق، وتعرِّفه سرَّ العبادة، ولذّة مناجاة الله تعالى والانقطاع إليه، وتلقِّنه ما يجب على الانسان أن يعلمه لدينه، وما يقرِّبه إلى الله تعالى زلفى، ويبعده عن المفاسد والأهواء والبدع الباطلة.

وبالاختصار؛ إنّ هذه الأدعية قد أُودعت فيها خلاصة المعارف الدينية من الناحية الخلقية والتهذيبية للنفوس، ومن ناحية العقيدة الاسلامية، بل هي من أهم مصادر الآراء الفلسفية، والمباحث العلمية في الالهيات والاخلاقيات.[1]

ويستحب قراءة هذا الدعاء في كل ليلة جمعة، أو في الشهر مرة، أو في السنة مرة، أو في العمر مرة.

راجع: مصباح المجتهد: ٨٤٤، المصباح للكفعمي: ٢/ ٢٨٢.

جاء في فضل دعاء كميل أن الإمام علي (ع) قال: " **اجلس يا كميل، إذا حفظت هذا الدعاء فادع به كل ليلة جمعة أو في الشهر مرة أو في السنة مرة أو في عمرك مرة تكف وتنصر وترزق ولن تعدم المغفرة، يا كميل أوجب لك طول الصحبة لنا ان نجود لك بما سألت، ثم قال: اكتب: اللهم إني أسألك برحمتك التي وسعت كل شيء"**... إلى آخر الدعاء . **إقبال الأعمال للسيد بن طاووس 331/3.**

[1]. جاء عن النبي (ص) : **"إن الحذر لا ينجي من القدر ولكن يُنجي من القدر الدعاء فتقدّموا في الدعاء قبل أن ينزل بكم البلاء ، إن الله يدفع بالدعاء ما نزل من البلاء وما لم ينزل" . الدعوات 284.**

وعنه (ص):**" إن الله يحبّ الملحّين في الدعاء ". الدعوات 20**

وعنه (ص) : **"إن أعجز الناس من عجز عن الدعاء ، وإن أبخل الناس من بخل بالسلام ". آمالي الطوسي 85**

وعن أمير المؤمنين علي (ع) : **"أكثر من الدعاء تسلم من سَورة الشيطان". البحار 9/75**

وعن الصادق (ع) : **" إذا أُلهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير" . الكافي 471/2.**

وعنه (ع) : **"إن الدعاء في الرخاء يستخرج الحوائج في البلاء" . الكافي 472/2.**

ولو استطاع الناس ـ وما كلّهم بمستطيعين ـ أن يهتدوا بهذا الهدى الذي تثيره هذه الأدعية في مضامينها العالية، لما كنت تجد من هذه المفاسد ـ المثقلة بها الارض ـ أثراً، ولحلّقت هذه النفوس المكبَّلة بالشرور في سماء الحق حرّة طليقة، ولكن أنّى للبشر أن يصغي إلى كلمة المصلحين والدعاة إلى الحق، وقد كشف عنهم قوله تعالى:(إنَّ النَّفسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) ' (وَمَا أَكَثرُ النَّاسِ وَلَو حَرَصتَ بمُؤمِنينَ)[1].

نعم، إنّ ركيزة السوء في الانسان اغتراره بنفسه، وتجاهله لمساوئه، ومغالطته لنفسه في أنّه يُحسن صنعاً فيما اتّخذ من عمل، فيظلم ويتعدّى، ويكذب ويراوغ، ويطاوع شهواته ما شاء له هواه، ومع ذلك يخادع نفسه أنّه لم يفعل إلاّ ما ينبغي أن يفعل، أو يغضّ بصره متعمداً عن قبيح ما يصنع، ويستصغر خطيئته في عينه.[2]

وهذه الأدعية المأثورة التي تُستمدّ من منبع الوحي تجاهد أن تحمل الانسان على الاختلاء بنفسه، والتجرّد إلى الله تعالى، لتلقّنه الاعتراف بالخطأ، وأنّه المذنب الذي يجب عليه الانقطاع إلى الله تعالى لطلب التوبة والمغفرة، ولتلمّسه مواقع الغرور والاجترام في نفسه، ومثل أن يقول الداعي من دعاء كميل بن زياد:

«إلهي ومَولاي! أجْريتَ عليَّ حُكماً اتَّبعتُ فيهِ هوى نفسِي، وَلمْ أحتَرسْ فيهِ منْ تَزْيينِ عدوِّي، فغرَّني بِما أهوى، وَأسعدهُ على ذلكَ القضاءُ، فتجاوزتُ بما جرى عليَّ منْ ذلك بعضَ حدودِكَ، وخالفتُ بعضَ أوامرِكَ »[3].

---

[1]. سورة يوسف 53 و 103

[2]. عن الإمام علي (ع) :" **... وأخفى سخطه في معصيته فلا تستصغرنّ شيئاً من معصيته"** .. **الخصال 209**

[3]. مُقتطف من دعاء كميل بن زياد.

ولا شكّ أنّ مثل هذا الاعتراف في الخلوة أسهل على الانسان من الاعتراف علانية مع الناس، وإن كان من أشق أحوال النفس أيضاً، وإن كان بينه وبين نفسه في خلواته، ولو تمّ ذلك للانسان فله شأن كبير في تخفيف غلواء[1] نفسه الشريرة، وترويضها على طلب الخير.

ومن يريد تهذيب نفسه لا بدَّ أن يصنع لها هذه الخلوة، والتفكير فيها بحرية لمحاسبتها، وخير طريق لهذه الخلوة والمحاسبة أن يواظب على قراءة هذه الأَدعية المأثورة التي تصل بمضامينها إلى أغوار النفس؛ مثل أن يقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي[2] رضوان الله تعالى عليه:

« أيْ ربِّ! جلّلني بسترِكَ، واعفُ عنْ توبيخِي بكرم وجهِكَ! ».

فتأمّل كلمة «جلّلني..»؛ فإنّ فيها ما يثير في النفس رغبتها في كتم ما تنطوي عليه من المساوئ؛ ليتنبّه الانسان إلى هذه الدخيلة فيها، ويستدرجه إلى أن يعترف بذلك حين يقرأ بعد ذلك:

«فلو اطّلعَ اليومَ على ذنبِي غيرُكَ ما فعلتُه، ولو خفتُ تعجيلَ العقوبةِ لاجْتنبتُه».

وهذا الاعتراف بدخيلة النفس، وانتباهه إلى الحرص على كتمان ما عنده من المساوئ يستثيران الرغبة في طلب العفو والمغفرة من الله تعالى؛ لئلاّ يُفتضح عند الناس لو أراد الله أن يعاقبه في الدنيا أو الآخرة على أفعاله، فيلتذ الانسان ساعتئذٍ بمناجاة السر، وينقطع إلى الله تعالى، ويحمده أنّه حلم عنه وعفا عنه بعد المقدرة فلم يفضحه؛ إذ يقول في الدعاء بعدما تقدّم:

«فَلَكَ الحمدُ على حلمِكَ بعدَ علمِكَ، وعلى عفوِكَ بعدَ قُدرتِكَ»

[1]. غلو ومبالغة بالشر والجنوح نحو الذنوب.

[2]. وهو الدعاء الذي رواه ابو حمزة الثمالي عن الامام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام ، حيث قال: إنّه كان يصلي عامّة الليل في شهر رمضان فإذا كان السحر دعا بهذا الدعاء.

مصباح المتهجد: ٥٨٢، المصباح للكفعمي: ٣٤٥/٢.

ثمّ يوحي الدعاء إلى النفس سبيل الاعتذار عمّا فرط منها على أساس ذلك الحلم والعفو منه تعالى؛ لئلاّ تنقطع الصلة بين العبد وربّه، ولتلقين العبد أنّ عصيانه ليس لنكران الله واستهانة بأوامره؛ إذ يقول:

« ويحملُني ويجرِّئني على معصيَتِكَ حلمُكَ عنّي، ويدعوني إلى قلّةِ الحياءِ سترُكَ عليَّ، ويسرِّعني إلى التوثُّبِ على محارِمِكَ معرفَتِي بسَعِة رحمتِكَ وعظيمِ عفوِكَ ».

وعلى أمثال هذا النمط تنهج الأدعية في مناجاة السرّ؛ لتهذيب النفس، وترويضها على الطاعات، وترك المعاصي.

ولا تسمح الرسالة هذه بتكثير النماذج من هذا النوع، وما أكثرها.

ويعجبني أن أورد بعض النماذج من الأدعية الواردة بأسلوب الاحتجاج مع الله تعالى لطلب العفو والمغفرة، مثل ما تقرأ في دعاء كميل بن زياد:

« وليتَ شِعري يا سيّدِي ومولايَ، أتسلِّطُ النارَ على وجوهٍ خرَّتْ لعظمتِكَ ساجدةً، وعلى ألسُنٍ نطقتْ بتوحيدِكَ صادَقةً، وبشكرِكَ مادِحةً، وعلى قلوبٍ اعترفَتْ بالهيّتِك محقِّقةً، وعلى ضمائِرَ حوتْ مِنَ العلمِ بكَ حتّى صارتْ خاشعَةً، وعلى جوارحَ سعَتْ إلى أوطانِ تعبُّدِكَ طائعةً، وأشارتْ باستغفارِكَ مذعنةً؟! ما هكذا الظنُّ بكَ، ولا أُخبرنَا بفضلِكَ ».

كرّر قراءة هذه الفقرات، وتأمّل في لطف هذا الاحتجاج وبلاغته وسحر بيانه؛ فهو في الوقت الذي يوحي للنفس الاعتراف بتقصيرها وعبودّيتها، يلقّنها عدم اليأس من رحمة الله تعالى وكرمه، ثم يكلِّم النفس بابن عم الكلام، ومن طرف خفي؛ لتلقينها واجباتها العليا؛ إذ يفرض فيها أنّها قد قامت بهذه الواجبات كاملة، ثمّ يعلّمها أنّ الانسان بعمل هذه الواجبات يستحق التفضل من ألله بالمغفرة، وهذا ما يشوّق المرء إلى أن يرجع إلى نفسه فيعمل ما يجب أن يعمله إن كان لم يؤدّ تلك الواجبات.

ثمّ تقرأ اسلوباً آخر من الاحتجاج من نفس الدعاء:

« فهبنِي يا إلهي وسيِّدي وربِّي صبرْتُ على عذابِكَ فكيفَ أصبرُ على فراقِكَ! وهبْني يا إلهي صبرْتُ على حرِّ نارِكَ فكيفَ أصبرُ عن النظرِ إلى كرامَتِكَ! ».

وهذا تلقين للنفس بضرورة الالتذاذ بقرب الله تعالى، ومشاهدة كرامته وقدرته؛ حبّاً له، وشوقاً إلى ما عنده، وبأنّ هذا الالتذاذ ينبغي أن يبلغ من الدرجة على وجه يكون تأثير تركه على النفس أعظم من العذاب وحرّ النار، فلو فرض أنّ الانسان تمكَّن من أن يصبر على حر النار فإنّه لا يتمكَّن من الصبر على هذا الترك، كما تُفهمنا هذه الفقرات أنّ هذا الحب والالتذاذ بالقرب من المحبوب المعبود خير شفيع للمذنب عند الله لأن يعفو ويصفح عنه.

ولا يخفى لطف هذا النوع من التعجُّب والتملُّق إلى الكريم الحليم قابل التوب وغافر الذنب.

ولا بأس في أن نختم بحثنا هذا بإيراد دعاء مختصر جامع لمكارم الأخلاق، ولما ينبغي لكلّ عضو من الانسان وكلّ صنف منه أن يكون عليه من الصفات المحمودة:

« اللّهُمَّ ارزُقنا توفيقَ الطاعةِ، وبعدَ المعصيةِ، وصدقَ النيّةِ، وعرفانَ الحرمةِ.

وأكرِمْنا بالهدَى والاستقامةِ، وسدِّد ألسنتَنا بالصواب والحكمة، واملأ قلوبنا بالعلم والمعرفة، وطهِّر بطوننا من الحرام والشبهةِ، واكفُفْ أيدِيَنا عنْ الظلم والسرقِة، واغضضْ أبصارَنا عنْ الفجورِ والخيانةِ، واسدُدْ أسماعَنا عنْ اللغوِ والغيبةِ.

وتفضّلْ على علمائِنا بالزهدِ والنصيحةِ، وعلى المتعلِّمينَ بالجُهدِ والرغبةِ، وعلى المستمعينَ بالاتِّباع والموعظةِ.

وعلى مرضَى المسلمينَ بالشفاءِ والراحةِ، وعلى موتاهُمْ بالرأفةِ والرحمةِ.

وعلى مشايخِنا بالوقارِ والسكينةِ، وعلى الشباب بالإنابةِ والتوبةِ، وعلى النساءِ بالحياءِ والعفَّةِ، وعلى الأَغْنياءِ بالتواضُعِ والسعَةِ، وعلى الفقراءِ بالصبرِ والقناعةِ.

وعلى الغزاةِ بالنصرِ والغلبةِ، وعلى الأُسَراءِ بالخلاصِ والراحَةِ، وعلى الأُمَراءِ بالعدلِ والشفقَةِ، وعلى الرعيّةِ بالإنصافِ وحسنِ السيرةِ.

وباركْ للحجَّاجِ والزوَّارِ في الزادِ والنفقةِ، واقضِ ما أوجبْتَ عليهِمْ منَ الحجِّ والعمرةِ.

بفضلِكَ ورحمتِكَ يا أرحَمَ الراحمينَ »[1] .

وإنّي لموصٍ اخواني القرّاء ألاّ تفوتهم الاستفادة من تلاوة هذه الأَدعية، بشرط التدبُّر في معانيها ومراميها، وإحضار القلب والإقبال والتوجه إلى الله بخشوع وخضوع، وقراءتها كأنّها من إنشائه للتعبير بها عن نفسه، مع اتّباع الآداب التي ذكرت لها من طريقة آل البيت؛ فإنّ قراءتها بلا توجّه من القلب صرف لقلقة في اللسان، لا تزيد الانسان معرفة، ولا تقرِّبه زلفى، ولا تكشف له مكروباً، ولا يُستجاب معه له دعاء.

«إن الله عزّ وجلّ لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك ثمّ استيقن بالاجابة»[2].

---

[1]. البلد الأمين 349.

[2]. الكافي 343/2 ح1.

تجدر الإشارة لما في هذه الأدعية المأثورة من الإستفادات الدنيوية والأخروية ومن ضروب التأديب والتصبّر.

3. أدعية الصحيفة السجّادية

بعد واقعة الطف المحزنة [1] وتملُّك بني أُميّة ناصية أمر الأمَّة الاسلامية ـ فأوغلوا في الاستبداد، وولغوا في الدماء، واستهتروا في تعاليم الدين ـ بقي الامام زين العابدين، وسيِّد الساجدين عليه السلام جليس داره محزوناً ثاكلاً، وجليس بيته لا يقربه أحد، ولا يستطيع أن يفضي إلى الناس بما

[1]. وهي الواقعة التي استشهد فيها الامام أبو عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام في العاشر من محرم الحرام من عام ٦١ هجرية، مع صفوة من أهل بيته وأصحابه في طف كربلاء بالعراق، ولم يبق منهم سوى الامام السجاد علي بن الحسين عليهما السلام ، وكانت هذه الحادثة من أفجع ما وقع في صدر التاريخ الاسلامي وأمضّها تأثيراً في تأريخ الأمة، وقد تجسّدت فيها أروع الامثلة للدفاع عن العقيدة والتضحية من أجل المبدأ، وتناول المؤرخون أخبارها بشكل مستفيض، وأما ما قيل فيها من غرر الشعر وروائعه فقد ملأت الكتب والدواوين الشعرية الخاصة بها.

لقد تجسّدت في حياة أئمة أهل البيت عليهم السلام صفحات مشرّفة من تاريخ الامة الإسلامية؛ نظراً للدور القيادي الذي اضطلعوا به، ولم تكن محصّلة الأعمال الجليلة لكل إمام منهم ـ صلوات الله عليهم ـ إلاّ في ضوء سيرة مثلى وحلقات ذهبية تُكمّل إحداها الأخرى؛ فهم من نور واحد.

وقد حاول البعض الكتابة في حياة الامام السجاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام وحصرها في جانب نشاطه العبادي، والحياة الروحية، وتحجيم دوره الاجتماعي والجهادي، بعد إيمانهم بأنّ رسالة الأئمة الأطهارعليهم السلام قد انكفأت عن الواقع بمصرع سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام .

وقد استدلّوا على ذلك بما أُثر عن الإمام السجاد من صحيفته المشهورة في الدعاء (زبور آل محمّد) ورسالته في الحقوق، في الوقت الذي نجد أنّه عليه السلام بالإضافة إلى دوره التعليمي في تربية الطليعة المؤمنة الواعية، وبناء الجماعة الصالحة فقد دلّت الدراسات الدقيقة أنّه (قام بدور سياسي فعّال، وكان له تنظيم وتخطيط دقيق يمكن اعتباره من أذكى الخطط السياسية المتاحة لمثل تلك الظروف.. ممّا يدل على انّ الجهاد السياسي الذي قام به الامام السجاد عليه السلام من أجل تنفيذ خططه يعدّ من أدق أشكال العمل السياسي وانجحها.

وقد افاض العلامة المحقق الحجة السيد محمد رضا الحسيني الجلالي في دراسته الموسومة «جهاد الامام السجاد عليه السلام » ما يفتح الطريق على الدارسين مجدداً لبحث موقف الامام زين العابدين عليه السلام في ضوء ما يصحح الرؤية السابقة.

يجب عليهم، وما ينبغي لهم[1] ، فاضطرّ أن يتّخذ من أسلوب الدعاء ـ الذي قلنا إنّه أحد الطرق التعليمية لتهذيب النفوس ـ ذريعة لنشر تعاليم القرآن، وآداب الاسلام، وطريقة آل البيت، ولتلقين الناس روحية الدين والزهد، وما يجب من تهذيب النفوس والأخلاق.

[1]. وكانت حياة الإمام السجّاد (ع) مليئة بالمعاناة والألم والبكاء على مصاب أبيه (ع) ولكنّه ظلّ صابراً في مواجهة الظلم والقمع الأموي ، وظلّ نبراساً وهّاجاً في الورع والعبادة ، ورافداً زاخراً لإبراز أهداف نهضة والده (ع)، وقد استمرّت إمامته المُباركة لمدة 35 عاماً (المولد المبارك 5 شعبان 38 هجرية والشهادة 25 محرم 95 هجرية) وحياته الشريفة مدة 57 عام فقط، بعد أن أودع في تراث الأمة الإسلامية مظّان رائعة للتعبّد والدعاء كالصحيفة السجّادية ورسالة الحقوق والمناجات الخمسة عشر ، واستشهد مسموماً بأمر الطاغية الوليد بن عبد الملك ودفن في البقيع الغرقد.

وإليك أخي هذه الرواية عن عظيم عبادته وورعه:

روى الاصمعي فقال: بينما انا اطوف بالبيت الحرام ذات ليلة، اذ رايت شابا متعلّقا باستار الكعبة وهو ويقول:

يا مَن يُجيب دُعا المُضطرِ في الظُلَمِ يا كاشِفَ الضَرّ و البلوَى مَع السَقَمِ
قَد نامَ وفدُكَ حَولَ البَيتِ و انتَبَهُوا و أنتَ يا حَيُ يا قَيُوم لَم تَنَمِ
أدعوكَ رَبي حَزيناً هائِماً قَلِقاً فارحَم بُكائيَ بِحق البَيتِ و الحَرَمِ
إن كانَ جُودكَ لا يَرجُوهُ ذو سَفَهٍ فمَن يَجُود على العَاصِينَ بِالكَرَمِ

ثم بكى بكاءا شديدا وانشد يقول:

ألا أيُها المَقصُود في كُلِ حاجة شكوت إليكَ الضُر، فارحَم شِكايتِي
ألا يارجائي أنتَ تكشف كُربَتي فَهَب لي ذُنوبيَ كُلها و إقضِ حاجَتي
أتَيتُ باعمالٍ قِباح كَثيرة و ما في الورى عبدٌ جنى كجِنايَتي
أتحرِقُني بِالنَارِ يا غايةَ المُنَى فأين رَجَائي؟ ثُم أينَ مَخافَتي

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدنوت منه فاذا هو زين العابدين علي بن الامام الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه وقال: من هذا الذي يهجم

وهذه طريقة مُبتكرة له في التلقين، ولا تحوم حولها شبهة المطاردين له، ولا تقوم بها عليه الحجّة لهم، فلذلك أكثر من هذه الأَدعية البليغة، وقد جمعت بعضها «الصحيفة السجادية» التي سميت ب- « زبور آل محمّد »، وجاءت في أسلوبها ومراميها في أعلى أساليب الأَدب العربي، وفي أسمى مرامي الدين الحنيف، وأدق اسرار التوحيد والنبوّة، وأصح طريقة لتعليم الأَخلاق المحمدية، والآداب الاسلامية.

وكانت في مختلف الموضوعات التربوية الدينية، فهي تعليم للدين والأخلاق في أُسلوب الدعاء، أو دعاء في اسلوب تعليم للدين والأخلاق، وهي بحقّ - بعد القرآن، ونهج البلاغة - من أعلى أساليب البيان العربي، وأرقى المناهل الفلسفية في الإلهيات والأخلاقيات:

فمنها ما يعلّمك كيف تمجِّد الله وتقدّسه، وتحمده وتشكره، وتتوب إليه .

ومنها ما يعلِّمك كيف تناجيه، وتخلو به بسرّك، وتنقطع إليه .

ومنها ما يبسط لك معنى الصلاة على نبيّه ورسله وصفوته من خلقه، وكيفيتها.[1]

ومنها ما يفهمك ما ينبغي أن تبرّ به والديك .

ومنها ما يشرح لك حقوق الوالد على ولده، أو حقوق الولد على والده، أو حقوق الجيران، أو حقوق الأَرحام، أو حقوق المسلمين عامّة، أو حقوق الفقراء على الأَغنياء وبالعكس.

علينا؟ قلت: الأصمعي سيدي ما هذا البكاء وهذا وانت من اهل بيت النبوة ومعدن الرساله؟ أليس الله تعالى يقول:((انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا)) ؟ فقال: **"هيهات هيهات يا اصمعي، ان الله خلق الجنّة لمن اطاعه ، ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ،ولو كان سيداً قرشيا أليس الله تعالى يقول:((فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون)) " .بحار الأنوار ج96/ص197..**

[1]. الصحيفة السجّادية : من أدعيته في التحميد لله والثناء عليه ، والتضرّع والاستكانة ، والصلاة على محمد واله وحملِة العرش ومصدقي الرسل.

ومنها [ما] ينبّهك على ما يجب إزاء الديون للناس عليك، وما ينبغي أن تعمله في الشؤون الاقتصادية والمالية، وما ينبغي أن تعامل به أقرانك وأصدقاءك وكافّة الناس، ومن تستعملهم في مصالحك .

ومنها ما يجمع لك بين جميع مكارم الأَخلاق، ويصلح أن يكون منهاجاً كاملاً لعلم الأَخلاق.[1]

ومنها ما يعلّمك كيف تصبر على المكاره والحوادث، وكيف تلاقي حالات المرض والصحّة .

ومنها ما يشرح لك واجبات الجيوش الاسلامية، وواجبات الناس معهم... إلى غير ذلك ممّا تقتضيه الأَخلاق المحمَّدية، والشريعة الاِلهية، وكلّ ذلك باسلوب الدعاء وحده.

والظاهرة التي تطغو على أدعية الامام عدّة أُمور:

الأول:

التعريف بالله تعالى وعظمته وقدرته، وبيان توحيده وتنزيهه بأدق التعبيرات العلمية، وذلك يتكرّر في كلّ دعاء بمختلف الأَساليب، مثل ما تقرأ في الدعاء الأَوّل: «الحمدُ للهِ الأَوَّلِ بلا أوَّلٍ كانَ قبلَهُ، والآخِرُ بلا آخِرٍ يكونُ بعدهُ، الّذي قَصُرتْ عنْ رؤيتِه أبصارُ الناظِرينَ، وعَجَزَتْ عنْ نعْتِهِ أوهامُ الواصِفينَ. ابتدَعَ بقدرتِهِ الخلقَ ابتداعاً، واخترعَهُمْ على مشيئتِهِ اختِراعاً»[2]

فتقرأ دقيق معنى الاول والآخر، وتنزُّه الله تعالى عن أن يحيط به بصر أو وهم، ودقيق معنى الخلق والتكوّين.

ثمّ تقرأ اسلوباً آخر في بيان قدرته تعالى وتدبيره في الدعاء ٦:

« الحمدُ للهِ الَّذي خَلقَ الليلَ والنهارَ بقوَّتِهِ، وميَّز بينهَما بقدرتِهِ، وجعَلَ لكلِّ منهُما حدّاً محدوداً، يُولجُ كلَّ واحدٍ منهما فِي صاحِبه، ويولجُ صاحبَهُ فيهِ، بتقديرٍ منهُ للعبادِ فيما يَغذوهُمْ بِهِ، ويُنشئُهمْ عليهِ، فخلقَ لهمْ الليلَ ليسكُنوا فيهِ من حركاتِ التعبِ ونهضاتِ النصبِ، وجعلَهُ لباساً ليلبسُوا مِنْ

[1]. لاحظ الصحيفة السجادية : دعاؤه لأبويه ، ولولده ولجيرانه وللمعونة على قضاء الدين وفي مكارم الأخلاق.

[2]. دعاؤه حين المرض ولأهل الثغور وللتحميد لله تعالى.

راحَتِهِ ومقامِهِ، فيكونُ ذلكَ لهُمْ جمَاماً وقوَّةً؛ ولِينالُوا بهِ لذَّةً وشهوةً »[1]. إلى آخر ما يذكر من فوائد خلق النهار والليل، وما ينبغي أن يشكره الانسان من هذه النعم.

وتقرأ اسلوباً آخر في بيان أنّ جميع الاَمور بيده تعالى في الدعاء ٧:

« يَا مَنْ تُحَلُّ بهِ عُقدُ المكارِهِ، وَيا منْ يُفثأُ بهِ حدُّ الشدائِدِ، وَيا مَنْ يُلتمَسُ منْهُ المخَرجُ إلى روح الفرَجِ، ذلَّتْ لقدرتِكَ الصعابُ، وتسبَّبَتْ بلطفِكَ الاَسبابُ، وجرَى بقُدرَتِكَ القضاءُ، ومضَتْ على إرادَتِكَ الاَشياءُ، فهي بمشيئَتِكَ دونَ قولِكَ مؤتمرةٌ، وبإرادتِكَ دونَ نهيكَ منزجرةٌ »[2] .

الثاني:

بيان فضل الله تعالى على العبد، وعجز العبد عن أداء حقّه مهما بالغ في الطاعة والعبادة، والانقطاع إليه تعالى، كما تقرأ في الدعاء ٣٧:

« اللّهمَّ إنّ أحداً لا يبلُغُ مِنْ شكرِكَ غايةً إلاّ حصَلَ عليهِ من إحسانِكَ ما يُلزِمُهُ شُكراً، ولا يبلُغُ مبلَغاً من طاعَتِكَ وإنْ اجتهَدَ إلاّ كانَ مقصِّراً دونَ استحقاقِكَ بفضِلكَ، فأشْكَرُ عبادِكَ عاجزٌ عن شكرِكَ، وأعبدُهُمْ مقصِّرٌ عنْ طاعَتِكَ »[3] .

وبسبب عظم نِعم الله تعالى على العبد التي لا تتناهى يعجز عن شكره، فكيف إذا كان يعصيه مجترئاً، فمهما صنع بعدئذ لا يستطيع أن يكفِّر عن معصية واحدة، وهذا ما تصوّره الفقرات الآتية من الدعاء ١٦:

« يَا إلهي لَوْ بكيْتُ إليكَ حتّى تسقُطَ أشفارُ عينَيّ، وانتحبْتُ حتّى ينقطعَ صوتِي، وقمْتُ لكَ حتّى تتنشّرَ قدَمايَ، وركعتُ لكَ حتّى ينخلعَ صُلبي، وسجدتُ لكَ حتّى تتفقّأَ حدقتايَ، وأكلتُ ترابَ الاَرضِ طولَ عمرِي، وشربتُ ماءَ الرمادِ آخرَ دهرِي، وذكرتُكَ في خلالِ ذلكَ حتّى يكلَّ لساني،

[1]. دعاؤه عند الصباح والمساء.

[2]. دعاؤه عند الكرب.

[3]. دعاء اعترافه (ع) بالتقصير في الشكر.

ثمّ لمْ أرفعْ طرفِي إلى آفاقِ السماءِ استحياءً منكَ، ما استوجبتُ بذلكَ محوَ سيِّئةٍ واحدةٍ منْ سيّئاتي »[1]

الثالث:

التعريف بالثواب والعقاب، والجنة والنار، وأنّ ثواب الله تعالى كلّه تفضُّل، وأنّ العبد يستحق العقاب منه بأدنى معصية يجترئ بها، والحجّة عليه فيها لله تعالى.

وجميع الأَدعية السّجادية تلهج بهذه النغمة المؤثّرة؛ للايحاء إلى النفس الخوف من عقابه تعالى، والرجاء في ثوابه، وكلها شواهد على ذلك بأساليبها البليغة المختلفة التي تبعث في قلب المتدبّر الرعب والفزع من الإِقدام على المعصية، مثل ما تقرأ في الدعاء ٤٦:

« حجّتكَ قائمةٌ لا تُدْحضُ، وسلطانكَ ثابتٌ لا يزولُ، فالويلُ الدائمُ لمنْ جنحَ عنكَ، والخيبةُ الخاذلةُ لمنْ خابَ منكَ، والشقاءُ الأَشقى لمنْ اغترَّ بكَ. ما أكثرَ تصرّفَهُ في عذابِكَ، وما أطولَ تردُّدَه في عقابِكَ، وما أبعدَ غايتَه من الفرج، وما أقنطَهُ من سهولَةِ المخرج؛ عدلاً من قضائِكَ لا تجوز فيهِ، وإنصافاً منْ حكمكَ لا تحيفُ عليهِ، فقد ظاهرتَ الحججَ، وأبليت الأَعذارَ.. »[2] .

ومثل ما تقرأ في الدعاء ٣١:

« اللّهمَّ فارحمْ وحدتِي بينَ يديكَ، ووجيبَ قلبي منْ خشيتِكَ، واضطرابَ أركاني من هيبتكَ؛ فقدْ أقامتْني - يا ربِّ - ذنوبي مقامَ الخِزي بفنائِكَ، فإنْ سكتُّ لمْ ينطقْ عنّي أحدٌ، وإن شفعتُ فلستُ بأهلِ الشفاعةِ »[3].

ومثل ما تقرأ في الدعاء ٣٩:

---

[1]. دعاؤه اذا استقال من ذنوبه او طلب العفو.

[2]. من دعائه في يوم الفطر إذا انصرف من صلاته وفي يوم الجمعة.

[3]. من دعائه في طلب التوبة.

« فإنَّكَ إنْ تكافني بالحقّ تهلكني، وإلاّ تغَمَّدْني برحمتكَ توبقْني... وأستحمِلك منْ ذنوبي ما قدْ بهظَني حملُهُ، واستعينُ بكَ على ما قدْ فدحني ثقلُه، فصلِّ على محمّدٍ وآلهِ، وهبْ لِنفسِي على ظلمِها نفسي، ووَكِّلْ رحمتكَ باحتمالِ إصري... »* .

الرابع:

سوق الداعي بهذه الأدعية الى الترفّع عن مساوئ الأفعال وخسائس الصفات؛ لتنقية ضميره، وتطهير قلبه، مثل ما تقرأ في الدعاء ٢٠:

« اللّهمَّ وفِّرْ بلطفك نيّتي، وَصَحِّحْ بما عندكَ يقيني، واستصلِحْ بقدرتكَ ما فسدَ منّي...

«اللّهمَّ صلِّ على محمّدٍ وآلِ محمّد ومتِّعني بهدىً صالحٍ لا استبدلُ به، وطريقةِ حقٍّ لا أزيغُ عنها، ونيّةِ رشدٍ لا أشكُّ فيها.

اللّهمَّ لا تدعْ خصلةً تُعابُ منّي إلاّ أصلحتَها، ولا عائبةً أؤنَّبُ بها إلاّ حسَّنتَها، ولا أكرومةً فيَّ ناقصةً إلاّ أتممتَها »[1].

الخامس:

الإيحاء إلى الداعي بلزوم الترفُّع عن الناس وعدم التذلّل لهم، وألاّ يضع حاجته عند أحد غير الله، وأنّ الطمع بما في أيدي الناس من أخسِّ ما يتّصف به الإنسان، مثل ما تقرأ في الدعاء ٢٠:

« ولا تفتنِّي بالاستعانةِ بغيركَ إذا اضطررتُ، ولا بالخشوع لسؤالِ غيركَ إذا افتقرتُ، ولا بالتضرُّع إلى منْ دونكَ إذا رهبتُ، فأستحقَّ بذلكَ خذلانَكَ ومنعَكَ واعراضَكَ »

ومثل ما تقرأ في الدعاء ٢٨:

« اللّهمَّ إنّي أخلصتُ بانقطاعي إليكَ وصرفتُ وجهي عمَّنْ يحتاجُ إلى رفدكَ، وقلبتُ مسألتي عمّنْ لمْ يستغن عن فضلكَ، ورأيتُ أنّ طلبَ المحتاجِ إلى المحتاجِ سفةٌ من رأيهِ، وضلَّةٌ من عقلِهِ».

ومثل ما تقرأ في الدعاء ١٣:

---

[1]. دعاؤه في مكارم الأخلاق و * دعاؤه في طلب العفو

« فَمنْ حاوَلَ سدّ خلّتِهِ من عندِكَ، ورامَ صرفَ الفقرَ عَنْ نفسِهِ بكَ، فقدْ طلبَ حاجَتَه في مظانِّها، وأتى طلبتَهُ من وجِهها. ومنْ توجَّهَ بحاجتِهِ إلى أحدٍ منْ خلقِكَ، أو جعلَهُ سببَ نُجحِها دونَك، فقدْ تعرَّضَ للحرمانِ، واستحقَّ منكَ فوتَ الاحسانِ »[1].

السادس:

تعليم الناس وجوب مراعاة حقوق الآخرين، ومعاونتهم، والشفقة والرأفة من بعضهم لبعض، والايثار فيما بينهم، تحقيقاً لمعنى الأخوّة الاسلامية، مثل ما تقرأ في الدعاء ٣٨:

« اللّهمَّ إنّي أعتذرُ إليكَ منْ مظلومٍ ظُلِمَ بحضرتي فَلمْ أنصرْهُ، ومِنْ معروفٍ أُسديَ إليَّ فلمْ أشكْرهُ، ومِنْ مسيءٍ اعتذرَ إليَّ فلمْ أعذرْهُ، ومِنْ ذِي فاقةٍ سألني فلمْ أؤثرْهُ، ومِنْ حقِّ ذي حقٍّ لزمني لمؤمنٍ فلمْ أوفِّرْهُ، ومِنْ عيب مؤمنٍ ظهرَ لي فلمْ أسْترْهُ.. »* إنّ هذا الاعتذار من أبدع ما ينبِّه النفس إلى ما ينبغي عمله من هذه الأَخلاق الإِلهية العالية.

وفي الدعاء ٣٩ ما يزيد على ذلك؛ فيعلِّمك كيف يلزمك أن تعفو عمَّن أساء إليك، ويحذِّرك من الانتقام منه، ويسمو بنفسك إلى مقام القدّيسين:

« اللّهمَّ وأيُّما عبدٍ نالَ منّي ما حظرتَ عليهِ، وانتهكَ منِّي ما حجرتَ عليهِ، فمضَى بظلامتِي ميّتاً، أو حصلتْ لي قِبَلَهُ حَيّاً، فاغفرْ لَهُ ما ألمَّ بهِ منِّي، واعفُ لهُ عمّا أدبرَ بهِ عنِّي، ولا تقفهُ على ما ارتكبَ فيَّ، ولا تكشفهُ عمّا اكتسبَ بي، واجعلْ ما سمحتُ بهِ منَ العفوِ عنهمْ، وتبرَّعتُ من الصدقةِ عليهمْ أزكى صدقاتِ المتصدِّقينَ، وأعلى صِلاتِ المتقرِّبينَ، وعوِّضني منْ عفْوي عنهُمْ عفوَكَ، ومنْ دعائِي لهمْ رحمتَكَ؛ حتّى يسعَدَ كلُّ واحدٍ منّا بفضلِكَ »[2] .

---

[1]. دعاؤه في مرضيّ الأفعال وطلب العفو وطلب الحوائج إلى الله.

[2]. الدعاء (٣٨): من دعائه عليه السلام في الاعتذار من تبعات العباد، ومن التقصير في حقوقهم، وفي فكاك رقبته من النار.

الدعاء (٣٩): من دعائه عليه السلام في طلب العفو والرحمة

وما أبدع هذه الفقرة الأخيرة، وما أجمل وقعها في النفوس الخيِّرة؛ لتنبيهها على لزوم سلامة النيّة مع جميع الناس، وطلب السعادة لكلّ أحد حتّى من يظلمه ويعتدي عليه. ومثل هذا كثير في الأدعية السجادية، وما أكثر ما فيها من هذا النوع من التعاليم السماوية المهذِّبة لنفوس البشر لو كانوا يهتدون.

4. عقيدتنا في زيارة القبور[1]

وممّا امتازت به الامامية العناية بزيارة القبور - قبور النبي والأئمّة عليهم الصلاة والسلام - وتشييدها، وإقامة العمارات الضخمة عليها، ولأجلها يضحُّون بكلّ غال ورخيص، عن إيمان وطيب نفس.

ومردّ كلّ ذلك إلى وصايا الأئمّة، وحثِّهم شيعتهم على الزيارة، وترغيبهم فيما لها من الثواب الجزيل عند الله تعالى[2]؛ باعتبار أنّها من أفضل الطاعات والقربات بعد العبادات الواجبة، وباعتبار أنّ هاتيك القبور من خير المواقع لاستجابة الدعاء والانقطاع إلى الله تعالى.

وجعلوها أيضاً من تمام الوفاء بعهود الائمّة؛ إذ «أنّ لكل إمام عهداً في عنق أوليائه وشيعته، وإنّ من تمام الوفاء بالعهد، وحسن الأَداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم، وتصديقاً بما رغبوا فيه، كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة»[3].

---

[1]. هناك الكثير من النصوص التي تؤكد المطلوبية الكبيرة لزيارة قبور النبي (ص) والأئمة (ع) ، وبركات التوسّل بها لقضاء الحوائج وللزلفى عند الله تعالى وأنقل لكم على سبيل المثال أحاديث تدلّ بالحد الأدنى على المشروعية مثل:

- عن رسول الله (ص): **"من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غُفر له وكُتب برّاً". (مستدرك الوسائل 365/2).**
- عن أمير المؤمنين علي (ع): **"أتمّوا برسول الله (ص) حجّكم إذا خرجتم إلى بيت الله فإن تركه جفاء وبذلك أُمرتم وأتموا بالقبور التي ألزمكم الله حقّها وزيارتها واطلبوا الرزق عندها." (الخصال 616)**
- عن الصادق (ع) : **"إذا نظرت الى القبر فقل اللهم اجعلها روضة من رياض الجنّة ولا تجعلها حفرة من حفر النيران ". (البحار 57/79).**

إذا كانت زيارة الأبوين أو احدهما تورث الغفران والبرّ فكيف بزيارة النبي وأهل بيته (ص)، وهذا ما ألزم الله تعالى عباده وأمر الإمام بطلب الرزق عندهم خير ما يؤدي للمطلوب.

[2]. لمزيد من الإطلاع نراجع كتاب كامل الزيارات فقد ورد فيه أحاديث تصف فيه ثواب زيارة الرسول (ص) والأئمة (ع).

[3]. الإمام الرضا (ع) – كامل الزيارات 122/ باب 44، ثواب من زار الحسين (ع)

وفي زيارة القبور من الفوائد الدينية والاجتماعية ما تستحقّ العناية من أئمتنا؛ فإنّها في الوقت الذي تزيد من رابطة الولاء والمحبة بين الأئمة وأوليائهم، وتجدّد في النفوس ذكر مآثرهم وأخلاقهم وجهادهم في سبيل الحق، تجمع في مواسمها أشتات المسلمين المتفرّقين على صعيد واحد؛ ليتعارفوا ويتآلفوا، ثمّ تطبع في قلوبهم روح الانقياد إلى الله تعالى، والانقطاع إليه، وطاعة أوامره، وتلقِّنهم في مضامين عبارات الزيارات البليغة الواردة عن آل البيت حقيقة التوحيد والاعتراف بقدسيّة الاسلام والرسالة المحمّدية، وما يجب على المسلم من الخلق العالي الرصين، والخضوع إلى مدِّبر الكائنات، وشكر آلائه ونعمه، فهي من هذه الجهة تقوم بنفس وظيفة الأدعية المأثورة التي تقدَّم الكلام عليها.

بل بعضها يشتمل على أبلغ الأدعية وأسماها، كزيارة (أمين الله) وهي الزيارة المرويّة عن الامام زين العابدين عليهالسلام حينما زار قبر جدّه أمير المؤمنين عليهالسلام [1] .

كما تفهم هذه الزيارات المأثورة مواقف الائمّة عليهمالسلام وتضحياتهم في سبيل نصرة الحق، واعلاء كلمة الدين، وتجرُّدهم لطاعة الله تعالى، وقد وردت بأسلوب عربي جزل، وفصاحة عالية، وعبارات سهلة يفهمها الخاصّة والعامّة، وهي محتوية على أسمى معاني التوحيد ودقائقه، والدعاء والابتهال اليه تعالى.

فهي بحق من أرقى الأدب الديني بعد القرآن الكريم ونهج البلاغة والأدعية المأثورة عنهم؛ إذ أودعت فيها خلاصة معارف الأئمّة عليهمالسلام فيما يتعلَّق بهذه الشؤون الدينية والتهذيبية.

ثمّ إنّ في آداب الزيارة أيضاً من التعليم والارشاد ما يؤكِّد من تحقيق تلك المعاني الدينية السامية، من نحو رفع معنوية المسلم، وتنمية روح العطف على الفقير، وحمله على حسن العشرة والسلوك، والتحبّب إلى مخالطة الناس؛ فإنّ من آدابها ما ينبغي أن يصنع قبل البدء بالدخول في المرقد المطهَّر وزيارته.

---

[1]. راجع كامل الزيارات 39 باب 11 زيارة قبر الأمير (ع)

ومنها ما ينبغي أن يصنع في اثناء الزيارة وفيما بعد الزيارة، ونحن هنا نعرض بعض هذه الآداب؛ للتنبيه على مقاصدها التي قلناها:

من آدابها:

١ ـ أن يغتسل الزائر قبل الشروع بالزيارة ويتطهَّر وفائدة ذلك فيما نفهمه واضحة، وهي ان ينظِّف الانسان بدنه من الاَوساخ؛ ليقيه من كثير من الاَمراض والاَدواء، ولئلاّ يتأفّف من روائِحه الناس وأن يطهِّر نفسه من الرذائل.

وقد ورد في المأثور أن يدعو الزائر بعد الانتهاء من الغسل؛ لغرض تنبيهه على تلكم[1] الأهداف العالية فيقول: « اللّهُمَّ اجعلْ لِي نوراً وطهوراً، وحِرْزاً كافياً منْ كلِّ داءٍ وسقَمٍ، ومنْ كلِّ آفةٍ وعاهةٍ، وطهِّرْ بهِ قلبي وجوارِحِي، وعظامِي ولحمِي ودمِي، وشعرِي وبشري ومخِّي وعظمِي، ومَا أقلَّتْ الاَرضُ منِّي، واجْعلْ لِي شاهِداً يومَ حاجَتي، وفقْرِي وفاقَتِي »[2] .

٢ ـ أن يلبس أحسن وأنظف ما عنده من الثياب[3]؛ فإنّ في الأناقة في الملبس في المواسم العامّة ما يحبّب الناس بعضهم إلى بعض، ويقرِّب بينهم، ويزيد في عزّة النفوس والشعور بأهميّة الموسم الذي يشترك فيه.

وممّا ينبغي أن نلفت النظر إليه في هذا التعليم أنّه لم يفرض فيه أن يلبس الزائر أحسن الثياب على العموم، بل يلبس أحسن ما يتمكَّن عليه؛ إذ ليس كل أحد يستطيع ذلك، وفيه تضييق على الضعفاء لا تستدعيه الشفقة، فقد جمع هذا الاَدب بين ما ينبغي من الاَناقة، وبين رعاية الفقير وضعيف الحال.

٣ ـ أن يتطيَّب ما وسعه الطيب، وفائدته كفائدة أدب لبس أحسن الثياب.

---

[1]. تلكّم يعني جمع وأحرز.

[2]. كامل الزيارات 184 باب 75.

[3]. كامل الزيارات 186 باب 75 – من اغتسل في الفرات وزار الحسين (ع).

٤ ـ أن يتصدَّق على الفقراء بما يعنَّ له أن يتصدَّق به، ومن المعلوم فائدة التصدُّق في مثل هذه المواسم، فإنّ فيه معاونة المعوزين، وتنمية روح العطف عليهم.

٥ ـ أن يمشي على سكينة ووقار غاضّاً من بصره، وواضح ما في هذا من توقير للحرم والزيارة، وتعظيم للمزور، وتوجّه إلى الله تعالى، وانقطاع إليه، مع ما في ذلك من اجتناب مزاحمة الناس ومضايقتهم في المرور، وعدم إساءة بعضهم إلى بعض.

٦ ـ أن يكبِّر بقول: «الله أكبر» ويكرّر ذلك ما شاء، وقد تُحدَّد في بعض الزيارات إلى أن تبلغ المائةوفي ذلك فائدة اشعار النفس بعظمة الله، وأنّه لا شيء أكبر منه، وأنّ الزيارة ليست إلاّ لعبادة الله وتعظيمه وتقديسه في إحياء شعائر الله وتأييد دينه.

٧ ـ وبعد الفراغ من الزيارة للنبي أو الامام يصلّي ركعتين على الأَقل، تطوّعاً وعبادة لله تعالى؛ ليشكره على توفيقه إياه، ويهدي ثواب الصلاة إلى المزور.

وفي الدعاء المأثور الذي يدعو به الزائر بعد هذه الصلاة ما يفهم الزائر أنّ صلاته وعمله إنّما هو لله وحده، وإنه لا يعبد سواه، وليست الزيارة إلاّ نوع التقرّب إليه تعالى زلفى؛ إذ يقول:

« اللّهمَّ لكَ صلَّيْتُ، ولكَ ركعْتُ، ولَكَ سجدْتُ وحدَكَ لا شريكَ لكَ؛ لأَنّه لا تكون الصلاةُ والركُوعُ والسجودُ إلاّ لَكَ؛ لأنَّكَ أنْتَ اللهُ لا إلهَ إلاّ أنْتَ. اللهمَّ صلِّ على محمدٍ وآلِ محمّدٍ، وتقبَّلْ منّي زيارَتِي، وأعَطِني سؤلِي، بمحمَّدٍ وآلهِ الطاهرينَ »[1]

وفي هذا النوع من الأدب ما يوضّح لمن يريد أن يفهم الحقيقة عن مقاصد الأئمة وشيعتهم تبعاً لهم في زيارة القبور، وما يلقم المتجاهلين حجراً حينما يزعمون أنّها عندهم من نوع عبادة القبور، والتقرّب إليها، والشرك بالله.

وأغلب الظن أنّ غرض أمثال هؤلاء هو التزهيد فيما يجلب لجماعة الامامية من الفوائد الاجتماعية الدينية في مواسم الزيارات؛ إذ أصبحت شوكة في أعين أعداء آل بيت محمَّد، وإلاّ فما

---

[1]. كامل الزيارات باب 199/79 زيارات الحسين(ع)+المصباح للكفعمي 158/2.

نظنهم يجهلون حقيقة مقاصد آل البيت فيها. حاشا أولئك الذين أخلصوا لله نيّاتهم، وتجرّدوا له في عباداتهم، وبذلوا مهجهم في نصرة دينه أن يدعو الناس إلى الشرك في عبادة الله.

٨ ـ ومن آداب الزيارة: أن يلزم للزائر حسن الصحبة لمن يصحبه، وقلّة الكلام إلاّ بخير، وكثرة ذكر الله والخشوع، وكثرة الصلاة، والصلاة على محمَّد وآل محمَّد، وأن يغضّ من بصره، وأن يعدو إلى أهل الحاجة من إخوانه إذا رأى منقطعاً، والمواساة لهم، والورع عمّا نُهي عنه، وعن الخصومة، وكثرة الأيمان، والجدال الذي فيه الأيمان[1]

ثمّ أنّه ليست حقيقة الزيارة إلاّ السلام على النبي أو الامام باعتبار أنّهم(أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ) [2] ؛ فهم يسمعون الكلام، ويردّون الجواب، ويكفي أن يقول فيها مثلاً: (السلام عليك يا رسول الله).

غير أنّ الأَولى أن يقرأ فيها المأثور الوارد من الزيارات عن آل البيت؛ لما فيها ـ كما ذكرنا ـ من المقاصد العالية، والفوائد الدينية، مع بلاغتها وفصاحتها، ومع ما فيها من الأدعية العالية التي يتّجه بها الانسان إلى الله تعالى وحده.

[1]. كامل الزيارات 131 ح 1

[2]. ال عمران 169

5. عقيدتنا في معنى التشيُّع عند آل البيت[1]

إنّ الأئمّة من آل البيت عليهم السلام لم تكن لهم همّة ـ بعد أن انصرفوا عن أن يرجع أمر الأمَّة إليهم ـ إلاّ تهذيب المسلمين، وتربيتهم تربية صالحة كما يريدها الله تعالى منهم، فكانوا مع كلِّ من يواليهم ويأتمنونه على سرّهم يبذلون قصارى جهدهم في تعليمه الأحكام الشرعية، وتلقينه المعارف المحمدية، ويعرّفونه ماله وما عليه.

ولا يعتبرون الرجل تابعاً وشيعة لهم إلاّ إذا كان مطيعاً لأمر الله، مجانباً لهواه، آخذاً بتعاليمهم وإرشاداتهم.

---

[1]. يُروى عن السيدة الزهراء (ع) : **"إن كنت تعمل بما أمرناك وتنتهي عما زجرناك عنه فأنت من شيعتنا وإلا فلا" . (تفسير الإمام العسكري ص308)** كافٍ في الدلالة على أن الإتّباع والولاية لأهل البيت (ع) تكون بتنفيذ تعاليم الشريعة مع ما تشمل من أوامر ونواهٍ فضلاً عن بعض السلوكيات الاجتماعية التي وردت في روايات جمةٍ ومنها:

- رواية الإمام الكاظم (ع) حيث سأله أحدٌ : جعلت فداك إن الشيعة عندنا كثير فقال (ع) : **"هل يعطف الغني على الفقير ؟ وهل يتجاوز المحسن عن المسيء ويتواسون؟ فقيل : لا ، فقال (ع): ليس هؤلاء شيعة ، الشيعة من يفعل هذا" . (الكافي 173/2)** ، إذن فهي أمور تفصيلية تناولها المعصوم (ع) لإثبات هذا الولاء :
  1. العطف على الفقير.
  2. التجاوز عن المسيء.
  3. المواساة بكل لوازمها.
- عن الصادق (ع) : **"يا بن جندب بلغ معاشر شيعتنا وقل لهم : لا تذهبّن بكم المذاهب فوالله لا تُنال ولايتنا إلا بالورع والإجتهاد في الدنيا ومواساة الإخوان في الله وليس من شيعتنا من يظلم الناس".** (تحف العقول عن آل الرسول 303) ، حيث فرّع للإنتماء للمذهب الشريف : الورع والإجتهاد والمواساة وعدم الظلم.

ولا يعتبرون حبّهم وحده كافياً للنجاة، كما قد يمنّي نفسه بعض من يسكن إلى الدعة والشهوات، ويلتمس عذراً في التمرّد على طاعة الله سبحانه، إنّهم لا يعتبرون حبهم وولاءهم منجاة إلاّ إذا اقترن بالأعمال الصالحة، وتحلّى الموالي لهم بالصدق والأمانة، والورع والتقوى.

«يا خيثمة، أبلغ موالينا[1] أنّه لا نغني عنهم من الله شيئاً إلاّ بعمل، وأنّهم لن ينالوا ولايتنا إلاّ بالورع، وإنّ أشدّ الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره».

بل هم يريدون من أتباعهم أن يكونوا دعاة الحق، وأدلاّء على الخير والرشاد، ويرون أنّ الدعوة بالعمل أبلغ من الدعوة باللسان: «كونوا دعاة للناس بالخير بغير ألسنتكم؛ ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع»[2].

ونحن نذكر لك الآن بعض المحاورات التي جرت لهم مع بعض اتباعهم؛ لتعرف مدى تشديدهم وحرصهم على تهذيب أخلاق الناس:

١ - محاورة أبي جعفر الباقر عليه السلام مع جابر الجعفي:

«يا جابر، أيكتفي من ينتحل التشيُّع أن يقول بحبنا أهل البيت؟! فوالله ما شيعتنا إلاّ من اتّقى الله وأطاعه.

وما كانوا يعرفون إلا بالتواضع، والتخشُّع، والأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصلاة، والبرّ بالوالدين، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأَيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس إلاّ من خير، وكانوا أُمناء عشائرهم في الأشياء.

فاتقوا الله واعملوا لما عند الله، ليس بين الله وبين أحد قرابة، أحب العباد إلى الله عزّ وجلّ أتقاهم وأعملهم بطاعته[3].

---

[1]. في المصدر أبلغ من ترى من موالينا – الكافي 140/2 ح2.

[2]. الكافي 64/2 ح12

[3]. وبهذا المعنى قال أمير المؤمنين في خطبته القاصعة: **"إنّ حكمه في أهل السماء وأهل الأَرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرّمه على العالمين" نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.**

يا جابر، والله ما نتقرَّب إلى الله تبارك وتعالى إلاّ بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأَحد من حجّة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع»[1] .

٢ ـ محاورة أبي جعفر عليه السلام أيضاً مع سعيد بن الحسن:

أبو جعفر عليه السلام : «أيجيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه؟».

سعيد: ما أعرف ذلك فينا.

أبو جعفر عليه السلام : «فلا شيء إذن».

سعيد: فالهلاك إذن!

أبو جعفر عليه السلام : «إنّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد»[2].

٣ ـ محاورة أبي عبدالله الصادق عليه السلام مع أبي الصباح الكناني: قال الكناني لأبي عبدالله: ما نلقى من الناس فيك؟!

أبو عبدالله: «وما الذي تلقى من الناس؟»

الكناني: لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام، فيقول: جعفري خبيث.

أبو عبدالله: «يعيّركم الناس بي؟!»

الكناني: نعم!

ذكر الصفات بالغة الأهمية في الإنتساب للتشيّع : التقوى والتواضع والتخشّع والأمانة وكثرة الذكر والعبادة والبرّ بالوالدين والتعاهد للفقراء ... وكلها من أنبل الصفات وأجودها ، فنعم ما ربّوا به شيعتهم..

[1]. **الكافي 60/2 ح3** – سنّ الإمام (ع) القاعدة وهي القرب من الله تعالى ، وطاعته فالمُطيع ولي لهم والعاصي عدو ، فلا رفعة عن أحد سوى بالعبادة والتقوى ، ولا نجاة إلا بالعبادة التي أرادوها وعلمونا إياها لا بالإعتماد على حبّهم الشريف فقط.

[2]. الكافي 139/2 ح13 – دليل أهمية العطف والتعاهد.

أبو عبدالله: «ما أقل والله من يتّبع جعفراً منكم! إنّما أصحابي من اشتدّ ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه. هؤلاء أصحابي!»[1].

٤ - ولأبي عبدالله عليه السلام كلمات في هذا الباب نقتطف منها ما يلي:

أ - «ليس منّا - ولا كرامة - من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون، وكان في ذلك المصر أحد أورع منه»[2].

ب - «إنّا لا نعدّ الرجل مؤمناً حتّى يكون لجميع أمرنا متّبعاً ومريداً، ألا وإن من اتباع أمرنا وأرادته الورع، فتزيَّنوا به يرحمكم الله»[3].

ج- - «ليس من شيعتنا من لا تتحدَّث المخدَّرات بورعه في خدورهن، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله أورع منه»[4].

د - «إنّما شيعة جعفر مَن عفّ بطنه وفرجه، واشتد جهاده، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، وخاف عقابه. فاذا رأيت فأولئك شيعة جعفر»[5].

---

[1]. الكافي 62/2 ح6

[2]. الكافي 63/2 ح10.

[3]. الكافي 63/2 ح13

[4]. الكافي 64/2 ح15.

[5]. الكافي 183/2 ح9

6. عقيدتنا في الجور والظلم[1]

من أكبر ما كان يعظِّمه الأئمة عليهم السلام على الانسان من الذنوب العدوان على الغير والظلم للناس، وذلك اتّباعاً لما جاء في القرآن الكريم من تهويل الظلم واستنكاره، مثل قوله تعالى:(وَلا تَحسَبَنَّ اللهَ غفِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّلِمونَ إنَّما يُؤَخِّرُهُم لِيَوْمٍ تَشخَصُ فيه الأبصرُ)[2] .

وقد جاء في كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما يبلغ الغاية في بشاعة الظلم والتنفير منه، كقوله - وهو الصادق المصدَّق - من كلامه في نهج البلاغة برقم ٢١٩.

«واللهِ لَو أُعطِيتُ الأقالِيمَ السَّبعةَ بما تَحتَ أَفلاكِها على أنْ أَعصِيَ اللهَ في نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جِلْبَ شَعِيرةٍ ما فَعَلْتُ»[3].

وهذا غاية ما يمكن أن يتصوَّره الانسان في التعفُّف عن الظلم، والحذر من الجور، واستنكار عمله.

إنّه لا يظلم نملة في قشرة شعيرة وإن أُعطي الأقاليم السبعة، فكيف حال من يلغ في دماء المسلمين، وينهب أموال الناس، ويستهين في أعراضهم وكراماتهم؟! كيف يكون قياسه إلى فعل أمير المؤمنين؟! وكيف تكون منزلته من فقهه صلوات الله عليه؟

إنّ هذا هو الأدب الإلهي الرفيع الذي يتطلَّبه الدين من البشر.

---

[1]. عن النبي (ص) : **"أفضل الجهاد من أصبح لا يهمّ بظلم أحد "**. (المحاسن ج292/1)

وعنه (ص) : **"أما شفاعتي ففي أصحاب الكبائر ما خلا الشرك والظلم"** .(الخصال 355).

وعن أمير المؤمنين علي (ع) : **"إن سرّك أن تكون معي يوم القيامة فلا تكن للظالمين مُعيناً."** (آمالي الصدوق 278).

وعن الصادق (ع) :**" أيّما مؤمن قدّم مؤمناً في خصومة إلى قاضٍ أو سلطان جائرٍ فقضى عليه بغير حكم الله فقد شركه في الإثم"** . (الكافي 114/7).

[2]. سورة إبراهيم 42.

[3]. من كلام له (ع) يتبرّأ من الظلم.

نعم، إنّ الظلم من أعظم ما حرَّم الله تعالى، فلذا أخذ من أحاديث آل البيت وأدعيتهم المقام الأوّل في ذمّه وتنفير أتباعهم عنه.

وهذه سياستهم عليهم السلام، وعليها سلوكهم حتّى مع من يعتدي عليهم، ويجترئ على مقامهم. وقصّة الامام الحسن عليه السلام معروفة في حلمه عن الشامي الذي اجترأ عليه وشتمه، فلاطفه الامام وعطف عليه، حتّى أشعره بسوء فعلته[1] .

وقد قرأت آنفاً في دعاء سيد الساجدين من الأدب الرفيع في العفو عن المعتدين، وطلب المغفرة لهم، وهو غاية ما يبلغه السموَّ النفسي، والانسانية الكاملة، وإن كان الاعتداء على الظالم بمثل ما اعتدى جائزاً في الشريعة [2]، وكذا الدعاء عليه جائز مباح، ولكن الجواز شيء، والعفو - الذي هو من مكارم الأخلاق - شيء آخر، بل عند الأئمّة أنّ المبالغة في الدعاء على الظالم قد تعدّ ظلماً، قال الصادق عليه السلام : «إنّ العبد ليكون مظلوماً فما يزال يدعو حتى يكون ظالماً»[3] أي حتّى يكون ظالماً في دعائه على الظالم

---

[1]. راجع مناقب ابن شهر آشوب: ٤/ ١٩ فقد ذكر هذه القصة عن المبرّد وابن عائشة، قال: إنّ شامياً رآه راكباً فجعل يلعنه والحسن لا يرد، فلمّا فرغ أقبل الحسن عليه فسلم عليه وضحك وقال: "**أيها الشيخ أظنك غريباً، ولعلك شبهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك؛ لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً**". فلما سمع الرجل كلامه بكى، ثم قال: اشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالاته، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي، والآن أنت أحب خلق الله إلي. وحوّل رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل، وصار معتقداً لمحبتهم. – رواية عظيمة عن حلمهم ومدى تأثير الكلمة الطيبة والفعل الحسن في الناس.

[2]. فقد قال تعالى:{ فَمنِ اعْتدَى عَليْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله وَاعْلَمُوا أنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتّقِينَ } البقرة ١٩٤.

[3]. **الكافي: ٢/ ٢٥٠ ح١٧، عقاب الأعمال: ٢٧٤** – تدريبٌ واضحٌ منهم (ع) على أهمية الصفح والعفو ، وأنه من قبيل الدَين يوفّى إليك في يوم الحساب وهو تخلّق بخُلق الله تعالى.

بسبب كثرة تكراره. يا سبحان الله! أيكون الدعاء على الظالم إذا تجاوز الحد ظلماً؟ إذن ما حال من يبتدئ بالظلم والجور، ويعتدي على الناس، أو ينهش أعراضهم، أو ينهب أموالهم، أو يشي عليهم عند الظالمين، أو يخدعهم فيورّطهم في المهلكات، أو ينبزهم ويؤذيهم، أو يتجسّس عليهم؟ ما حال أمثال هؤلاء في فقه آل البيت عليهم السلام . إنّ أمثال هؤلاء أبعد الناس عن الله تعالى، وأشدّهم إثماً وعقاباً، وأقبحهم أعمالاً وأخلاقاً.[1]

[1]. بل يريدون منا أن نكون أورع القوم وأحرصهم على العبادة والتحابّ في سبيل الله ولعلّ عبارة (كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم) كافية لإثبات المطلوب لأن العمل يجذب الإنتباه أكثر من القول.

7. عقيدتنا في التعاون مع الظالمين

ومن عظم خطر الظلم وسوء مغبّته أن نهى الله تعالى عن معاونة الظالمين والركون إليهم (وَلاَ تَركُنوا إلى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ومَا لَكُمْ مِن دُونِ اللهِ مِنْ أَولياءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ) [1] .

هذا هو أدب القرآن الكريم، وهو أدب آل البيت عليهم السلام ، وقد ورد عنهم ما يبلغ الغاية من التنفير عن الركون إلى الظالمين، والاتّصال بهم، ومشاركتهم في أي عمل كان، ومعاونتهم، ولو بشق تمرة[2] .

ولا شك أنّ أعظم ما مُني به الاسلام والمسلمون هو التساهل مع أهل الجور، والتغاضي عن مساوئهم، والتعامل معهم، فضلاً عن ممالأتهم ومناصرتهم واعانتهم على ظلمهم.

وما جرَّ الويلات على الجامعة الاسلامية إلاّ ذلك الانحراف عن جدد الصواب والحق، حتى ضعف الدين بمرور الأيام، فتلاشت قوّته، ووصل إلى ما عليه اليوم، فعاد غريباً، وأصبح المسلمون أو ما يسمّون أنفسهم بالمسلمين، وما لهم من دون الله أولياء ثم لا ينصرون ، حتى على أضعف أعدائهم، وأرذل المجترئين عليهم، كاليهود الأذلاّء، فضلاً عن الصليبيين الاَقوياء.

لقد جاهد الأئمة عليهم السلام في إبعاد من يتّصل بهم عن التعاون مع الظالمين، وشدّدوا على أوليائهم في مسايرة اهل الظلم والجور وممالأتهم، ولا يحصى ما ورد عنهم في هذا الباب، ومن ذلك ما كتبه الامام زين العابدين عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري بعد أن حذره عن إعانة الظلمة على ظلمهم:

«أو ليس بدعائهم إيّاك حين دعوك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم، وسلَّماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيّهم، سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم إلاّ دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أقلّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا

---

[1]. سورة هود 113

[2]. وسائل الشيعة 17/183

منك، وما أيسر ما عمَّروا لك في جنب ما خرَّبوا عليك. فانظر لنفسك؛ فإنّه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول...»[1].

ما أعظم كلمة «وحاسبها حساب رجل مسؤول»؛ فإنّ الانسان حينما يغلبه هواه يستهين في أغوار مكنون سرّه بكرامة نفسه، بمعنى إنّه لا يجده مسؤولاً عن أعماله، ويستحقر ما يأتي به من أفعال، ويتخيَّل أنّه ليس بذلك الذي يُحسب له الحساب على ما يرتكبه ويقترفه إنّ هذا من أسرار النفس الانسانية الأمّارة، فأراد الامام أن ينبِّه الزهري على هذا السر النفساني في دخيلته الكامنة؛ لئلاّ يغلب عليه الوهم فيفرط في مسؤوليته عن نفسه.

وأبلغ من ذلك في تصوير حرمة معاونة الظالمين حديث صفوان الجمَّال مع الامام موسى الكاظم عليه السلام ، وقد كان من شيعته، ورواة حديثه الموثّقين قال - حسب رواية الكشي في رجاله بترجمة صفوان -:

دخلت عليه فقال لي: «يا صفوان كلّ شيء منك حسن جميل، خلا شيئاً واحداً».

قلت: جعلت فداك! أيّ شيء؟

قال: «إكراؤك جمالك من هذا الرجل - يعني هارون -».

---

[1]. تحف العقول 275. كناية واضحة عن أهمية حساب النفس وتقويمها حين انحرافها والتحذير من معونة الظلمة.

وفي هذا المجال أذكر لك عدة روايات عن خسران معين الظلمة :

- عن أمير المؤمنين (ع) : **"الظلم يجلب النقمة" .(عيون الحكم والمواعظ 19).**
- وعنه (ع) : **"بئس السياسة الجور ." (غرر الحكم ودرر الكلم 310).**
- وعنه (ع) : **"خير الملوك من أمات الجور وأحيى العدل" .(غرر الحكم 357).**
- وعن الصادق (ع) : **العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم ". (الكافي333/2).**

قلت: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للهو، ولكن أكريته لهذا الطريق - يعني طريق مكة - ولا أتولاّه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني.

قال: «يا صفوان أيقع كراؤك عليهم؟»

قلت: نعم جعلت فداك.

قال: «أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟»

قلت: نعم.

قال: «فمن أحبّ بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم فهو كان ورد النار».

قال صفوان: فذهبت وبعت جمالي عن آخرها[1].

فإذا كان نفس حب حياة الظالمين وبقائهم بهذه المنزلة، فكيف بمن يستعينون به على الظلم، أو يؤيدهم في الجور، وكيف حال من يدخل في زمرتهم، أو يعمل بأعمالهم، أو يواكب قافلتهم، أو يأتمر بأمرهم؟!

---

[1]. رجال الكشي 440 ح828 – أي المعونة تكون نفسية أحياناً كالتمني والرجاء...

7. عقيدتنا في الوظيفة في الدولة الظالمة

إذا كان معاونة الظالمين ولو بشق تمرة، بل حب بقائهم، من أشد ما حذَّر عنه الأئمة عليهم السلام ، فما حال الاشتراك معهم في الحكم، والدخول في وظائفهم وولاياتهم؟ بل ما حال من يكون من جملة المؤسسين لدولتهم، أو من كان من أركان سلطانهم، والمنغمسين في تشييد حكمهم «وذلك أن ولاية الجائر دروس الحق كلّه، وإحياء الباطل كلّه، وإظهار الظلم والجور والفساد»[1] كما جاء في حديث «تحف العقول» عن الصادق عليه السلام .

غير أنّه ورد عنهم عليهم السلام جواز ولاية الجائر إذا كان فيها صيانة العدل، وإقامة حدود الله، والإحسان إلى المؤمنين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «إن لله في أبواب الظلمة مَنْ نوَّر الله به البرهان، ومكَّن له في البلاد، فيدفع بهم عن أوليائه، ويصلح بهم أُمور المسلمين... أُولئك هم المؤمنون حقّاً، أولئك منار الله في أرضه، أولئك نور الله في رعيته...» كما جاء في الحديث عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام [2].

وفي هذا الباب أحاديث كثيرة توضّح النهج الذي ينبغي أن يجري عليه الولاة والموظفون، مثل ما في رسالة الصادق عليه السلام إلى عبدالله النجاشي أمير الأهواز (راجع الوسائل كتاب البيع الباب ٧٨)[3].

---

[1]. تحف العقول 332.

[2]. بحار الأنوار: ٣٨١/٧٥ ح٤٦. عن منية المريد. وفيه الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام.

[3]. وسائل الشيعة 196/17

وهذه الرسالة من أهم المواثيق السياسية والأخلاقية للعاملين في هذا المجال ويمكنك أخي الكريم الإطلاع على شرحها في كُتيّب من تأليفي **(رسالة النجاشي للإمام الصادق (ع) ، الكاتب السيد حسين بدر الدين ، المنشور في مكتبة نور الإلكترونية)** ، ولأهميتها سأوردها ههنا :

عن عبد الله بن سليمان النوفلي قال: كنت عند جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام، فإذا بمولى لعبد الله النجاشي قد ورد عليه فسلم وأوصل إليه كتابه ففضه وقرأه، وإذا أول سطر فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم، إلى أن قال: إني بليت بولاية الأهواز، فإن رأى سيدي ومولاي أن يحد لي حداً، أو يمثل لي مثالاً لأستدل به على ما يقربني إلى الله عز وجل والى رسوله، ويلخص لي في كتابه ما يرى لي العمل به، وفيما أبتذله، وأين أضع زكوتي؟ وفيمن أصرفها؟ وبمن آنس؟ والى من أستريح؟ وبمن أثق وآمن وألجأ إليه في سري؟ فعسى يخلصني الله بهدايتك فإنك حجة الله على خلقه، وأمينه في بلاده، لا زالت نعمته عليك؟.

قال عبد الله بن سليمان: فأجابه أبو عبد الله (عليه السلام) :

بسم الله الرحمن الرحيم: حاطك الله بصنعه، ولطف بك بمنه، وكلأك برعايته، فإنه ولي ذلك.

أما بعد، فقد جاءني رسولك بكتابك، فقرأته وفهمت جميع ما ذكرت وسألت عنه، وزعمت أنك بليت بولاية الأهواز، فسرني ذلك وساءني، وسأخبرك بما ساءني من ذلك، وما سرني إن شاء الله.

فأما سروري بولايتك فقلت: عسى أن يُغيث الله بك ملهوفاً خائفاً من آل محمد عليهم السلام، ويعز بك ذليلهم، ويكسو بك عاريهم، ويقوي بك ضعيفهم، ويطفي بك نار المخالفين عنهم.

وأما الذي ساءني من ذلك، فإن أدنى ما أخاف عليك أن تعثر بوليٍّ لنا، فلا تشمّ حظيرة القدس، فإني ملّخص لك جميع ما سألت عنه إن أنت عملت به، ولم تجاوزه رجوت أن تسلم إن شاء الله.

أخبرني يا عبد الله، أبي، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنه قال: من استشاره أخوه المؤمن فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبه.

واعلم إني سأشير عليك برأيي إن أنت عملت به تخلصت مما أنت متخوفه.

واعلم أن خلاصك مما بك من حقن الدماء، وكف الأذى عن أولياء الله والرفق بالرعية والتأني وحسن المعاشرة مع لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، ومداراة صاحبك، ومن يرد عليك من رسله وارتق فتق رعيتك بأن توقفهم على ما وافق الحق والعدل إن شاء الله.

وإياك والسعاة وأهل النمايم، فلا يلتزقنّ بك أحد منهم، ولا يراك الله يوماً وليلة وأنت تقبل منهم صرفاً ولا عدلاً، فيسخط الله عليك ويهتك سترك...

إلى أن قال (عليه السلام):

فأما من تأنس به وتستريح إليه وتلجئ أمورك إليه، فذك الرجل الممتحن المستبصر الأمين الموافق لك على دينك، وفي أعوانك وجرِّب الفريقين، فإن رأيت هناك رشداً، فشأنك وإياه.

وإياك أن تعطي درهماً، أو تخلع ثوباً، أو تحمل على دابة في غير ذات الله لشاعر أو مضحك، أو ممتزح إلا أعطيت مثله في ذات الله (أي إذا كان لا بدّ فكفّارته ذلك).

ولتكن جوائزك وعطاياك، وخلعك للقواد والرسل والأجناد وأصحاب الرسائل وأصحاب الشرط والأخماس، وما أردت أن تصرفه في وجوه البر والنجاح والفطرة والصدقة والحج والمشرب والكسوة التي تصلي فيها وتصل بها والهدية التي تهديها إلى الله عز وجل والى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أطيب كسبك.

يا عبد الله، اجهد أن لا تكنز ذهباً وفضة فتكون من أهل هذه الآية: (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) (سورة التوبة 34).

ولا تستصغرن من حلو ولا من فضل طعام تصرفه في بطون خالية تسكن بها غضب الرب تبارك وتعالى.

واعلم: إني سمعت أبي يحدث عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه سمع عن النبي (صلى الله عليه وآله) يقول لأصحابه يوماً: ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائع. فقلنا: هلكنا يا رسول الله؟! فقال: من فضل طعامكم، ومن فضل تمركم ورزقكم وخلقكم وخرقكم تطفئون بها غضب الرب.

وسأنبئك بهوان الدنيا وهوان شرفها على من مضى من السلف والتابعين (ثم ذكر حديث زهد أمير المؤمنين في الدنيا وطلاقه لها، إلى أن قال): وقد وجهت إليك بمكارم الدنيا والآخرة عن الصادق المصدق رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإن أنت عملت بما نصحت لك في كتابي هذا ثم كانت عليك من الذنوب والخطايا كمثل أوزان الجبال وأمواج البحار(كناية عن ثقل الذنوب)، رجوت الله أن يتجافى عنك عزوجل بقدره.

يا عبد الله، إياك أن تخيف مؤمناً، فإن أبي محمد بن علي حدثني، عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب (عليه السلام)، أنه كان يقول: من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله يوم لا ظل إلا ظله وحشره في صورة الذر لحمه وجسده وجميع أعضائه حتى يورده مورده.

وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام) عن النبي (صلى الله عليه وآله)

قال: من أغاث لهفاناً من المؤمنين، أغاثه الله يوم لا ظل إلا ظله وآمنه يوم الفزع الأكبر، وآمنه من سوء المنقلب.

ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة إحداها الجنة، ومن كسا أخاه المؤمن من عُري كساه الله من سندس الجنة واستبرقها وحريرها ولم يزل يخوض في رضوان الله ما دام على المكسو منه سلك، ومن أطعم أخاه من جوع أطعمه الله من طيبات الجنة، ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ريّه، ومن أخدم أخاه خدمه الله من الولدان المخلدين وأسكنه مع أوليائه الطاهرين، ومن حمل أخاه المؤمن من رجلة حمله الله على ناقة من نوق الجنة وباهى به الملائكة المقربين يوم القيامة.

ومن زوّج أخاه المؤمن من امرأة يأنس بها وتشد عضده ويستريح إليها زوّجه الله من الحور العين وآنسه بمن أحبه من الصديقين من أهل بيت نبيه وإخوانه وآنسهم به.

ومن أعان أخاه المؤمن على سلطان جائر أعانه الله على إجازة الصراط عند زلة الأقدام، ومن زار أخاه إلى منزله لا لحاجة إليه كُتب من زوّار الله، وكان حقيقاً على الله أن يكرم زائره.

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي (عليه السلام) أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لأصحابه يوماً: معاشر الناس إنه ليس بمؤمن من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه فلا تتبعوا عثرات المؤمنين فإنه من تتبّع عثرة مؤمن تتبّع الله عثراته يوم القيامة وفضحه في جوف بيته.

وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، أنه قال: أخذ الله ميثاق المؤمن أن لا يصدق في مقالته ولا ينتصف من عدوه وعلى أن لا يشفي غيظه إلا بفضيحة نفسه لأن كل مؤمن ملجم وذلك لغاية قصيرة وراحة طويلة، وأخذ الله ميثاق المؤمن على أشياء أيسرها عليه مؤمن مثله يقول بمقالته يبغيه ويحسده والشيطان يغويه ويضله والسلطان يقفو أثره ويتبع عثراته وكافر بالله الذي هو مؤمن به يرى سفك دمه ديناً، وإباحة حريمه غنماً، فما بقاء المؤمن بعد هذا.

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، عن النبي قال: نزل جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد إن الله يقرأ عليك السلام ويقول: اشتققت للمؤمن اسماً من أسمائي سميته مؤمناً، فالمؤمن مني وأنا منه، من استهان مؤمناً فقد استقبلني بالمحاربة.

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال يوماً: يا علي، لا تناظر رجلاً حتى تنظر في سريرته، فإن كانت سريرته حسنة فإن الله عز وجل لم يكن ليخذل وليَّه، وإن تكن سريرته ردية فقد يكفيه مساويه فلو جهدت أن تعمل به أكثر مما عمل من معاصي الله عز وجل ما قدرت عليه.

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، أنه قال: أدنى الكفر أن يسمع الرجل من أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد أن يفضحه بها أولئك لا خلاق لهم.

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، أنه قال: من قال في مؤمن ما رأت عيناه وسمعت أذناه ما يشينه ويهدم مروّته فهو من الذين قال الله عزّ وجل: (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم) **(سورة النور 19).**

يا عبد الله: وحدثني أبي، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام) قال: من روى عن أخيه المؤمن رواية يريد بها هدم مروته وثلبه أوبقه الله بخطيئته حتى يأتي بمخرج مما قال ولن يأتي بالمخرج منه أبداً.

ومن أدخل على أخيه المؤمن سروراً، فقد أدخل على أهل البيت (عليهم السلام) سروراً، ومن أدخل على أهل البيت (عليهم السلام) سروراً، فقد أدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) سروراً، ومن أدخل على رسوله (صلى الله عليه وآله) سروراً فقد سرّ الله، ومن سرّ الله فحقيق على الله عز وجل أن يدخله جنته.

ثم أوصيك بتقوى الله وإيثار طاعته والاعتصام بحبله فإنه من اعتصم بحبل الله فقد هدي إلى صراط مستقيم، فاتق الله ولا تؤثر أحداً على رضاه وهواه فإنه وصية الله عز وجل إلى خلقه لا يقبل منهم غيرها ولا يعظم سواها.

واعلم: أن الخلائق لم يوكلوا بشيء أعظم من التقوى فانه وصيتنا أهل البيت، فإن استطعت أن لا تنال من الدنيا شيئاً تسأل عنه غداً فافعل.

قال عبد الله بن سليمان: فلما وصل كتاب الصادق (عليه السلام) إلى النجاشي نظر فيه وقال: صدق والله الذي لا إله إلا هو مولاي فما عمل أحد بما في هذا الكتاب إلا نجا، فلم يزل عبد الله يعمل به أيام حياته **(وسائل الشيعة 151/12).**

إقرأها أخي الكريم وانهل من نبعهم الصافي في الحكم والإدارة والأخلاقيات.

8. عقيدتنا في الدعوة إلى الوحدة الاِسلامية

عرف آل البيت عليهم السلام بحرصهم على بقاء مظاهر الاسلام، والدعوة إلى عزّته، ووحدة كلمة أهله، وحفظ التآخي بينهم، ورفع السخيمة [1]من القلوب، والأحقاد من النفوس.[2]

ولا يُنسى موقف أمير المؤمنين عليه السلام مع الخلفاء الذين سبقوه، مع توجّده عليهم، واعتقاده بغصبهم لحقه، فجاراهم وسالمهم، بل حبس رأيه في انّه المنصوص عليه بالخلافة؛ حتّى أنه لم يجهر في حشد عام بالنصِّ إلا بعد أن آل الأمر إليه، فاستشهد بمن بقي من الصحابة عن نص الغدير في يوم الرحبة المعروف[3].

وكان لا يتأخّر عن الاشارة عليهم فيما يعود على المسلمين أو للإسلام بالنفع والمصلحة، وكم كان يقول عن ذلك العهد: «فَخَشِيتُ إنْ لَمْ أَنصُر الإسلامَ وَأَهلَهُ أَنْ أَرى فِيهِ ثَلْماً أو هدْماً»[4].

---

[1]. الحقد والضغينة.

[2]. ترى في العديد من النصوص تشجيع النبي (ص) وآله (ع) على الاهتمام بأمور المسلمين كافة وعيادة المرضى وحضور الجنائز وغيرها ، فعن النبي (ص) قوله : **"من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم". (وسائل الشيعة – ج 337/16).**

[3]. أنظر مسند أحمد 84/1 – خصائص النسائي 101/100 حديث 87/85.
والكثير من النصوص التي دلّت على صبره (ع) ومدّه يد الوحدة دفاعاً عن الإسلام كي لا ينفرط عِقده ، محتسباً عن إرثه المنهوب وحجابه المهتوك عملاً بوصية الرسول (ص) ،وأذكر لكم بعض كلماتٍ من خطبته المعروفة بالخطبة الشقشقية :
" أمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبي قحافة وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنَ الرَّحَى يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ وَلا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخْيَةٍ عَمْيَاءَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ، فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى وَفِي الْحَلْقِ شَجًا أَرَى تُرَاثِي نَهْباً.."

[4]. من كتاب له (ع) لأهل البصرة – مذكور في نهج البلاغة.

كما لم يصدر منه ما يؤثِّر على شوكة ملكهم، أو يضعف من سلطانهم، أو يقلِّل من هيبتهم، فانكمش على نفسه وجلس حلس البيت، بالرغم ممّا كان يشهده منهم.

كل ذلك رعاية لمصلحة الاسلام العامة، ورعاية أن لا يرى في الاسلام ثلماً أو هدماً، حتى عرف ذلك منه، وكان الخليفة عمر بن الخطاب يقول ويكرّر القول: (لا كنت لمعضلة ليس لها أبو الحسن) أو (لولا علي لهلك عمر)[1] .

ولا يُنسى موقف الحسن بن علي عليه السلام من الصلح مع معاوية[2] بعد أن رأى أنّ الاصرار على الحرب سيديل من ثقل الله الأكبر، ومن دولة العدل، بل اسم الاسلام إلى آخر الدهر، فتمحى

---

[1]. **انظر: طبقات ابن سعد: ٣٣٩/٢، فضائل أحمد: ١٥٥ ح٢٢٢، انساب الاشراف للبلاذري: ٩٩/٢ ح٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/١، المناقب للخوارزمي: ٩٦ ـ ٩٧ ذيل ح٩٧ و٩٨، أُسد الغابة: ٢٢/٤، كفاية الطالب: ٢١٧، الاصابة: ٥٠٩/٢، ذخائر العقبى: ٨٢، تهذيب التهذيب: ٢٩٦/٧، تذكرة الخواص: ١٣٤ و١٣٧، الرياض النضرة: ١٦١/٣، فرائد السمطين: ٣٤٤/١ ح٢٦٧.**

وانظر المناقب للخوارزمي: ٨٠ ح٦٥، تذكرة الخواص: ١٣٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/١ و١٤١ و١٧٩/١٢ و٢٢٣، كفاية الطالب: ٢١٩، ذخائر العقبى: ٨٢، الرياض النضرة: ١٦١/٣.

[2]. يمكن النظر إلى الصلح الذي وقع بين الامام الحسن عليه السلام ومعاوية من نواحٍ عدّة، منها:

أولاً: كسر الطوق المعنوي الذي حاول معاوية أن يوهم به عامة المسلمين من إلحاحه المستمر لطلب الصلح واغترار الناس به، وقد أبان الامام الحسن عليه السلام ابتداءاً اعتذاره عن ذلك بأنّ معاوية لا يفي بشرط، ولا هو بمأمون على الدين ولا على الامّة.

ثانياً: لو حاول الامام الحسن عليه السلام الإصرار على موقفه من قتال معاوية لكانت في ذلك مغامرة مواجهة قوّة لا قِبل بها، ولا نكشف الامر عن التضحية بنفسه وكافّة الهاشميين وأوليائهم، ولعذله العاذلون وقالوا فيه.(يعني لاموه)

ثالثا: اتّضح الأمر ـ بعد ذلك ـ بفضيحة معاوية الذي لم يلتزم ببنود الصلح قيد أنملة، ثم انكشف بعد ذلك الغطاء في دور أبيّ الضيم الامام الحسين عليه السلام وما قدّمه من تضحيات تقف متممة لدور الامام الحسن عليه السلام في مواجهة الظالمين، ورد موجة الانحراف في الامة.

الشريعة الإِلهية، ويُقضى على البقية الباقية من آل البيت، ففضَّل المحافظة على ظواهر الاسلام واسم الدين، وإن سالم معاوية ـ العدو الألد للدين وأهله، والخصم الحقود له ولشيعته ـ مع ما يتوقّع

رابعاً: امتثل الامام الحسن عليه السلام ما ورد في سيرة النبي المصطفى (ص) أُسوة به، حيث استرشد بالرسالة، وامتحن بهذه الخطة، وقد اخذها في إقدامه واحجامه من صلح الحديبية.

خامساً: كان الصلح نموذجاً فريدا صاغ به أئمة أهل البيت عليهم السلام سياستهم الحكيمة، حيث غرس الامام الحسن عليه السلام في طريق معاوية كميناً من نفسه يثور عليه من حيث لا يشعر فيرديه، وتسنّى له به أن يلّغم قصر الأموية ببارود الأموية نفسها.

وقد نقل التاريخ بصراحة زيف معاوية بوعوده حينما انضم جيش العراق إلى لوائه في النخيلة، فقال، وقد قام خطيباً فيهم: (يا أهل العراق! إني ـ والله ـ لم أُقاتلكم لتصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتزكّوا، ولا لتحجّوا، وإنما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون!، ألا وإنّ كل شيء أعطيته للحسن بن علي جعلته تحت قدمي هاتين!) ـ كما نقله ابن عساكر في مختصر تاريخ دمشق ـ فلما تمت البيعة لمعاوية خطب فذكر علياً فنال منه، ونال من الحسن.. إلى آخر ما وقع من الوقائع الجسيمة...

ويذكر الامام السيد عبد الحسين شرف الدين (قده) : إنّ الامامين الحسن والحسين عليهما السلام كانا وجهين لرسالة واحدة، كل وجه منهما في موضعه منها، وفي زمانه من مراحلها يكافئ الآخر في النهوض بأعبائها ويوازيه بالتضحية في سبيلها... وكان (يوم ساباط) (حيث تعرّض سلام الله عليه لمحاولة إغتيال عبر طعنة غادرة من المارق الجراح بن سنان الأسدي بعد أن كمن له في منطقة تسمى ساباط وهي قرب المدائن في العراق)أعرف بمعاني التضحية من (يوم الطف) لدى أُولي الألباب ممّن تعمّق... وكانت شهادة الطف حسنية أوّلاً وحسينية ثانياً؛ لأنّ الحسن أنضج نتائجها، ومهّد أسبابها.

وقد وقف الناس بعد حادثتي ساباط والطف يمعنون في الاحداث، فيرون في الأمويين عصبة جاهلية منكرة...

للتفصيل: راجع صلح الحسن للشيخ راضي آل ياسين، المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة، راجع كتابي " الضياء البهيّ من كلمات الحسن الزكيّ " حيث يوجد شرح لكلمات الحسن (ع) كافة وظروف الصلح وغيره (المنشور على مكتبة نور الإلكترونية – السيد حسين بدر الدين)

من الظلم والذل له ولأتباعه، وكانت سيوف بني هاشم وسيوف شيعته مشحوذة تأبى أن تغمد دون أن تأخذ بحقّها من الدفاع والكفاح، ولكن مصلحة الاسلام العليا كانت عنده فوق جميع هذه الاعتبارات.

وأمّا الحسين الشهيد عليه السلام فلئن نهض فلأنّه رأى من بني أُمية إن دامت الحال لهم ولم يقف في وجههم من يكشف سوء نيّاتهم، سيمحون ذكر الاسلام، ويطيحون بمجده، فأراد أن يثبت للتاريخ جورهم وعدوانهم، ويفضح ما كانوا يبيّتونه لشريعة الرسول، وكان ما أراد، ولولا نهضته المباركة لذهب الاسلام في خبر كان يتلهّى بذكره التأريخ كأنّه دين باطل.

وحرص الشيعة على تجديد ذكراه بشتّى أساليبهم إنّما هو لاتمام رسالة نهضته في مكافحة الظلم والجور، ولاحياء أمره امتثالاً لأَوامر الأئمة من بعده.

وينجلي لنا حرص آل البيت عليهم السلام على بقاء عز الاسلام - وإن كان ذو السلطة من ألد أعدائهم - في موقف الإمام زين العابدين عليه السلام من ملوك بني أُمية، وهو الموتور لهم، والمنتهكة في عهدهم حرمته وحرمه، والمحزون على ما صنعوا مع أبيه وأهل بيته في واقعة كربلاء، فإنّه - مع كل ذلك - كان يدعو في سرِّه لجيوش المسلمين بالنصر، وللاسلام بالعز، وللمسلمين بالدعة والسلامة، وقد تقدَّم أنّه كان سلاحه الوحيد في نشر المعرفة هو الدعاء، فعلَّم شيعته كيف يدعون للجيوش الإسلامية والمسلمين، كدعائه المعروف بـ (دعاء أهل الثغور)[1] الذي يقول فيه:

---

[1]. دعاء أهل الثغور – الصحيفة السجّاديّة دعاء 27.

على تفصيلٍ مذكور في محلّه أنه عنى فعلاً الجيوش الأموية حيث وصلت النوبة إلى الدفاع عن الإسلام في وجه الصليبيين الروم ،بعد أن شكّلوا تهديداً صارخاً للإسلام وعزّته ، أو أنه عنى المرابطين على الثغور أولئك الشيعة الثابتين على ثغر الولاية في زمانه وغير زمانه ، أو أنه علّم في المساجد هذا الدعاء تقيّةً من جور ظلاّم بني أمية ، أو أنه عنى به الشيعة المشاركين قسراً أو بأمر منه (ع) حفظاً لدمجهم في المجتمع الإسلامي حقناً لدمائهم بتخلّفهم عن الجيوش، أو أنه عنى المجاهدين المدافعين عن بيضة الإسلام على مرّ

«اللّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآل محمَّدٍ، وكثِّرْ عددَهُمْ (عدتهم) واشحَذْ أسلحَتَهمْ، واحرُسْ حوزَتَهُمْ، وامنَعْ حومَتَهُمْ، وألِّفْ جمعَهُمْ، ودبِّرْ أمرَهُمْ، وواتِرْ بينَ ميرِهِمْ، وتوحَّدْ بكفايَةِ مؤَنِهُمْ، واعضُدهُمْ بالنصرِ، وأعِنهُمْ بالصبْرِ، والطُفْ لهُمْ في المكْرِ ».

إلى أن يقول ـ بعد أن يدعو على الكافرين ـ :

«اللّهمَّ وقوِّ بذلِكَ مِحَالَ أهلِ الإسلام، وحصِّنْ بهِ ديارَهُمْ، وثمِّرْ بهِ أموالَهُمْ، وفرِّغْهُمْ عن محاربتِهِمْ لعبادَتِكَ، وعنْ منابذَتِهِمْ للخلَوةِ بكَ؛ حتّى لا يُعبَدَ في بقاعِ الأرْضِ غيرُكَ، ولا تُعَفَّرَ لأحدٍ منهُمْ جبهةٌ دونَكَ »

وهكذا يمضي في دعائه البليغ ـ وهو من أطول أدعيته ـ في توجيه الجيوش المسلمة إلى ما ينبغي لها من مكارم الأخلاق، وأخذ العدّة للأعداء، وهو يجمع إلى التعاليم الحربية للجهاد الاسلامي بيان الغاية منه وفائدته، كما ينبِّه المسلمين إلى نوع الحذر من أعدائهم، وما يجب أن يتخذوه في معاملتهم ومكافحتهم، وما يجب عليهم من الانقطاع إلى الله تعالى، والانتهاء عن محارمه، والاخلاص لوجهه الكريم في جهادهم.

وكذلك باقي الأئمة عليهم السلام في مواقفهم مع ملوك عصرهم، وإن لاقوا منهم أنواع الضغط والتنكيل بكل قساوة وشدّة؛ فانّهم لما علموا أنّ دولة الحق لا تعود إليهم انصرفوا إلى تعليم الناس معالم دينهم، وتوجيه أتباعهم التوجيه الديني العالي.

وكلّ الثورات التي حدثت في عصرهم من العلويين وغيرهم لم تكن عن إشارتهم ورغبتهم، بل كانت كلّها مخالفة صريحة لأوامرهم وتشديداتهم؛ فانّهم كانوا أحرص على كيان الدولة الاسلامية من كل أحد، حتى من خلفاء بني العباس أنفسهم.

وكفى أن نقرأ وصية الامام موسى بن جعفر عليه السلام لشيعته:

العصور ، والكل فيه وجه! لكن سياق دعائه (ع) يستوجه الأول (وهو دفاع جيش المسلمين عن البلاد في مواجهة الروم).

«لا تذلُّوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم، فإن كان عادلاً فاسألوا الله بقاءه، وإن كان جائراً فاسألوا الله اصلاحه؛ فإنّ صلاحكم في صلاح سلطانكم، وإنّ السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم، فأحبّوا له ما تحبون لأنفسكم، واكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم»[1].

وهذا غاية ما يوصف في محافظة الرعية على سلامة السلطان أن يحبوا له ما يحبون لأنفسهم، ويكرهوا له ما يكرهون لها.

وبعد هذا، فما أعظم تجنِّي بعض كتّاب العصر؛ إذ يصف الشيعة بأنّهم جميعة سرّية هدّامة، أو طائفة ثوروية ناقمة[2] !

صحيح أنّ من خلق الرجل المسلم المتّبع لتعاليم آل البيت عليهم السلام يبغض الظلم والظالمين، والانكماش عن أهل الجور والفسوق، والنظرة إلى أعوانهم وأنصارهم نظرة الاشمئزاز والاستنكار، والاستيحاش والاستحقار، وما زال هذا الخلق متغلغلاً في نفوسهم يتوارثونه جيلاً بعد جيل، ولكن مع ذلك ليس من شيمتهم الغدر والختل، ولا من طريقتهم الثورة والانتفاض على السلطة الدينية السائدة باسم الاسلام؛ لا سراً ولا علناً، ولا يبيحون لأنفسهم الاغتيال أو الوقيعة بمسلم مهما كان مذهبه وطريقته؛ أخذاً بتعاليم أئمّتهم عليهم السلام .

بل المسلم الذي يشهد الشهادتين مصون المال، محقون الدم، محرَّم العرض؛ «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه»[3].

بل المسلم أخو المسلم، عليه من حقوق الأخوة لأخيه ما يكشف عنه البحث الآتي.

---

[1]. آمالي الصدوق 277 ح21

[2]. وقد مرّت الاشارة ـ عند موضوع (عقيدتنا في التقية) ـ إلى قول الكوثري في تعليقه على كتاب التبصير في الدين للاسفرائيني، في وصفه للشيعة بأنّها جمعيات سرّية.

[3]. حديث رسول الله (ص) موجود في مصادر الشيعة والسنّة ـ **الفقيه: ٦٦/٤ ح١٩٥، عوالي اللآلي: ٤٧٣/٣ ح٣، تحف العقول: ٣٤، وسائل الشيعة: ١٢٠/٥ ح٦٠٨٩، سنن الدارقطني: ٢٦/٣ ح٩١ و٩٢، كنز العمال: ٩٢/١ ح٣٩٧.**

9. عقيدتنا في حقِّ المسلم على المسلم

إنّ من أعظم وأجمل ما دعا إليه الدين الاسلامي هو التآخي بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم ومنازلهم، كما أنّ من أوطأ وأخس ما صنعه المسلمون اليوم وقبل اليوم هو تسامحهم بالأَخذ بمقتضيات هذه الأَخوّة الاسلامية.

لأَنّ من أيسر مقتضياتها ـ كما سيجيء في كلمة الامام الصادق عليه السلام ـ: «أن يحب لأَخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه».

أنعم النظر، وفكِّر في هذه الخصلة اليسيرة في نظر آل البيت عليهم السلام ، فستجد أنّها من أشق ما يفرض طلبه من المسلمين اليوم، وهم على مثل هذه الأَخلاق الموجودة عندهم البعيدة عن روحية الاسلام، فكِّر في هذه الخصلة لو قدِّر للمسلمين أن ينصفوا أنفسهم، ويعرفوا دينهم حقاً، ويأخذوا بها فقط أن يحب أحدهم لأَخيه ما يحب لنفسه، لما شاهدت من أحد ظلماً ولا اعتداء، ولا سرقة ولا كذباً، ولا غيبة ولا نميمة، ولا تهمة بسوء، ولا قدحاً بباطل، ولا إهانة ولا تجبُّراً.

بلى، إنّ المسلمين لو وقفوا لإدراك أيسر خصال الاخوّة فيما بينهم، وعملوا بها، لارتفع الظلم والعدوان من الأَرض، ولرأيت البشر اخواناً على سرر متقابلين قد كملت لهم أعلى درجات السعادة الاجتماعية، ولتحقَّق حلم الفلاسفة الأَقدمين في المدينة الفاضلة، فما احتاجوا ـ حينما يتبادلون الحب والمودّة ـ إلى الحكومات والمحاكم، ولا إلى الشرطة والسجون، ولا إلى قانون للعقوبات، وأحكام للحدود والقصاص، ولما خضعوا لمستعمر، ولا خنعوا لجبّار، ولا استبدّ بهم الطغاة، ولتبدَّلت الأَرض غير الأَرض، وأصبحت جنة النعيم ودار السعادة.

أزيدك أنّ قانون المحبة لو ساد بين البشر ـ كما يريده الدين بتعاليم الاخوّة ـ لانمحت من قاموس لغاتنا كلمة العدل؛ بمعنى إنّا لم نعد نحتاج إلى العدل وقوانينه حتى نحتاج إلى استعمال كلمته، بل كفانا قانون الحب لنشر الخير والسلام، والسعادة والهناء؛ لأَنّ الانسان لا يحتاج إلى استعمال العدل ولا يطلبه القانون منه إلاّ إذا فقد الحب فيمن يجب أن يعدل معه، أمّا فيمن يبادله الحب ـ كالولد والأخ ـ إنّما يحسن إليه، ويتنازل له عن جملة من رغباته فبدافع من الحب والرغبة عن طيب خاطر، لا بدافع العدل والمصلحة.

وسرُّ ذلك أنّ الانسان لا يحب إلاّ نفسه وما يلائم نفسه، ويستحيل أن يحب شيئاً أو شخصاً خارجاً عن ذاته إلاّ إذا ارتبط به وانطبعت في نفسه منه صورة ملائمة مرغوبة لديه.

كما يستحيل أن يضحّي بمحض اختياره له، في رغباته ومحبوباته لأجل شخص آخر لا يحبه ولا يرغب فيه، إلاّ إذا تكوَّنت عنده عقيدة أقوى من رغباته، مثل عقيدة حسن العدل والاحسان، وحينئذ إذ يضحي باحدى رغباته إنّما يضحي لأجل رغبة أُخرى أقوى كعقيدته بالعدل ـ إذا حصلت ـ التي تكون جزء من رغباته، بل جزء من نفسه.

وهذه العقيدة المثالية لأجل أن تتكوَّن في نفس الانسان تتطلَّب منه أن يسمو بروحه على الاعتبارات المادية؛ ليدرك المثل الأعلى في العدل والاحسان إلى الغير، وذلك بعد أن يعجز أن يكوِّن في نفسه شعور الأخوّة الصادق والعطف بينه وبين أبناء نوعه.

فأوّل درجات المسلم التي يجب أن يتّصف بها أن يحصل عنده

الشعور بالأخوة مع الآخرين، فإذا عجز عنها ـ وهو عاجز على الأكثر؛ لغلبة رغباته الكثيرة وأنانيته ـ فعليه أن يكوِّن في نفسه عقيدة في العدل والاحسان اتباعاً للارشادات الاسلامية، فإذا عجز عن ذلك فلا يستحق ان يكون مسلماً إلاّ بالاسم، وخرج عن ولاية الله، ولم يكن لله فيه نصيب على حد التعبير الآتي للإمام.

والانسان ـ على الأكثر ـ تطغى عليه شهواته العارمة، فيكون من أشق ما يعانيه أن يهيّىء نفسه لقبول عقيدة العدل، فضلاً عن أن يحصل عليها عقيدة كاملة تفوق بقوّتها على شهواته.

فلذلك كان القيام بحقوق الأخوّة من أشق تعاليم الدين إذا لم يكن عند الانسان ذلك الشعور الصادق بالأخوّة، ومن أجل هذا أشفق الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام أن يوضِّح لسائله ـ وهو أحد أصحابه (المعلّى بن خُنيس) ـ عن حقوق الاخوان أكثر ممّا ينبغي أن يوضّح له خشية أن يتعلَّم ما لا يستطيع أن يعمل به.

قال المعلّى: قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟

قال أبو عبدالله: «له سبعة حقوق واجبات، ما منهنّ حق إلاّ وهو عليه واجب؛ إن ضيَّع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته، ولم يكن لله فيه نصيب».

قلت له: جعلت فداك! وما هي؟

قال: «يا معلّى، إنّي عليك شفيق؛ أخاف أن تضيّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل».

قلت: لا قوة إلاّ بالله.

وحينئذ ذكر الإِمام الحقوق السبعة بعد أن قال عن الاَوّل منها: «أيسر حقّ منها أن تحب له كما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك».

يا سبحان الله! هذا هو الحق اليسير، فكيف نجد - نحن المسلمين اليوم - يسر هذا الحق علينا؟ شاهت وجوه تدّعي الاسلام ولا تعمل بأيسر ما يفرضه من حقوق.

والأعجب أن يلصق بالاسلام هذا التأخّر الذي أصاب المسلمين، وما الذنب إلاّ ذنب من يُسمُّون أنفسهم بالمسلمين، ولا يعملون بأيسر ما يجب أن يعملوه من دينهم.

ولأجل التأريخ فقط، ولنعرف أنفسنا وتقصيرها، أذكر هذه الحقوق السبعة التي أوضحها الامام عليه السلام :

١ - أن تحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك.

٢ - أن تجتنب سخطه، وتتّبع مرضاته، وتطيع أمره.

٣ - أن تعينه بنفسك، ومالك، ولسانك، ويدك، ورجلك.

٤ - أن تكون عينه، ودليله، ومرآته.

٥ - أن لا تشبع ويجوع، ولا تروى ويظمأ، ولا تلبس ويعرى.

٦ - أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم، فواجب أن تبعث خادمك، فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهّد فراشه.

٧ ـ أن تبرَّ قسمه، وتجيب دعوته، وتعود مريضه، وتشهد جنازته، وإذا علمت له حاجة تبادره إلى قضائها، ولا تلجئه الى أن يسألكها، ولكن تبادره مبادرة.

ثمّ ختم كلامه عليه السلام بقوله:

«فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولايتك»[1].

وبمضمون هذا الحديث روايات مستفيضة عن أئمتنا، جمع قسماً كبيراً منها كتاب «الوسائل» في أبواب متفرّقة.

وقد يتوهّم المتوهِّم أنّ المقصود بالأُخوّة في أحاديث أهل البيت عليهم السلام خصوص الاخوّة بين المسلمين الذين من أتباعهم «شيعتهم خاصّة»، ولكن الرجوع إلى رواياتهم كلها يطّرد هذا الوهم ـ وإن كانوا من جهة أُخرى يشدّدون النكير على من يخالف طريقتهم ولا يأخذ بهداهم ـ ويكفي أن تقرأ حديث معاوية بن وهب قال:

قلت له ـ أي الصادق عليه السلام ـ: كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ممّن ليسوا على أمرنا؟

فقال: «تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم، فتصنعون ما يصنعون، فوالله إنّهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة إليهم».[2]

أمّا الأخوّة التي يريدها الأئمة عليهم السلام من أتباعهم فهي أرفع من هذه الاخوّة الاسلامية، وقد سمعت بعض الأَحاديث في فصل تعريف الشيعة، ويكفي أن تقرأ هذه المحاورة بين أبان بن تغلب وبين الصادق عليه السلام من حديث أبان نفسه.

قال أبان: كنت أطوف مع أبي عبدالله، فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجته، فأشار إليَّ، فرآنا أبو عبدالله.

قال: «يا ابان، إيّاك يريد هذا؟».

---

[1]. الكافي 135/2 ح2 – آمالي للطوسي 98 حديث3/149

[2]. الكافي 464/2 ح4.

قلت: نعم.

قال: «هو على مثل ما أنت عليه؟».

قلت: نعم.

قال: «فاذهب إليه واقطع الطواف»

قلت: وإن كان طواف الفريضة؟!

قال: «نعم».

قال أبان: فذهبت، ثمّ دخلت عليه بعد، فسألته عن حق المؤمن، فقال: «دعه لا ترده».

فلم أزل أردَّ عليه حتى قال: «يا أبان، تقاسمه شطر مالك».

ثم نظر اليَّ - فرأى ما داخلني - فقال: «يا أبان، أما تعلم أنّ الله قد ذكر المؤثرين على أنفسهم؟».

قلت: بلى.

قال: «إذا أنت قاسمته فلم تؤثره؛ إنّما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر».[1]

أقول: إنّ واقعنا المخجل لا يطمعنا أن نسمِّي أنفسنا بالمؤمنين حقاً؛ فنحن بوادٍ وتعاليم أئمتنا عليهم السلام في وادٍ آخر، وما داخل نفس أبان يداخل نفس كل قارئ لهذا الحديث، فيصرف بوجهه متناسياً له كأنّ المخاطب غيره، ولا يحاسب نفسه حساب رجل مسؤول.

[1]. وسائل الشيعة 209/12 ح 16106.

الفصل الخامس

1. عقيدتنا في البعث والمعاد

2. عقيدتنا في المعاد الجسماني

1. عقيدتنا في البعث والمعاد[1]

نعتقد: أنّ الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده، فيثيب المطيعين، ويعذِّب العاصين.

وهذا أمر على جملته وما عليه من البساطة في العقيدة اتّفقت عليه الشرائع السماوية والفلاسفة، ولا محيص للمسلم من الاعتراف به عقيدة قرآنية جاء بها نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإنّ من يعتقد بالله اعتقاداً قاطعاً، ويعتقد كذلك بمحمَّد رسولاً منه أرسله بالهدى ودين الحق، لا بدَّ أن يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من البعث، والثواب والعقاب، والجنة والنعيم، والنار والجحيم، وقد صرَّح القرآن بذلك، ولمَّح إليه بما يقرب من ألف آية كريمة.

وإذا تطرَّق الشك في ذلك إلى شخص فليس إلاّ لشك يخالجه في صاحب الرسالة، أو وجود خالق الكائنات أو قدرته، بل ليس إلاّ لشك يعتريه في اصل الأديان كلّها، وفي صحّة الشرائع جميعها.

---

[1]. قال تعالى :{ثم إنكم يوم القيامة تبعثون } سورة **المؤمنون: 16.**

وقال **تعالى** {حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون} **المؤمنون 99-100.**

وقال **تعالى** : {زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير } **التغابن 7**

وقال **تعالى** : {وما من دآبة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون }**الأنعام 38**

وقال تعالى : **{**وهو الذي ذرأكم في الأرض وإليه تحشرون**}** **المؤمنون 79**

عن الإمام علي (عليه السلام) :"**أكثروا ذكر الموت، ويوم خروجكم من القبور، وقيامكم بين يدي الله عز وجل، تهون عليكم المصائب**". (تحف العقول 106).

قال الصادق (ع) :" **إذا أويت إلى فراشك فانظر ما سلكت في بطنك وما كسبت في يومك زاذكر أنك ميّتٌ وأن لك معادا**" . (الدعوات 123) – دلالات واضحة على حتميّة البعث.

2. عقيدتنا في المعاد الجسماني

وبعد هذا، فالمعاد الجسماني ـ بالخصوص ـ ضرورة من ضروريات الدين الاسلامي، دلّ صريح القرآن الكريم عليها(أَيَحْسَبُ الإِنسانُ أَلَّن نَّجمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانُه) .

(وَإِن تَعجَبْ فَعَجَبٌ قَولُهُم أَإِذا كُنّا تُراباً أَءِنّا لَفي خَلْقٍ جَدِيدٍ) .

(أَفَعَيِينَا بِالخَلقِ الاَوَّلِ بَلْ هُمْ في لَبسٍ من خَلقٍ جَدِيدٍ) .[1]

وما المعاد الجسماني ـ على إجماله ـ إلاّ اعادة الانسان في يوم البعث والنشور ببدنه بعد الخراب، وإرجاعه إلى هيئته الاولى بعد أن يصبح رميماً.

ولا يجب الاعتقاد في تفصيلات المعاد الجسماني أكثر من هذه العقيدة على بساطتها التي نادى بها القرآن، وأكثر ممّا يتبعها من الحساب والصراط، والميزان والجنة النار، والثواب والعقاب بمقدار ما جاءت به التفصيلات القرآنية.

(ولا تجب المعرفة على التحقيق التي لا يصلها إلاّ صاحب النظر الدقيق، كالعلم بأنّ الأبدان هل تعود بذواتها أو إنّما يعود ما يماثلها بهيئات؟ وأنّ الأرواح هل تعدم كالأجساد أو تبقى مستمرّة حتى تتّصل بالأبدان عند المعاد؟ وأنّ المعاد هل يختص بالانسان أو يجري على كافّة ضروب الحيوان؟ وأنّ عودها بحكم الله دفعي أو تدريجي؟

وإذا لزم الاعتقاد بالجنة والنار لا تلزم معرفة وجودهما الآن، ولا العلم بأنّهما في السماء أو الأرض، أو يختلفان.

وكذا إذا وجبت معرفة الميزان لا تجب معرفة أنّها ميزان معنوية، أو لها كفّتان.

ولا تلزم معرفة أنّ الصراط جسم دقيق، أو هو الاستقامة المعنوية.

---

[1]. الآيات الشريفة ترتيباً : القيامة 3-4 ، الرعد 5 ، ق 15.

والغرض أنّه لا يشترط في تحقيق الاسلام معرفة أنّها من الاجسام...) [1].

نعم، إنّ تلك العقيدة في البعث والمعاد على بساطتها هي التي جاء بها الدين الاسلامي، فاذا أراد الانسان أن يتجاوزها إلى تفصيلها بأكثر ممّا جاء في القرآن ليقنع نفسه دفعاً للشبه التي يثيرها الباحثون والمشككون بالتماس البرهان العقلي أو التجربة الحسية ـ فانّه إنّما يجني على نفسه، ويقع في مشكلات ومنازعات لا نهاية لها.

وليس في الدين ما يدعو إلى مثل هذه التفصيلات التي حشدت بها كتب المتكلِّمين والمتفلسفين، ولا ضرورة دينية ولا اجتماعية ولا سياسية تدعو إلى أمثال هاتيك المشاحنات والمقالات المشحونة بها الكتب عبثاً، والتي استنفدت كثيراً من جهود المجادلين وأوقاتهم وتفكيرهم بلا فائدة.

والشبه والشكوك التي تُثار حول تلك التفصيلات يكفي في ردّها قناعتنا بقصور الانسان عن إدراك هذه الأُمور الغائبة عنّا، والخارجة عن أفقنا ومحيط وجودنا، والمرتفعة فوق مستوانا الأرضي، مع علمنا بأنّ الله تعالى العالم القادر أخبرنا عن تحقيق المعاد ووقوع البعث.

وعلوم الانسان وتجريباته وأبحاثه يستحيل أن تتناول شيئاً لا يعرفه ولا يقع تحت تجربته واختباره إلاّ بعد موته وانتقاله من هذا العالم عالم الحس والتجربة والبحث، فكيف ينتظر منه أن يحكم باستقلال تفكيره وتجربته بنفي هذا الشيء أو إثباته؟ فضلاً عن أن يتناول تفاصيله وخصوصياته، إلاّ إذا اعتمد على التكهّن والتخمين، أو على الاستبعاد والاستغراب، كما هو من طبيعة خيال الانسان أن يستغرب كل ما لم يألفه ولم يتناوله علمه وحسّه، كالقائل المندفع بجهله لاستغراب البعث والمعاد(مَن يُحيي العِظَامَ وَهيَ رَميمٌ)[2] .

---

[1]. مقتبس من كتاب كشف الغطاء: ٥ للشيخ الكبير كاشف الغطاء – والبحث كبير لمن أراد التعمّق ولا يسع هذا البحث التطويل في هذا الموضوع.

[2]. سورة يس 78

ولا سند لهذا الاستغراب إلاّ إنّه لم يرَ ميتاً رميماً قد أُعيدت له الحياة من جديد،[1] ولكنّه ينسى هذا المستغرب كيف خُلقت ذاته لأول مرة، ولقد كان عدماً، وأجزاء بدنه رميماً تألّفت من الأرض

[1]. أورد لكم قصة نبي الله عزير (ع) :

وإِنَّ عُزَيْرًا كَانَ عَبْدًا صَالِحًا حَكِيمًا خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى ضَيْعَةٍ لَهُ يَتَعَاهَدُهَا، فَلَمَّا انْصَرَفَ انْتَهَى إِلَى خَرِبَةٍ (يقال انها بيت المقدس بعدأن خربّها بختنصّر) حِينَ قَامَتِ الظَّهِيرَةُ وَأَصَابَهُ الْحَرُّ، وَدَخَلَ الْخَرِبَةَ وَهُوَ عَلَى حِمَارِهِ، فَنَزَلَ عَنْ حِمَارِهِ وَمَعَهُ سَلَّةٌ فِيهَا تِينٌ، وَسَلَّةٌ فِيهَا عِنَبٌ، فَنَزَلَ فِي ظِلِّ تِلْكَ الْخَرِبَةِ وَأَخْرَجَ قَصْعَةً مَعَهُ، فَاعْتَصَرَ مِنَ الْعِنَبِ الَّذِي كَانَ مَعَهُ فِي الْقَصْعَةِ، ثُمَّ أَخْرَجَ خُبْزًا يَابِسًا مَعَهُ، فَأَلْقَاهُ فِي تِلْكَ الْقَصْعَةِ فِي الْعَصِيرِ ؛ لِيَبْتَلَّ لِيَأْكُلَهُ، ثُمَّ اسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ وَأَسْنَدَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْحَائِطِ فَنَظَرَ سَقْفَ تِلْكَ الْبُيُوتِ وَرَأَى مَا فِيهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَقَدْ بَادَ أَهْلُهَا، وَرَأَى عِظَامًا بَالِيَةً فَقَالَ} :أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا {فَلَمْ يَشُكَّ أَنَّ اللَّهَ يُحْيِيهَا وَلَكِنْ قَالَهَا تَعَجُّبًا، فَبَعَثَ اللَّهُ مَلَكَ الْمَوْتِ، فَقَبَضَ رُوحَهُ، فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ، فَلَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ مِائَةُ عَامٍ، وَكَانَتْ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أُمُورٌ وَأَحْدَاثٌ .قَالَ :فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَى عُزَيْرٍ مَلَكًا فَخَلَقَ قَلْبَهُ لِيَعْقِلَ بِهِ، وَعَيْنَيْهِ لِيَنْظُرَ بِهِمَا؛ فَيَعْقِلَ كَيْفَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى، ثُمَّ رَكَّبَ خَلْقَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ، ثُمَّ كَسَى عِظَامَهُ اللَّحْمَ، وَالشَّعْرَ، وَالْجِلْدَ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، كُلُّ ذَلِكَ وَهُوَ يَرَى وَيَعْقِلُ، فَاسْتَوَى جَالِسًا، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ} :كَمْ لَبِثْتَ{، قَالَ} :لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ {وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ نَامَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ الظَّهِيرَةِ، وَبُعِثَ فِي آخِرِ النَّهَارِ وَالشَّمْسُ لَمْ تَغِبْ، فَقَالَ :أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، وَلَمْ يَتِمَّ لِي يَوْمٌ . فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ} :بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ {يَعْنِي الطَّعَامَ؛ الْخُبْزَ الْيَابِسَ، وَشَرَابَهُ؛ الْعَصِيرَ الَّذِي كَانَ اعْتَصَرَ فِي الْقَصْعَةِ، فَإِذَا هُمَا عَلَى حَالِهِمَا لَمْ يَتَغَيَّرِ الْعَصِيرُ وَالْخُبْزُ يَابِسٌ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ} :لَمْ يَتَسَنَّهْ { يَعْنِي لَمْ يَتَغَيَّرْ، وَكَذَلِكَ التِّينُ وَالْعِنَبُ غَضٌّ لَمْ يَتَغَيَّرْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ حَالِهِمَا، فَكَأَنَّهُ أَنْكَرَ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ : أَنْكَرْتَ مَا قُلْتُ لَكَ؟ انْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ. فَنَظَرَ فَإِذَا حِمَارُهُ قَدْ بَلِيَتْ عِظَامُهُ وَصَارَتْ نَخِرَةً، فَنَادَى الْمَلَكُ عِظَامَ الْحِمَارِ، فَأَجَابَتْ وَأَقْبَلَتْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ حَتَّى رَكَّبَهُ الْمَلَكُ، وَعُزَيْرٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، ثُمَّ أَلْبَسَهَا الْعُرُوقَ وَالْعَصَبَ، ثُمَّ كَسَاهَا اللَّحْمَ، ثُمَّ أَنْبَتَ عَلَيْهَا الْجِلْدَ وَالشَّعْرَ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ الْمَلَكُ، فَقَامَ الْحِمَارُ رَافِعًا رَأْسَهُ وَأُذُنَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، نَاهِقًا يَظُنُّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَامَتْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ} :وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا{؛ يَعْنِي انْظُرْ إِلَى عِظَامِ حِمَارِكَ كَيْفَ نُرَكِّبُ بَعْضَهَا بَعْضًا فِي أَوْصَالِهَا، حَتَّى إِذَا صَارَتْ عِظَامًا مُصَوَّرًا حِمَارًا بِلَا لَحْمٍ، ثُمَّ انْظُرْ كَيْفَ نَكْسُوهَا لَحْمًا، }فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ {مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى وَغَيْرِهِ. فَرَكِبَ حِمَارَهُ حَتَّى أَتَى مَحِلَّتَهُ فَأَنْكَرَهُ النَّاسُ، وَأَنْكَرَ النَّاسَ، وَأَنْكَرَ مَنَازِلَهُمْ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَهَمٍ مِنْهُ، حَتَّى أَتَى مَنْزِلَهُ، فَإِذَا هُوَ بِعَجُوزٍ عَمْيَاءَ مُقْعَدَةٍ قَدْ أَتَى عَلَيْهَا مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، كَانَتْ أَمَةً لَهُمْ، فَخَرَجَ عَنْهُمْ عُزَيْرٌ وَهِيَ بِنْتُ عِشْرِينَ سَنَةً، كَانَتْ

وما حملت، ومن الفضاء وما حوى، من هنا وهنا، حتى صار بشراً سوياً ذا عقل وبيان (أَوَ لَمْ يَرَ الإِنسانُ أَنَّا خلقنه مِن نُطفَةٍ فَإِذَا هُو خَصِيمٌ مُبينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسي خَلقَهُ) [1].

عَرَفَتْهُ وَعَقَلَتْهُ، فَلَمَّا أَصَابَهَا الْكِبَرُ أَصَابَهَا الزَّمَانَةُ فَقَالَ لَهَا عُزَيْرٌ :يَا هَذِهِ أَهَذَا مَنْزِلُ عُزَيْرٍ؟ قَالَتْ :نَعَمْ هَذَا مَنْزِلُ عُزَيْرٍ .فَبَكَتْ وَقَالَتْ :مَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْ كَذَا وَكَذَا سَنَةٍ يَذْكُرُ عُزَيْرًا وَقَدْ نَسِيَهُ النَّاسُ .قَالَ :فَإِنِّي أَنَا عُزَيْرٌ، كَانَ اللَّهُ أَمَاتَنِي مِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ بَعَثَنِي .قَالَتْ :سُبْحَانَ اللَّهِ! فَإِنَّ عُزَيْرًا قَدْ فَقَدْنَاهُ مُنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ، فَلَمْ نَسْمَعْ لَهُ بِذِكْرٍ .قَالَ : فَإِنِّي أَنَا عُزَيْرٌ .قَالَتْ :فَإِنَّ عُزَيْرًا رَجُلٌ مُسْتَجَابُ الدَّعْوَةِ، يَدْعُو لِلْمَرِيضِ وَلِصَاحِبِ الْبَلَاءِ بِالْعَافِيَةِ وَالشِّفَاءِ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ بَصَرِي حَتَّى أَرَاكَ، فَإِنْ كُنْتَ عُزَيْرًا عَرَفْتُكَ .قَالَ :فَدَعَا رَبَّهُ وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى عَيْنَيْهَا فَصَحَّتَا وَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَالَ: قُومِي بِإِذْنِ اللَّهِ. فَأَطْلَقَ اللَّهُ رِجْلَيْهَا، فَقَامَتْ صَحِيحَةً كَأَنَّمَا نَشِطَتْ مِنْ عِقَالٍ، فَنَظَرَتْ فَقَالَتْ : أَشْهَدُ أَنَّكَ عُزَيْرٌ وَانْطَلَقَتْ إِلَى مَحِلَّةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمْ فِي أَنْدِيَتِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ، وَابْنٌ لِعُزَيْرٍ شَيْخٌ ابْنُ مِائَةِ سَنَةٍ وَثَمَانِي عَشْرَ سَنَةً وَبَنُو بَنِيهِ شُيُوخٌ فِي الْمَجْلِسِ، فَنَادَتْهُمْ فَقَالَتْ :هَذَا عُزَيْرٌ قَدْ جَاءَكُمْ. فَكَذَّبُوهَا، فَقَالَتْ :أَنَا فُلَانَةُ مَوْلَاتُكُمْ دَعَا لِي رَبَّهُ، فَرَدَّ عَلَيَّ بَصَرِي وَأَطْلَقَ رِجْلَيَّ، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَمَاتَهُ مِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ بَعَثَهُ. فَنَهَضَ النَّاسُ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَقَالَ ابْنُهُ :كَانَ لِأَبِي شَامَةٌ سَوْدَاءُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ. فَكَشَفَ عَنْ كَتِفَيْهِ، فَإِذَا هُوَ عُزَيْرٌ، فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ :فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِينَا أَحَدٌ حَفِظَ التَّوْرَاةَ فِيمَا حُدِّثْنَا غَيْرُ عُزَيْرٍ، وَقَدْ حَرَّقَ بُخْتُ نَصَّرَ التَّوْرَاةَ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا مَا حَفِظَتِ الرِّجَالُ؛ فَاكْتُبْهَا لَنَا. وَكَانَ أَبُوهُ سَرُوخَا قَدْ دَفَنَ التَّوْرَاةَ أَيَّامَ بُخْتُ نَصَّرَ فِي مَوْضِعٍ لَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ غَيْرُ عُزَيْرٍ، فَانْطَلَقَ بِهِمْ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ فَحَفَرَهُ فَاسْتَخْرَجَ التَّوْرَاةَ، وَكَانَ قَدْ عَفِنَ الْوَرَقُ، وَدَرَسَ الْكِتَابُ.

فَجَلَسَ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ وَبَنُو إِسْرَائِيلَ حَوْلَهُ، فَجَدَّدَ لَهُمُ التَّوْرَاةَ، وَنَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ شِهَابَانِ، حَتَّى دَخَلَا جَوْفَهُ، فَتَذَكَّرَ التَّوْرَاةَ، فَجَدَّدَهَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ .فَمِنْ ثَمَّ قَالَتِ الْيَهُودُ :عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ - جَلَّ اللَّهُ وَعَزَّ - لِلَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ الشِّهَابَيْنِ وَتَجْدِيدِهِ التَّوْرَاةَ وَقِيَامِهِ بِأَمْرِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فقال بَنُو إِسْرَائِيلَ :لَمْ يَسْتَطِعْ مُوسَى أَنْ يَأْتِيَنَا بِالتَّوْرَاةِ إِلَّا فِي كِتَابٍ، وَإِنَّ عُزَيْرًا قَدْ جَاءَنَا بِهَا مِنْ غَيْرِ كِتَابٍ. فَرَمَاهُ طَوَائِفُ مِنْهُمْ، وَقَالُوا :عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ. وَكَانَ جَدَّدَ لَهُمُ التَّوْرَاةَ بِأَرْضِ السَّوَادِ بِدَيْرِ حَزْقِيلَ .وَالْقَرْيَةُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا يُقَالُ لَهَا :سَايْرَابَاذَ .فَكَانَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى} :وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ {يَعْنِي لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ مَعَ بَنِيهِ وَهُمْ شُيُوخٌ وَهُوَ شَابٌّ؛ لِأَنَّهُ مَاتَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَبَعَثَهُ اللَّهُ شَابًّا، كَهَيْئَةِ يَوْمَ مَاتَ)١ .(وَالْمَشْهُورُ أَنَّ عُزَيْرًا نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنَّهُ كَانَ فِيمَا بَيْنَ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ، وَبَيْنَ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى .....) **الكليني، الكافي، ج 8، ص 123**

[1]. سورة يس 78/77

يقال لمثل هذا القائل الذي نسي خلق نفسه : (يُحيِيها الَّذِي أَنشَأَهَا أَوّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِ خَلقٍ عَليمٌ)[1].

يقال له: إنّك بعد أن تعترف بخالق الكائنات وقدرته، وتعترف بالرسول وما أخبر به، مع قصور علمك حتى عن إدراك سرَّ خلق ذاتك وسر تكوينك، وكيف كان نموّك وانتقالك من نطفة لا شعور لها ولا إرادة ولا عقل إلى مراحل متصاعدة مؤتلفاً من ذرات متباعدة؛ لتبلغ بشراً سوياً عاقلاً مدبّراً ذا شعور وأحساس[2].

يقال له: بعد هذا كيف تستغرب أن تعود لك الحياة من جديد بعد أن تصبح رميماً، وأنت بذلك تحاول أن تتطاول إلى معرفة ما لا قِبل لتجاربك وعلومك بكشفه؟

يقال له: لا سبيل حينئذ إلاّ أن تذعن صاغراً للاعتراف بهذه الحقيقة التي أخبر عنها مدبّر الكائنات العالم القدير، وخالقك من العدم والرميم.

وكلّ محاولة لكشف ما لا يمكن كشفه، ولا يتناوله علمك فهي محاولة باطلة، وضرب في التيه، وفتح للعيون في الظلام الحالك.

إنّ الانسان مع ما بلغ من معرفة في هذه السنين الأخيرة، فاكتشف الكهرباء والرادار واستخدم الذرّة، إلى أمثال هذه الاكتشافات التي لو حُدِّث عنها في السنين الخوالي لعدَّها من أوّل المستحيلات، ومن مواضع التندّر والسخرية.

إنّه مع كل ذلك لم يستطع كشف حقيقة الكهرباء ولا سر الذرّة، بل حتى حقيقة احدى خواصهما وأحد أوصافهما، فكيف يطمع أن يعرف سر الخلقة والتكوين، ثم يترقّى فيريد أن يعرف سرَّ المعاد والبعث.

---

[1]. سورة يس 79.

[2]. فقد قال تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنسَانَ مِنْ سُلَلَةٍ مِنْ طِينِ * ثُمَّ جَعَلْنهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكين * ثُمَّ خَلَقْنا الْنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَمَ لَحْماً ثُمَّ أَنْشَأنهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَباركَ اللهُ أَحْسَنُ الْخلِقِينَ } **المؤمنون ١٢ ـ ١٤.**

نعم، ينبغي للإنسان بعد الايمان بالإسلام أن يتجنَّب عن متابعة الهوى، وأن يشتغل فيما يصلح أمر آخرته ودنياه، وفيما يرفع قدره عند الله، وأن يتفكَّر فيما يستعين به على نفسه، وفيما يستقبله بعد الموت من شدائد القبر والحساب بعد الحضور بين يدي الملك العلاّم، وأن يتّقي (يوماً لا تَجزي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيَئاً وَلا يُقبَلُ مِنها شَفعةٌ وَلا يُؤخَذُ مِنها عَدْلٌ ولا هُمْ يُنصَرون)[1].

[1]. سورة البقرة 48.

خاتمة

بعد الإنتهاء من هذا البحث اللطيف أسأل الله تعالى أن ينفع به المكلّفين المُبتدئين في السنوات الأولى من عمرهم التكليفي - أقصد المراهقين أول البلوغ - وكذلك المُبتدئين في طلب العلم ليكون لهم دافعاً ومحفّزاً للتعمّق أكثر في بحوث العقيدة التي تنفع العبد مباشرةً في العلاقة مع ربّه فتُحسّن دُنياه وتُنوّر قبره وتُسكنه الجنّة ، فضلاً عن الأجر العظيم لمن حصّن نفسه وأعتقد الإعتقاد الصحيح بربّه ونبيّه وإمامه ، ولا أنسى أنه قد يُفلحُ أحدنا بهداية أحد وصيانة دين أحد وهذا لَعَمري أفضلُ من الدنيا وما فيها فقد جاء عن رسول الله (ص) قوله لعلي (ع) حين بعثه إلى اليمن ليبشّر للإسلام أهلَها : يا عليّ ! لا تقاتلّن أحداً حتى تدعوَه، وأيْم الله لئن يهدي الله على يديك رجلاً خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس وغربت. (البحار 2 /21 حديث 60-61).

والحمد لله رب العالمين

****

حسين حسن محمد جواد بدر الدين

حاروف – النبطية – جبل عامل – لبنان

الفهرس